وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

الإيجاز والإطناب في النثر الفني في القرن الثالث الهجري

أطروحةٌ تقدَّمت بها الطالبة

ليلى سعد اللّه ناجي التميميّ

إلى مجلس كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الهادي خضير نيشان

جمادى الأولى **آذار**

1434 هـ 2013

م

الإهـداء

إلى رسول البشرية جمعاء، ومعلم الإنسانية ...

نبيّنا محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

إلى روح والدي برًّا وعرفاناً ...

تغمّدهُ اللّه برحمته الواسعة وأدخله فسيح جناته

إلى التي ما زلتُ أنهلُ منها الصبر والحنان ...

قُرّة عيني والدتي الحبيبة أطال اللّه في عمرها

أهدي ثمرةَ جهدي هذا

الباحثة

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهدُ أنّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ﴿ الإيجاز والإطناب في النثر الفني في القرن الثالث الهجري ﴾ التي قدّمتها الطالبة (ليلى سعد الله ناجي التميمي) جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية – كلية التربية للبنات – جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

المشـــرف : أ . د . عبد الهادي خضير نيشان

التاريـخ : / / 2013 م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشحُ هذه الأطروحة للمناقشة .

التوقيـع :

الاســـم : د. طـلال خليفـة سلمـان

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : / / 2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذهِ الأطروحة الموسومة بـ ﴿ الإيجاز والإطناب في النثر الفني في القرن الثالث الهجري ﴾ قد تمت مراجعتها من الناحية العلمية بإشرافي، وقد صارت خالية من الأخطاء العلمية ولأجله وقعت .

التوقيـــــع :

الخبير العلمي :

التـاريـــخ : / / 2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاءَها ، نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ﴿ الإيجاز والإطناب في النثر الفني في القرن الثالث الهجري ﴾ التي قدّمتها طالبة الدكتوراه (ليلى سعد اللّه ناجي التميمي) ، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها ، وفي ما له علاقة بها ، و وجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها بتقدير (جيّد جداً) .

التوقيع :	التوقيع :
الاسم : أ.د. علاء جاسم جابر	الاسم : أ.م.د. عبد الرحمن شهاب أحمد
التاريخ : 20 / 6 / 2013 م	التاريخ : 20 / 6 / 2013 م
رئيس اللجنة	عضوًا
التوقيع :	التوقيع :
الاسم : أ.م.د. محسن علي عريبي	الاسم : أ.م.د. طالب عويد نايف
التاريخ : 20 / 6 / 2013 م	التاريخ : 20 / 6 / 2013 م
عضوًا	عضوًا
التوقيع :	التوقيع :
الاسم : أ.م.د. ثائر حسن محمد	الاسم : أ.د. عبد الهادي خضير نيشان
التاريخ : 20 / 6 / 2013 م	التاريخ : 20 / 6 / 2013 م
عضوًا	المشرف (عضوًا)

مصادقة مجلس الكلية

صادق مجلس كلية التربية للبنات في جامعة بغداد على قرار لجنة المناقشة .

التوقيع :
أ . م . د . شروق كاظم سلمان
عميد كلية التربية للبنات _ جامعة بغداد
التاريخ : / / 2013 **م**

المحتويات

المُحتَويَاتْ

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	أ–ج
التمهيد : مفهوم الإيجاز والإطناب	14–1
الإيجاز لغةً واصطلاحًا	4–1
الإطناب لغةً واصطلاحًا	7–4
الإطناب وعلاقته بالإطالة والحشو	10–7
بلاغة الإيجاز والإطناب عند الكُتّاب	14–10
الباب الأول : الإيجاز	85–15
الفصل الأول : إيجاز الحذف	53–15
المبحث الأول : حذف الجمل	25–22
المبحث الثاني : حذف المفردات	53–26
الفصل الثاني : إيجاز القِصَر	85–54
الباب الثاني : الإطناب	175 – 86
الفصل الأول : أنماط الإطناب الرئيسة	149–86
المبحث الأول : الزيادة	112–86
المبحث الثاني : التكرار	134–113
المبحث الثالث : الاعتراض	149–135

الفصل الثاني : أنماط الإطناب الفرعية	175 – 150
أ- الإيضاح بعد الإبهام	158 – 150
ب- التذييل	164 – 158
ج- التوشيع	169 – 165
د- ذكر الخاصّ بعد العام و(ذكر العام بعد الخاصّ)	172 – 169
هـ- التتميم	175 – 172
الخاتمة	177 – 176
المصادر والمراجع	196 – 178
ملخص الأطروحة باللغة الإنكليزية	A – C

المقدِّمة

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ , والصلاة والسلام على أبلغ الفُصحاء والمُتكلمين , سيدنا محمد أشرف المرسلين , وعلى آله وأصحابه الهُداة المُهتدين.

أمّا بعدُ ...

فإنَّ عِلم اللغة العربية بحرٌ عميقٌ , من سَلَكَهُ من غير علمٍ هلكَ , ومن أخذ بأسباب النجاة نجا , فالعربية بعلومها المختلفة كانت وما تزالُ معينًا ينهلُ منه الباحثون .

وكان النثر الفني وما يزال شاهدًا على رقي الأُمة العربية وتطورها في مجالات الخلق والإبداع ؛ بما قدّمهُ للإنسانية في مجالات الثقافة والأدب , فالنثر يمثل حياة العصر بكل دقائقها وتفصيلاتها , معبرًا عن العمق الفكري الذي وصل إليه ذلك العصر .

كما أنَّ النثر الفني يرفد كثيرًا من الدراسات بموضوعات مختلفة , تكشف عن عمق هذا التراث وأصالته وأهميته للباحثين خاصة , كما تعددت أساليب دراسة الموضوعات على وفق ما يُستجد من نظريات , تقوم على نظرة تشخيصيّة إبداعية تسبر أغوار النص النثري ؛ للكشف عن عناصر الإبداع وجماليات النسيج فيه .

والنثر الفني جنسٌ من الأجناس الأدبية , تتجسد فيه روعة الفصاحة والبلاغة , ومن هنا أثرنا دراسة (الإيجاز والإطناب) وهما من (فنون علم المعاني) في النثر الفني بأنواعه المختلفة : الرسائل الديوانية , والرسائل الإخوانية , والتوقيعات ، في أحد القرون العباسية المزدهرة , وهو القرن الثالث الهجري , وقد شهد هذا القرن عددًا غير قليل من الكُتّاب الذين ذاع صِيتُهم بين طبقات الكُتّاب في العصور المختلفة , وبذلك اتجهت الدراسة الى العناية بجملة من الكُتّاب هم : أحمد بن يوسف الكاتب

(ت213هـ) , وسهل بن هارون (ت215هـ) , وعمرو بن مسعدة (ت217هـ) , وعبد الله بن طاهر (ت230هـ) , ومحمد بن عبد الملك الزيات (ت233هـ) , وإبراهيم بن العباس الصولي (ت243هـ) , والجاحظ (ت255هـ) , وسعيد بن حميد (ت257هـ) , وابن المدبّر (ت270هـ) , وأبو العيناء (ت282هـ) , وابن المعتز (ت296هـ) .

ذلك أنّهم من كُتّاب هذا القرن البارزين , وهم الذين يمثلون قمة نثره الفني , وفي رسائلهم تتجسد صور الإبداع وفنونه المختلفة .

فقد قامت الدراسة على تلمّس المظاهر الإبداعية للإيجاز والإطناب في رسائل القرن الثالث , فكان لها أن تعتمد في ذلك على ثلاثة مناهج :

1. **المنهج التاريخي** :وهو جمع النصوص النثرية لكُتّاب القرن الثالث الهجري من أُمات الكُتب القديمة منها : العقد الفريد , والأوراق , ومعجم الأدباء , ووفيات الأعيان , وسرح العيون , وغيرها من المصادر الأُخرى , فضلاً عن المراجع الحديثة التي عُنيت بجمع هذه الرسائل مثل : أُمراء البيان , وجمهرة رسائل العرب , حيث نقل صاحب الجمهرة نصوصًا من مخطوطة بعنوان (المنظوم والمنثور) , لابن طيفور وقام بتحقيق نصوصها, وتدقيقها حتى تخرج موثوقة صالحة للدراسة .

وقد اتبعتُ الترتيب الزمني في دراسة هذه النصوص دراسة بلاغية , أي أنْ أبدأ بـ (أحمد بن يوسف الكاتب (ت213هـ)) وانتهي بـ (ابن المعتز(ت296هـ)) ؛ كي تكون الدراسة متضمنة لتطور مظاهر الإيجاز والإطناب في رسائل القرن الفنية , وقد تجد غياب بعض الكُتّاب في بعض مباحث الدراسة ؛ لعدم توافر الشواهد الخاصة بهم , التي تتطابق مع الموضوع الذي تجري دراسته , من جهة أُخرى قد تجد التركيز على نصوص كاتب بعينه ؛ لكثرة النصوص المتوافرة لديه , وانسجامها مع القاعدة البلاغية , وقد يتعذر إيجادها لدى غيره من الكُتّاب , بما يمكن أن يشكّل سمة أسلوبية لهذا الكاتب تميزه من غيره من كُتّاب عصره , فحرصنا أن تكون هذه الكثرة دليلاً على بروز هذا الضرب من الإيجاز أو الإطناب منبهًا أسلوبيًا واضحًا في رسائله .

2. **المنهج الفني** : وهو دراسة النصوص النثرية ,وتحليل مفرداتها وتراكيبها على قواعد (الإيجاز الإطناب) على وفق دراسة فنية دقيقة معتمدة على دراسات

البلاغيين القدماء والمحدثين لهذين اللونين البلاغيين , وما تضمنت هذه الدراسات من التفاتات فنية فيها .

3. **المنهج النفسي** : وهو ما يتعلق بنفسية الكاتب , وتفسير سلوكه , ومقصديته من وراء إيجازه في نصوصه , أو الإطناب فيها , فقد يكون الغرض التّودد والتقرب للوالي أو السلطان , أو مراعاة المقام وما يقتضيه من إيجاز وإطناب , كالتعزية , أو التهنئة , أو العشق , أو الشوق للمحبوب , أو العتاب وغيرها من الأغراض الأخرى , فضلاً عن مراعاة حال المُخاطب (المتلقي) .

وقد قسمت دراستي على تمهيد , وبابين , وخاتمة :

جاء **التمهيد** بعنوان (مفهوم الإيجاز والإطناب) , وقد تضمن ثلاثة مباحث : **الأول** : تعريفهما في اللغة والاصطلاح , و**الثاني** : الإطناب وعلاقته بالتطويل والحشو , و**الثالث** : بلاغة الإيجاز والإطناب عند الكُتّاب .

وانعقد الباب الأول على دراسة (الإيجاز) , وقُسِّمَ على فصلين :

الفصل الأول : إيجاز الحذف , وتضمن :

المبحث الأول : حذف الجمل , ويشمل :

1- حذف الجمل المعطوفة .

2- حذف الجمل الحالية .

المبحث الأول : حذف المفردات , ويشمل

أ- حذف المفعول به .

ب- حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه .

ت- حذف المضاف إليه وإقامة المضاف مقامه .

ث- حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها .

ج- حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه .

ح- حذف الجار والمجرور .

خ- حذف المبتدأ .

د- حذف الخبر .

ذ- حذف الفاعل .

ر- إقامة المصدر مقام الفعل .

الفصل الثاني : إيجاز القِصَر , ولا يمكن تقسيم هذا الفصل على مباحث ؛ إذ ليس لإيجاز القِصَر ألوان أو ضروب محددة كسابقه (إيجاز الحذف) , إنما هو قائم على قدرة الكاتب على تكثيف المعاني تكثيفًا شديدًا بأقل ما يمكن من الألفاظ .

أمّا **الباب الثاني** : فقد تناولت فيه (الإطناب) , وقُسِّمَ على فصلين :

الفصل الأول : أنماط الأطناب الرئيسة , وقد جاء ترتيبها بحسب كثرة ورودها لدى الكُتّاب على :

المبحث الأول : الزيادة .

المبحث الثاني : التكرار .

المبحث الثالث : الاعتراض .

الفصل الثاني : أنماط الإطناب الفرعية , وقد رُتِّبَتْ كذلك بحسب كثرة ورودها لدى الكُتّاب على :

1. الإيضاح بعد الإبهام .
2. التذييل .
3. التّوشيع .
4. ذكر الخاص بعد العام و (ذكر العام بعد الخاص) .
5. التّتميم .

وأوجزت في **الخاتمة** أهم النتائج التي توصلت إليها في الدراسة , وبعدها جاءت **جريدة المظان** , وما احتوت من المصادر والمراجع التي أعانتني في هذه الدراسة , ثم مُلخص الأطروحة باللغة الإنكليزية .

ولعل من نافلة القول الإشارة إلى الصعوبات التي واجهت الباحثة في دراستها هذه , وهي كثيرة يعرفها كل من عانى متاعب البحث العلمي ومصاعبه , ولكن ما يمكن أن ندّعي أنَّ هذه الدراسة قد اختصت به من هذه الصعوبات , أَنَّها قلما وجدت دراسة فنية لهذين اللونين البلاغيين في النثر أو الشعر , فغالب الدراسات كانت منصبة على القرآن الكريم , أو على دراسة هذين الفنين دراسة بلاغية تأصيلية , وبذا يمكن لنا أن ندّعي أنَّ هذه الدراسة يمكن لها أن توجه أنظار الباحثين ولا سيما طلبة الدراسات العليا , الساعين بجهد كبير للحصول على موضوعات لدراساتهم , إلى

الكتابة في هذين الفنين في حقول إبداعية مختلفة (شعرًا أو نثرًا) على امتداد موروثنا الأدبي , بما يجعل دراساتهم ذات سمة تطبيقية فنية , أجدى بكثير من الدراسات التنظيرية المكررة .

ومن دواعي الاعتراف بالجميل أنْ أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور (عبد الهادي خضير نيشان) ؛ لتوجيهاته العلمية القيّمة , وملاحظاته السديدة في كل خطوة من خطوات البحث , والتي كان لها الأثر الفعّال في إخراج هذه الدراسة .

وأشكر زميلاتي الدكتورة رواء عبد الأمير , والدكتورة وفاء حسين علي ؛ لما قدّماه لي من عون سواء في مشورة أو كتاب , كما أشكر الأخ الدكتور شاهر جلال لمساعدته الصادقة وإشاراته العلمية , ولا يفوتني أنْ أشكر زوجي وأولادي لما تحملوه طوال مدة الدراسة , وأشكر والدتي وأخوتي بما شملوني به من عون وتشجيع .

وأخيرًا الله أسألُ أن يجعل عملي هذا عملاً خالصًا لخدمة تراثنا الخالد , وأن تفتح هذه الدراسة أبوبًا أُخرى لدراسته والبحث فيه , فهذا جهدي , فإن أصبتُ فمن الله , وإن أخطأت فمن نفسي وعذري أنّي اجتهدتُ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثة

التمهيد

مفهوم الإِيجاز والإِطناب

- تعريفهما في اللغة والاصطلاح
- الإطناب وعلاقته بالتطويل والحشو
- بلاغة الإيجاز والإطناب عند الكُتَّاب

التمهيد
مفهوم الإيجاز والإطناب

الإيجاز لغةً واصطلاحًا

الإيجاز لغةً : جاء في معجم (العين) : الإيجاز هو الاخْتصَار تقول : أوجزتُ في الأمر , وتقول : أوجز فلانٌ إيجازًا في كل أمر , والوَجْزُ : الرجاء والإسراع والاستعجال[1] .

ونقله الزمخشري (ت538هـ) في معجمه فقال : " كلامٌ وجيزٌ وموجزٌ , وأوجزته إيجازًا , وأوجز العطيّة : عجّلهَا "[2] .

أمّا ابن منظور (ت711هـ) فقد ذهب إلى أنَ الإيجاز هو : اختصار الكلام في بلاغة , وكلام وجيز : أي خفيف مختصر[3] .

وعلّق عليه الزبيدي (ت1205هـ) بقوله : " وهو تقصير الكلام "[4] .

الإيجاز اصطلاحًا : لم يبعد معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي , فقد ذهب الجاحظ (ت255هـ) إلى أَنَّ الإيجاز هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى[5] , وحده الرماني (ت384هـ) بقوله هو " تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى "[6] .

أمّا أبو هلال العسكري (ت395هـ) فقد وصف الإيجاز بقوله : " حذف الفضول وتقريب البعيد "[7] , ويسميه القصر ؛ لما فيه من تقليل الألفاظ وتكثير المعاني , بينما نجد ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) قد قرن الإيجاز بالبلاغة بدلالة قوله : " البلاغة لمحة دالة "[8] , في حين نجد ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) قرن

---

(1) ينظر : العين (وَجَزَ) .
(2) أساس البلاغة (وَجَزَ) .
(3) ينظر : لسان العرب (وَجَزَ) .
(4) تاج العروس (وَجَزَ) .
(5) ينظر : البيان والتبيين : 82/1 , 94 , والحيوان : 91/1 .
(6) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : 76 .
(7) كتاب الصناعتين : 179 .
(8) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 242/1 .

الإيجاز بالإشارة أو الرمز , بدلالة قوله : " لفظٌ موجزٌ يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة "[1] .

وعرّفه الرازي (ت606هـ) بقوله : " العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال "[2] .

وعبرّ عنه السكاكي (ت626هـ) بأنَّه أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط[3] , وحدّهُ ابن الأثير (ت637هـ) بأنَّه : " دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه "[4] .

أمّا الزملكاني (ت651هـ) فقد سمّاه (الإشارة) , وقال : " هو إثبات المعاني المتكثرة باللفظ القليل "[5] .

ومعنى الإيجاز عند ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) هو : التعبير باللفظ القليل عن كلام كثير[6] , وقال السجلماسي (ت704هـ) : " هو قول مركب من أجزاء مشتملة بمجموعها على مضمون تدل عليه من غير مزيد[7] . وقال العلوي (ت749هـ) هو : تأدية المقصود من الكلام بأقل ما يمكن من العبارات[8] .

والإيجاز من أساليب التعبير المهمة , وقد كان العرب يميلون إليه ويفضلونه على الكلام المسهب , ويعدونه البلاغة[9] .

---

(1) سر الفصاحة : 243 .

(2) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : 246 .

(3) ينظر : مفتاح العلوم : 388 .

(4) المثل السائر : 259/2 , وينظر : الجامع الكبير : 122 .

(5) التبيان في علم البيان : 110 .

(6) ينظر : تحرير التحبير : 459 .

(7) المنزع البديع : 181 – 182 .

(8) ينظر : الطراز : 245 .

(9) ينظر البيان والتبيين : 82/1 , والبلاغة عند الجاحظ : 75 .

وقال الإمام علي (عليه السلام) : " ما رأيتُ بليغًا قط إلاّ وله في القول إيجازًا , وفي المعاني إطالة "[1] , ورويَ عن محمد بن جعفر الصادق (عليه السلام) إنَّه قال : " سُمّيَ البليغ بليغًا ؛ لأنّه يَبلغ حَاجته بأهون سعيه "[2] .

وقيل لبعضهم : من أبلغ الناس ؟ قال : من ترك الفضول وأقتصر على الإيجاز[3] , وقالت بنت الحطيئة لأبيها : " ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ قال : لأنَّها بالأذان أولج وبالأفواه أعلق "[4] , وقيل لشاعرٍ : " لِمّ لا تطيل شِعرك ؟ فقال : حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق "[5] .

ويُروى أنَّ جعفر بن يحيى البرمكي (ت187هـ) قال لكُتّابه : " إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا "[6] , وكذلك يوصي الفضل بن سهل كُتّابه بقوله : " قاربوا بين الحروف لئلا يسافر البصر بعيدًا في حروف قليلة "[7] ، وهنا يؤكد الإيجاز في الإبلاغ بأقل الكلمات وأوسع المعاني .

ويبدو أنَّ البلاغيين العرب القدماء قد أولوا الإيجار هذه الأهمية , وعدّوه قمة البلاغة ؛ لأنّهم كانوا يفهمون الإيجاز فهمًا رائعًا صائبًا ، وعلى هذا فإنّ كلّ كلام لا فضول فيه فهو إيجازٌ[8] ، فاقتصار المرء على ما يفي بحاجته من الألفاظ إيجازٌ بليغ ، بغض النظر عن حجم الألفاظ التي تستدعيها الحاجة ما دام المتكلم قد تجنب الفضول من القول[9] .

---

(1) نهج البلاغة : 649/4 .
(2) العقد الفريد : 241/2 .
(3) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(4) جواهر البلاغة : 185 .
(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(6) البيان والتبيين : 94/1 , وأدب الكُتّاب : 137/2 , وجمهرة رسائل العرب : 387/4 .
(7) كتاب الوزراء والكُتّاب : 306 .
(8) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 243/1 ، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : 126 .
(9) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : 126 .

ولا يكاد البلاغيون المحدثون يخرجون عن فهم البلاغيين الأوائل للإيجاز تعريفًا ووظيفةً وأنواعًا ، فقد تحدث عنه الدكتور أحمد مطلوب قائلاً : " التعبير عن المعنى بألفاظ قليلة تدلّ عليه دلالة واضحة "[1] .

كما تحدث عنه الدكتور (بسيوني عبد الفتاح) بقوله : " عرض المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح ؛ ليسهل تعلقها بالذهن وتذكرها عند الحاجة إليها في المناسبات المختلفة "[2] .

وأبرز ما تبيّن من دلالات مصطلح (الإيجاز) – في اللغة والاصطلاح – يمكن حَصْرَه بما يأتي :

1- الإشارة أو التلميح .
2- اتّساع المعنى وقلّة اللفظ .
3- انتقاء الألفاظ وتهذيبها بما يحسن به التعبير عن المعنى .
4- القلّة في اللفظ والتأويل في المعنى .
5- الخفة والسرعة والقصر مع إبقاء المعنى من غير إخلال .
6- اختزال في اللغة .

الإطناب لغةً واصطلاحًا

الإطناب لغةً : تسهم العناصر اللغوية المضافة إلى السياق في إعطاء بُعد فني ومُعْطَى دلالي جديد يترسم خطواته من خلال التتابع اللغوي لبيان المعنى أو توجيهه أو توكيده ، وتؤسس تلك العناصر بتشابكها مع عناصر النصّ بُعدًا مقصودًا تحققه وظيفتها بوصفها أشكالاً إطنابية تستمد وجودها من البناء اللغوي الذي أسّسه الموروث التراثي للفظة (طَنَبَ)[3] ، وترد هذه اللفظة في المعجمات اللغوية بمفاهيم كثيرة اتّسمت بالتقارب ، وهذه المفاهيم هي (الطول ، والتتابع ، والمبالغة في الأمر) .

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 347/1 .
(2) علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني) بسيوني : 491 .
(3) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : 9 .

جاء في (العين) : أنّ الإطناب هو مصدر أَطْنَبَ ، وإطناب الشجر عروقها ، وإطناب الجسد : عصب يصل المفاصل والعظام ويشدّها[1] ، فتبرز في قول الخليل إشارة لوظيفة الإطناب المادية المتمثلة بالامتداد والإطالة الحسيّة والتي بدورها تسهم في انسيابية حركة الشيء ، والوظيفة المعنوية المتمثلة بكونه مرتكزًا للشيء وقوامه[2] ، وقد انتقلت دلالة اللفظ من الدلالة المادية إلى الدلالة المعنوية (اللفظية) عند الأزهري (ت370هـ) حيث قال : " أَطْنَبَ في كلامِهِ : إذا أبعَدَ "[3] .

وأشار إليه ابن منظور بقوله : " أطنبَ في الكلام : بالغَ فيه ، وأطنبت الإبل : إذا تَبِعَ بعضها بعضًا ، وفرسٌ أطنب : طويل الظهر ، ونَهْرٌ مُطْنِب : بعيد الذهاب "[4] .

أمّا الزمخشري فقال : " هذه شجرة طويلة الأطناب : وهي العروق ، وطنَّب في البلد : أطال الإقامة فيها "[5] .

الإطناب اصطلاحًا : أمّا من الوجهة الاصطلاحية فقد بحث البلاغيون في مصطلح (الإطناب) ووقوعه في الكلام ، ويُعدّ الجاحظ أقدم من تحدث عنه بدلالة قوله : " إنّه ليس بإطالة ما لم يُجاوز مقدار الحاجة ، ووقف عند منتهى البُغية "[6] .

ولم يغفل الرماني عن تناول (الإطناب) بالذكر ويعدّه نوعًا من البلاغة ؛ لأنّ المعنى في بعض الحالات يحتاج إلى تفصيل فيحسن بذلك تفصيله[7] ، وعبّر عنه

---

(1) ينظر : العين (طَنَبَ) .
(2) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : 9 .
(3) تهذيب اللغة (طنب) .
(4) لسان العرب (طنب) .
(5) أساس البلاغة (طنب) .
(6) الحيوان : 7/6 ، وينظر : البلاغة عند الجاحظ : 80 .
(7) ينظر : النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : 78 – 79 .

السكاكي بقوله : " هو أداؤه بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل "[1] .

وحدَّهُ ابن الأثير بقوله : " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة "[2] ، أمّا صاحب (الطراز) فقال : " هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد "[3] ، وذهب ابن معصوم المدني (ت1120هـ) إلى أنّ الإطناب هو بمعنى (الإسهاب) بل هو أخصّ منه ، فإنّ الإسهاب التطويل لفائدة أو بلا فائدة ، أمّا الإطناب فهو التطويل لفائدة[4] .

أمّا المحدثون فإنّهم لم يضيفوا شيئًا يُذكر على ما جاء به القدماء عن الإطناب ، فتعريفهم لا يختلف كثيرًا عن تعريف الرماني ، وابن الأثير ، وغيرهما ، فالإطناب عندهم هو " تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده "[5] .

وبالنظر البلاغي الدقيق إلى المرجعية المعجمية للإطناب وحدّه عند البلاغيين يمكن التوصل إلى الملاحظات الآتية :

1- يعدُّ الإطناب أبرز الظواهر الأسلوبية التي يُعبر بها عن المعنى الواحد بطرائق متعددة غدت أنماطًا دالة عليه كاشفة عن خصائصه ومقوماته .

2- يتوظف الإطناب في الكلام لإفادة جملة من الفوائد والدواعي والمسوغات والغايات البلاغية التي تتأتى بعد إعمال الفكر البلاغي وتيقظه ، واجتهاده في قراءة الجمل الإطنابية القراءة البلاغية الدقيقة ، ومعرفة ما تخفي وراء ثرائها اللفظي من اعتبارات ودقائق ومعانٍ وأسرار بلاغية[6] .

---

(1) مفتاح العلوم : 388 .

(2) المثل السائر : 344/2 .

(3) الطراز : 314 .

(4) ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع : 23/6 .

(5) جواهر البلاغة : 190 ، وينظر : علم المعاني (بسيوني) : 506 ، والبلاغة – فنونها وأفنانها – علم المعاني : 481 .

(6) ينظر : من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف : 187 .

3- إنّ المعنى اللغوي للإطناب لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي ، فكلاهما يعني التكثير ، والتطويل ، والمبالغة في الشيء ، سواء أكان في البعد الزمني أم البعد من حيث الحجم والمساحة ، وكذلك الزيادة ، والإضافة على الشيء لفائدة .

الإطناب وعلاقته بالإطالة والحشو

إنّ لكلّ مصطلح خصوصيته النابعة من أداء وظيفته وأثره في السياق ، وفي توجيه المعنى واستقراره من خلال السمات التي عُرف بها بعرف الاستعمال والمنبثق من المعنى اللغوي للمصطلح ؛ لذا فإنّه من الضروري الوقوف على أبرز المفاهيم التي تدخل في مضمون الإطناب ضمنًا ، وتدفع به بعيدًا عن غايته الحقيقية ، وهما : الإطالة والحشو[1] .

إنّ العلاقة بين الإطناب والإطالة تبدو واضحة من الناحية الشكلية المترسخة في الأصل اللغوي " الطول هو نقيض القصر ، وأطال الشيء : إذا امتدّ والطول الحبل الذي يطول للدابة فترعى "[2] ، فمدار الأمر هو الامتداد والسعة بين أمرين متلازمين ، ومن هذا المنطلق اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي ليقف إلى جانب الإطناب في تبني الموقع المقامي واختلافه في المركز الوظيفي[3] .

لقد فرّق البلاغيون بين الإطناب المحمود في البلاغة ، والتطويل الذي يفقد النصّ قيمته وحيويته ، وقدرته على التأثير والإثارة وعدّوه من عيوب الكلام وذلك ؛ لأنّ بسط الكلام وكثرته لا يكون حسنًا وفي المقام الذي يقتضيه إلاّ إذا كان لفائدة يجتنيها المتلقي من خلاله ويستفيدها منه[4] ، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ بدلالة قوله : " وأمّا المذموم من المقال ، فما دعا إلى المَلال ، وجاوز المقدار واشتمل على

(1) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : 24 .
(2) لسان العرب : (طَوَلَ) .
(3) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : 25 .
(4) ينظر : ظاهرة الإطناب في كتاب الكامل : 41 .

الإكثار ، وخرج من مَجْرى العادة ، وكلّ شيءٍ أفرط في طبعه ، وتجاوز مقدار وِسْعِهِ عاد إلى ضدّ طباعه ، فتحول البارد حارًّا ، ويصير النافع ضارًّا "[1] .

ويفرّق الرماني بين الإطناب والإطالة التي يعدّها نوعًا من (العي) ، وعقد تشبيهًا بليغًا في الفرق بين الإطناب والإطالة ، فالفرق بينهما كالفرق بين من يسلك طريقًا بعيدًا جهلاً منه بالطرق القريبة ، ومن يسلك طريقًا بعيدًا لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة ، فيحصل على غرضه من الفائدة[2] .

وعقد أبو هلال العسكري (ت395هـ) موازنة بين الإطناب والإطالة بدلالة قوله : " الإطناب بلاغة ، والتطويل عيٌّ ؛ لأنّ التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد يحتوي على زيادة فائدة "[3] ، ونلحظ الفرق الدقيق بين الإطناب والإطالة عند ابن الأثير ، إذ قال : " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل ، إذ التطويل زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة "[4] .

وقال أيضًا : " التطويل هو التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم المعنى بدونه ، فإذا حذفت تلك الزيادة بَقِيَ المعنى المُعبر عنه على حاله لم يتغير منه شيءٌ "[5] ، أمّا الإطناب فهو بخلاف ذلك : " فإذا حذفت منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغيّر ذلك المعنى وزال ذلك التأكيد عنه ، وذهبت فائدة التصوير والتخييل التي تفيد السامع ما لم يكن إلاّ بها "[6] . والفائدة تعني تحقيق هدف معين ، أو إضافة معنى جديد إلى اللفظ الأصلي .

---

(1) رسائل الجاحظ : 152/4 .

(2) ينظر : النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : 79 .

(3) كتاب الصناعتين : 197 .

(4) المثل السائر : 344/2 .

(5) المصدر نفسه : 383/2 .

(6) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

ووصف عبد القاهر الجرجاني (ت471 أو 474هـ) الحشو بقوله : " أمّا الحشو فإنّه كره وذمٌّ ؛ لأنّه خلا من الفائدة ، ولم يخلُ منه بعائدة ، ولو أفاد لم يكن حشوًا ، ولم يُدعَ لغوًا "[1] .

وقال العلوي في الفرق بين الإطناب والإطالة : " الإطناب صفة محمودة في البلاغة ، بخلاف التطويل فإنّه صفة مذمومة في البلاغة ؛ لأنّ الإطناب يجيء من أجل الفائدة بخلاف التطويل ، فإنّه يكون من غير فائدة "[2] .

ولقد أكّد القزويني (ت739هـ) الفارق المعنوي بين الإطناب والإطالة والحشو ، وهو ما زاد على متعارف الأوساط إمّا بفائدة ، أو بلا فائدة ، إذ ينقسم الكلام على ثلاثة أقسام على اعتبار الفائدة وهي : الإطناب ، والتطويل ، والحشو فقال : " فإنّ قولنا : لفائدة ، احتراز من شيئين : أحدهما : التطويل الذي لا يتعين الزائد من الكلام ، والحشو الذي يتعين الزائد منه "[3] .

ولقد عرّف الشريف الجرجاني (ت816هـ) (التطويل) فقال : " هو أن يزاد اللفظ على أصل المراد ، وقيل : هو الزائد على أصل المراد بلا فائدة "[4] ، وعرّف (الحشو) بقوله : " الحشو في الاصطلاح : عبارة عن الزائد الذي لا طائل تحته "[5] .

ومن أمثلة الحشو قول الشاعر[6] :

ألا حبَّذا هندُ وأرضٌ بها هندُ وهندُ أتى من دونها النأيُ والبعدُ

فـ (النأي والبعد) بمعنى واحد ، وإذا أسقطنا إحدى الكلمتين لما تغيّر المعنى ، فالزيادة هنا لغير فائدة ، أو إضافة جديدة إلى المعنى .

---

(1) أسرار البلاغة : 18 .
(2) الطراز : 315 .
(3) الإيضاح : 177/1 – 178 .
(4) التعريفات : 53 .
(5) المصدر نفسه : 77 .
(6) علم المعاني (بسيوني) : 508 ، وينظر : علم المعاني (حسن طبل) : 129 .

ومثله ما جاء في قول زهير بن أبي سُلمى[1] :

وأعلمُ علمَ اليوم والأمسِ قبلَهُ ولكنّني عن علمِ ما في غدٍ عُمِ

والحشو هنا في قوله : (قبله) ؛ لأنّه معلوم من قوله : (أمسِ) ، فالزيادة متعينة لما دلّ عليها .

وبهذا يتضح لنا أنّ زيادة كلمة أو عدم فائدتها يحتاج إلى دلالة وتمحيص لمعنى الكلمة والمقام والحال التي قيلت فيها الكلمة ، ولا نستطيع أن نقطع بعدم الفائدة إلاّ إذا أحطت بالسياق وعرضت قرائن أحواله[2] .

وهكذا فإنّ " الإطناب والتطويل متقابلان ، وأولهما بلاغة وحسن أداء ، وثانيهما عيٌّ وعيب في البيان "[3] ، أي أنّ الإطناب هو من مراتب البلاغة والبيان ، أمّا التطويل والحشو فإنّهما بعيدان عن مراتب البلاغة والبيان ، وبمعزلٍ عنهما .

بلاغة الإيجاز والإطناب عند الكُتّاب

ازدهرت الرسائل والمكاتبات والتوقيعات في العصر العباسي ، إذ اتخذها الأدباء وسيلة لتصوير عواطفهم ومشاعرهم من خوف ورجاء ورهبة ورغبة ومديح وهجاء وعتاب وتهانٍ وتعزية واستعطاف ، وبذلك نافست الشعر في مجالاته الخاصّة[4] ، وكانت هذه الرسائل والمكاتبات مسرحًا لاستعراض البراعة في إنشاء اللغة والافتنان بالألفاظ والتراكيب والأسجاع والصور الفنية[5] ، ويعدُّ (الأسلوب) هو وسيلة الأديب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة من سواها لا سيّما في اختيار المفردات وصياغة العبارات والإيقاع والتشابه[6] ، فالأسلوب يدلّ

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى : 13 ، وينظر : الإيضاح : 182/1 ، وظاهرة الإطناب في كتاب الكامل : 43 .

(2) ينظر : علم المعاني (د. حسن طبل) : 49 .

(3) المعجزة الكبرى في القرآن : 279 .

(4) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف : 562 .

(5) ينظر : رسائل وفصول ابن المعتز : 5 .

(6) ينظر : المعجم الأدبي 20 ، والتفسير النفسي للأدب : 13 .

على طريقة التعبير والتفكير والتصوير[1] ، ومن دلالات الأسلوب المهمة انحصاره في تفجير الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيّز الوجود اللغوي[2] .

ويمكن القول : إنّ الأسلوب بوجه عام هو تعبير وتمثيل وتجسيد لشخصية الأديب الفكرية والفنية ، وهو أيضًا تعبير عن ثقافته ، وخبايا نفسه ومحيطه ومجتمعه ؛ لذا كانت هناك عوامل تساهم في خلقه وصنعه مثل : شخصية الأديب نفسه ، إذ إنّ لكلّ كاتب أسلوبه في التأليف وفي الإنشاء ، يُعبّر عن أفكاره ومشاعره وبراعته الأدبية ، فبعضهم رَكِبَ الصعب من الأساليب ، وبعضهم اتّبع الأساليب السهلة[3] .

ومن العوامل الأخرى التي تسهم في خلق الأسلوب هو الموضوع المطروق الذي يختلف الأسلوب فيه من موضوع إلى آخر ، وثقافة الأديب ، والمنابع الفكرية التي استقى منها ، وتفقه عليها ، وتأدب بها ، ومحيطه الذي عاش فيه بكلّ ما يحمله من مؤثرات روحيّة وثقافية وإنسانية[4] .

ويُعدُّ الإيجاز والإطناب من أساليب التعبير المهمة ، إذ حقّقا علوّ البلاغة ودقة أصولها عند العرب ، وقد تحدث الأستاذ (أحمد الشايب) عن أسباب اختلاف الأساليب – ومنها الإيجاز والإطناب – والعوامل المؤثرة فيها حيث قال : " الموضوع هو السبب الأول الذي يقوم عليه اختلاف الأساليب ، ويراد بالموضوع الفنّ الذي يختاره الكاتب ليعبّر به عمّا في نفسه ، علمًا أو أدبًا ، نظمًا أو نثرًا ، مقالةً أو رسالةً أو خطابة ، فكلٌّ منها له أسلوبه الخاص الذي يلائم طبيعته "[5] .

---

(1) ينظر : الأسلوب : 54 .

(2) ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي : 72 .

(3) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، الزيات : 203 – 205 ، والنثر الفني وأثر الجاحظ فيه : 82 ، وفنّ الرسائل المشرقية في القرن السادس الهجري : 211 .

(4) ينظر : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي : 218 ، والنثر الأندلسي في عهدي (الموحدين وبني الأحمر) : 191 .

(5) الأسلوب : 54 .

ويقول أيضًا : " إنّ اختلاف الأساليب راجعٌ في جانب منه إلى تباين وتفاوت شخصيات الأدباء في المواهب العقلية والأذواق "[1] ، أمّا موضوع النصّ وما يقتضيه من أساليب فإنّه يجعل بعض الرسائل تتجه إلى الإيجاز ؛ لأنّ مقام المخاطب ومزاجه وظرفه يقتضي ذلك في حين يقتضي حالٌ آخر أن تكون الرسالة فيها إطناب ؛ لتغير ظروف المخاطب وطبيعة الموضوع ، فيحسن في الرسائل الوعظية أن يطنب ، وكذلك الحال في رسائل الوصف[2] ، وهناك عوامل أخرى منها اختلاف البيئات ، وتباين الأحوال الاجتماعية ، واختلاف أنظمة الحكم ، فكلّ هذا يؤدي إلى اختلاف الأساليب عند الكُتّاب[3] .

إذن فـ (الإيجاز والإطناب) ليس مما يوضع لهما قواعد ثابتة مستقرة ، بل هي رهن بما يُعرف بمقتضى الحال ، فإنّ الحال قد تستدعي أحيانًا إطنابًا وإفاضة ، وقد تستدعي أحيانًا أخرى اختصارًا واقتضابًا[4] ، وإنّ الكلام الذي يأتي على سبيل الإيجاز لا يكون بليغًا دائمًا ، فقد يكون من النافع في بعض الموارد أن يطنب المتكلم ، مثلما يكون من النافع أن يوجز في بعضها الآخر ، وهذه الحقيقة مُستمَدّة من واقع نفسي أكّده البلاغيون ، وهو ربط بلاغة الكلام بمدى مطابقته لمقتضى حال الخطاب ، وقد رُوِيَ عن الجاحظ قوله : " وربّما كان الإيجاز محمودًا ، والإكثار مذمومًا ، وربّما رأيت الإكثار أحمد من الإيجاز ، ولكلٍّ مذهبٌ ووجهٌ عند العاقل ، ولكلّ مكانٍ مقال ، ولكلّ كلامٍ جواب ... والتقليل للتخفيف ، والتطويل للتعريف ، والتكرار للتوكيد ، والإكثار للتشديد "[5] ، وأنشد الجاحظ قوله[6] :

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(2) ينظر : الرسائل الإخوانية في العصر العباسي إلى سنة 300هـ : 97 .

(3) ينظر : الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة (العراق والمشرق الإسلامي) : 17 – 18 .

(4) ينظر : نحو المعاني : 162 – 163 ، ومقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث : 151 .

(5) البيان والتبيين : 152/4 .

(6) أنوار الربيع في أنواع البديع : 22/6 .

يرمونَ بالخطبِ الطِوال وتارةً وحي الملاحظِ خِيفةَ الرُّقباءِ

وعرّف ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) البلاغة في قوله : " البلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز ، مع حسن العبارة "[1] ، أو هي " شدّ الكلام معانيه وإن قَصُر ، وحسن التأليف وإن طال "[2] ، وهذا ما ذهب إليه أبو هلال العسكري حينما رأى " أنّ الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوعٍ منه ، فمن أزال التيسير في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ "[3] .

وقال ابن معصوم المدني : " كما أنّه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يُجمل ويوجز ، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يُفصل ويُشبع "[4] .

وسُئل بعض الحكماء عن البلاغة فقال : من أخذ معاني كثيرة فأداها بألفاظ قليلة ، وأخذ معاني قليلة فولّد منها لفظًا كثيرًا ، فهو بليغ ، وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز في غير عجز ، والإطناب من غير خطل ، وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ فأجاب : نشر الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحسن التأليف له إذا طال[5] .

وهكذا فإنّ (الإيجاز والإطناب) من الأساليب التي تقوم على مراعاة المقام وصولاً إلى درجة الجودة والإتقان ، فالحالة التي يكون عليها السامع تقتضي أسلوبًا معينًا من دون غيره ، وهذا يوضح أنّ كلّ أسلوب يناسب مقامًا خاصًّا ، وذلك تطبيقًا لكلّ مقام مقال[6] .

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 249/1 – 250 .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) كتاب الصناعتين : 196 .

(4) أنوار الربيع في أنواع البديع : 22/6 .

(5) ينظر : العقد الفريد : 241/2 .

(6) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 234 – 235 ، ونظرية المقام عند العرب : 39 .

ولقد أشار الدكتور (زكي مبارك) إلى علاقة الموضوع بالصياغة الفنية في قوله : " إنّ الموضوعات هي التي تحدد الصياغة "[1] ، ولهذا فقد ذهبوا إلى أنّ الإيجاز أليق بالمكاتبات والمخاطبات ، بينما يكون الإطناب محمودًا في الخطب والكتب التي يُقصد منها مخاطبة عوام الناس وجمهرتهم ، ولا سيّما في الترغيب والترهيب ، والإصلاح بين العشائر ، والإعذار والإنذار إلى الأعداء والعساكر وما أشبه ذلك[2] ، وسُئل أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) عن العرب هل كانت تُطيل ؟ فأجاب : " نعم كانت تُطيل ؛ ليُسمع منها ، وتُوجز ؛ ليُحفظ عنها "[3] .

وعليه يمكن القول : إنّ استعمال هذه الأساليب – الإيجاز والإطناب – واللجوء إليهما يحقق هدفين :

الأول : فنّي ، إذ من خلالهما يتمكن الأديب من اختيار الألفاظ الموحية الدالة ، وترتيب الجمل وتنسيقها ، أي صياغة الموضوع في ترتيب لغوي يناسب الموضوع المطروق ويعبر عنه من دون إخلال .

الثاني : دلالي ، حيث تعمل تلك الأساليب – الإيجاز والإطناب – على إيصال المغزى المراد توصيله إلى المتلقي بكلّ دقة ووضوح .

---

(1) النثر الفني في القرن الرابع : 28/1 ، وينظر : الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : 307 .

(2) ينظر : كتاب الصناعتين : 198 ، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : 139 .

(3) الخصائص : 83/1 ، وينظر : الإيجاز في القرآن الكريم : 26 .

الباب الأول

(الإيجاز)

الفصل الأول : إيجاز الحذف

المبحث الأول : حذف الجمل :

أ- حذف الجمل المعطوفة .

ب- حذف الجمل الحالية .

المبحث الثاني : حذف المفردات :

أ- حذف المفعول به .

ب- حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه .

ت - حذف المضاف إليه وإقامة المضاف مقامه .

ث - حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها .

ج - حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه .

ح - حذف الجار والمجرور .

خ - حذف المبتدأ .

د - حذف الخبر .

ذ - حذف الفاعل .

ر - إقامة المصدر مقام الفعل .

الباب الأول
الإيـجـــــاز
الفصل الأول
إيـجـــــاز الـحـــذف

مـن المُسَـلَّم بـه أنّ اللغـة العربيـة لغـة واسـعة جـدًّا ، إذ تضـمّ الملايـين مـن المفردات سواء أكانت مستعملة أم غير مستعملة ، وهذا الاتّساع والحذف مظهر من مظاهر هذا الإيجاز ؛ لذلك صار الحذف مُشارًا إليه في أساليب مبدعيها .

والحذف في **اللغة** هو الإسقاط ، وحَذْفُ الشيء : إسقاطُهُ ، وكذا قطعُهُ من طرفِهِ ، وحَذَفَ رأسَهُ بالسّيفِ حذفًا : ضَرَبَهُ فقطع منه قطعةً ، والحذف : الرَّمي عن جانبٍ ، والضرب عن جانبٍ ، تقول : حَذَفَ يَحْذفُ حَذْفًا ، وحَذَفَهُ حذفًا : ضربَهُ عن جانبٍ أو رماهُ عنه[1] .

أمّا من حيث **الاصطلاح** فهو يدلّ في علوم العربية المختلفة على إسقاطٍ خاص ، فله عند أهل العَروض والبديع والتصريف والنحو دلالات خاصّة تقضي كلّها بإسقاط شيءٍ خاصّ في المجال الذي يبحثه كلّ علمٍ من هذه العلوم[2] .

والحذف أسلوب من أساليب العربية ، وعُدَّ مظهرًا من مظاهر شجاعتها ، قال ابن جني (ت392هـ) : " والحذف من شجاعة العربية "[3] .

وبعد التعرّف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح لا بُدَّ من نقل قول أهل البيان فيه علمًا أنّهم وصفوه وصفًا يجعل القارئ يتشوق لمعرفة ماهيّة هذا الأسلوب إجمالاً وتفصيلاً ، ومعرفة كنهه ولطائفه ، وقد أحسن عبد القاهر الجرجاني في بيانه لبلاغة الحذف وروعته ، وإنّه أبلغ من الذكر بقوله : " هو بابٌ دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسّحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم

---

(1) ينظر : الصحاح (حذف) ، ولسان العرب (حذف) .

(2) ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون : 56/2 – 57 ، والكليات : 384 .

(3) الخصائص : 360/2 .

تنطق ، وأتمُّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن "[1] ؛ لذا فإنّ الحذف ضربٌ من الإيجاز ، فالمعاني الكثيرة والراقية يمكن أن تُنْجَز بعبارة محدودة الألفاظ ، قليلة الأحرف ، ولا بدَّ للمحذوف من دليل دالٍ عليه ، قال ابن كثير (ت774هـ) : " والحذف في الكلام إنّما يكون إذا دلّ دليلٌ عليه "[2] ، ومثله قول الزركشي (ت794هـ) : " إسقاط جزء من الكلام أو كلّه لدليل "[3] ، فنجد إقامة الدليل شرطًا رئيسًا لهذه الدلالة الاصطلاحية التي يؤديها (الحذف) ؛ لذا قال ابن جني : " وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة ، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه ، وإلاّ كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته "[4] ، أي إذا أُشكِلَ المعنى بذلك الحذف فهو من الحذف القبيح الذي ينقلب الغرض فيه إلى ضدّه وعكس المراد منه ، وهو ما يُعرف عند علماء العربية بالإخلال وهو : " أن يترك من اللفظ ما به يَتمُّ المعنى "[5] .

إنّ الإيجاز من الأساليب المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية ، وإن اختلف منظور كلّ منها عن الأخرى[6] ، فمنظوره عند البلاغيين هو : " أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات مُتعارف الأوساط "[7] ، ومتعارف الأوساط هو كلامهم على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم[8] ، أي أنّ الحذف يأتي على وجه يخالف المستوى الاعتيادي في التعبير ، ويتحقق نتيجة لمرونة اللغة ومطاوعتها في الاستعمال ، فيُعبر المتكلم عمّا يُريد التعبير عنه من

---

(1) دلائل الإعجاز : 111 .
(2) تفسير ابن كثير : 264/7 .
(3) البرهان في علوم القرآن : 67/3 .
(4) الخصائص : 360/2 .
(5) نقد الشعر : 245 .
(6) ينظر : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية في شعر البارودي : 139 .
(7) مفتاح العلوم : 388 ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن : 294/1 .
(8) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : 176/1 .

المعاني بصيغة فيها من الاقتصاد والإيجاز في العبارة ما لا تظهر أهميتها بعد إيراد المنتظر من الألفاظ[1] .

ويتبوّأ الحذف أهمية كبيرة في البحث الأسلوبي بوصفه (انزياحًا) عن مستوى التعبير الاعتيادي ، وهو يُشكل (ثغرة) تمهد الطريق للمتلقي لولوج النصّ[2] ؛ لتحليله وتأويل المحذوف وتخيله " فالإجراء الأسلوبي مؤلف بطريقة لا يمكن معها للقارئ أن يمرَّ بجانبه ولا أن يقرأه أيضًا دون أن يسوقه إلى ما هو جوهري "[3] ، وهذا الإجراء الأسلوبي يمنح النصّ قوّة تعبيريّة في سياق الكلام من خلال المقومات التي يمتلكها ، والتي تتمثل في قدرته الأسلوبية التي يتركها على النصّ من خلال كسر النَّسق ، والتتابع في الكلام الواحد داخل العبارة تاركًا فُسحةً جمالية على النصّ الذي يحويه بتعداد أسبابه التي يقدّرها المبدع للمتلقي لعلّ من أهمّها هو الإيجاز[4] .

فالحذف وسيلة من وسائل الإيجاز في إثراء أسلوبه وقيمه التعبيريّة ، وإلى هذا أشارت الدكتورة عواطف كنوش بقولها : " فالإيجاز هو المسلك الأسلوبي الشامل (السياق الكبير) ، والحذف والذكر هو المسلك الأسلوبي السياقي (السياق الصغير) ، فالسياق الكبير أو الشامل لا يلغي السياق الصغير أو الجزئي ، بل يجعل منه وسيلة أوليّة للإثراء الأسلوبي وقيمه التعبيريّة "[5] ، وعلى هذا تكمن قيمة الحذف الفنية في كونه " يستثير فكر المتلقي حول هذا المحذوف ، وما ارتبط به من علاقات دلالية ، فيتضاعف إدراك المتلقي وإحساسه بالفكرة التي تدلّ عليها العبارة ذات القوّة التعبيريّة ، أو ما توحي به من معانٍ ، كما يُدرك دورها في جلاء أبعاد النصّ كلّه ، وبسط قضاياه في شمول ونماء "[6] ، فللحذف دورٌ بارز في شغل ذهن المتلقي وإشراكه في مجريات النصّ ؛ ليقدّر ما يراه مناسبًا للسياق فهذا هو ما تهتم به نظرية التلقي ،

---

(1) ينظر : النثر الصوفي – دراسة فنية تحليلية : 292 .
(2) ينظر : جماليات الأسلوب والتلقي : 114 ، وقصار السور (دراسة أسلوبية) : 106 .
(3) معايير تحليل الأسلوب : 35 .
(4) ينظر : المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) : 109 .
(5) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني : 213 .
(6) في البنية والدلالة : 131 .

ويدلّ كذلك على قصدية الحذف ، فلا بدّ لكلّ انزياح أسلوبي من قصد يقصده منتج النصّ عن طريقه ، هدفه التأثير في المتلقي وإفهامه فحوى النصّ[1] .

والحذف من الأساليب التي استعملها العرب منذ القدم ؛ طلبًا للإيجاز والاختصار ، والاكتفاء بيسير القول[2] ، حيث يسهم إسهامًا فاعلاً في منح النصّ تأثيرًا ذا فعاليّة على المستويين : التركيبي والدلالي ، إذ يحول دون اكتمال عناصر الصياغة بما يبعدها عن الشفافيّة والوضوح التي يستطيع المتلقي اختراقها سريعًا إلى الناتج الدلالي ، فيزداد الكلام حُسنًا ، وتزداد النفس لذّة[3] .

ومن المبادئ الأساسية العامة لمفهوم الحذف حاجة المُعبِّر الفنية إلى استعمال هذا النسق من الأداء بحيث يكون العدول عنه إفسادًا له[4] ، وعلى هذا لا يمكن العدول عن الحذف إذا كان مقتضى الحال يوجبه ، وإنّ تركه يُفسد المعنى ويُذهب عنه الرونق والجمال ، ومِنْ ثَمَّ التأثير في المتلقي ، وإلى هذا ذهب الباقلاني (ت402هـ) بقوله : " والحذف أبلغ من الذكر ؛ لأنّ النفس تذهب كلّ مذهب في القصد من الجواب "[5] .

لقد شكّل الحذف ملمحًا أسلوبيًا وظّفه الكُتّاب لإحداث تأثير في المتلقي ، ولمّا كان هدفهم الأساس التعبير والتأثير ، فإنّهم كانوا يحاولون جاهدين إضفاء العنصر الجمالي للغة على نصوصهم ، فيحذف ما يمكن حذفه فاتحًا الأفق لخيال المتلقي ، ومنشطًا لأفكاره ذلك أنّ " خير الكلام ما يدفعك إلى التفكير ، ويستفزّ حسّك ومَلَكَتك ، وكلمّا كان أقدر على تنشيط هذه القدرات كان أدخل في القلب ، وأمسّ بسرائر النفس المشغوفة دائمًا بالأشياء التي تومض ولا تتجلى "[6] .

---

(1) ينظر : أسلوبية الحذف في نصوص السرد الوصفي القرآني : 108 .
(2) ينظر : البرهان في وجوه البيان : 150 .
(3) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : 221 – 222 .
(4) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 313 .
(5) إعجاز القرآن للباقلاني : 262 .
(6) خصائص التراكيب : 117 .

والحذف نوع من أنواع الإيجاز ، وقد ورد في مكاتبات الكُتّاب كثيرًا ، فهو من خصائص العربية ؛ لأنّ العرب تبتعد عن الإطالة ما أمكنها ذلك ؛ لأنّ أحسن الكلام عندهم كما قال الجاحظ : " ما كان قليله يغنيك عن كثيره "[1] ، ويقول الدكتور أحمد مطلوب : " فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب ، وكانوا يعدّون الإيجاز هو البلاغة "[2] .

إنّ موضوعًا كالحذف نال من الاهتمام الشيء الكثير ، ولا بدَّ له من فوائد توازي هذا الاهتمام ؛ لذا نرى أنّ كثيرًا من العلماء عدّدوا للحذف فوائد ونبهوا عليها في كتبهم ، ومن هذه الفوائد[3] :

1- مجرد الاختصار ، والاحتراز عن العبث لظهوره .
2- التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وإنّ الاشتغال بذكره يُفضي إلى تفويت المهم ، وهذه هي فائدة التحذير والإغراء .
3- التفخيم والتعظيم ؛ لما فيه من الإبهام .
4- التخفيف ؛ لكثرة دورانه في الكلام .
5- كونه لا يصلح إلاّ له .
6- شهرته ، حتى يكون ذكره وعدمه سواء .
7- صيانته عن ذكره تشريفًا له .
8- صيانة اللسان منه تحقيرًا له .
9- قصد العموم .
10- رعاية الفاصلة .

وبعد أن تعرفنا على الحذف واطّلعنا على فوائده ، بَقِيَ أن نتعرف على أنواعه ، وهذه المعرفة تزيد الموضوع وضوحًا وتكسوه جمالاً ، وأنواع الحذف هي[4] :

---

(1) البيان والتبيين : 59/1 .
(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 344/1 .
(3) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : 170/3 – 172 .
(4) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : 180/3 – 184 .

النوع الأول : الاقتطاع ، وهو حذف بعض حروف الكلمة ، والغرض من هذا النوع التخفيف لا غير ؛ لأنّه يُورث الخفة على اللسان عند النطق .

النوع الثاني : الاكتفاء ، وهو أن يقتضي المقام شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة ، ويختصّ غالبًا بالارتباط العطفي .

النوع الثالث : الاختزال ، وهو أقسام ؛ لأنّ المحذوف إمّا كلمة – اسم أو فعل أو حرف – أو أكثر .

النوع الرابع : الاحتباك ، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها ، هذا النوع أقرب إلى الدراسات البلاغية منه إلى الدراسات الأخرى ، فهو ينظر إلى قوّة التعبير والحبكة في الكلام ، أكثر مما ينظر إلى الأجزاء التركيبية للجملة ، والاحتباك هو أن يُحذف من الأول ما أُثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أُثبت نظيره في الأول .

والاحتباك يمكن أن تُدرك بنيته من خلال[1] :

1- تعلّقه بالحذف ، أي قيامه على بنية إيجازية ، والإيجاز وجه من وجوه تراكيب الجمل في العربية .

2- تضمّنه لمبدأ الحضور والغياب , أي حضور الدلالة مع غياب الكلمة المحذوفة .

لقد كان الحذف أحد وسائل الكُتّاب المؤثرة في إثراء النّص بالدلالات فهو : " اكتفاء باللمحة الدالة , وتكثيف لعطاء فنّي يُستشف من السّياق "[2] ؛ لذا نجد الكُتّاب يوظفون هذا الأسلوب في رسائلهم ؛ تحقيقًا للإيجاز , والنغم الصوتي الذي يُسهم في إضفاء النغم المؤثر في النصوص بالشكل الذي يجعل المُتلقي في تفاعل مستمر معه[3] , وعلى هذا فإنَّ الاتساق الصوتي عملية قصدية يشنها الأديب بالتوتر الذاتي حسب المقتضيات بحيث يجعل من الصوت صدى للمعنى[4] ,

فالصوت أحد الوسائل المؤثرة ؛ لما يولده من إيقاع في النّص .

---

(1) ينظر : قراءات بلاغية : 87 – 88 .

(2) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : 81 .

(3) ينظر : نثر أبي الفضل بن العميد (دراسة أسلوبية) : 101 .

(4) ينظر : دور الكلمة في اللغة : 98 ، والأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق : 69 .

وقد عرف النثر الفني في القرن الثالث الهجري إيجاز الحذف , فهو وسيلة من وسائل البلاغة في القول , ولما كان الكاتب يُقرّب لدى الحاكم أو الوالي لبلاغته , فقد تبارى الكُتّاب في إخراج كلامهم على أحسن حال , وأبْيَن عبارة , وكان خيرهم مَنْ أفهم وأوجز واقتصد في كتاباته ؛ لذا كانت عباراتهم في كثر من الأحيان قصيرة موجزة دالة مُعبّرة .

وأَلِفَ كُتّاب القرن الثالث الهجري الحذف في كتاباتهم ، لا سيّما عند التكرار والعطف بكثرة ، أمّا الحذف المؤدي إلى الالتباس فهو قليل عندهم ، وقد أشار (ابن المدبّر) إلى طبيعة الحذف في المكاتبات العامة بقوله : " ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك ، والمعنى المُلتبس ، فإنّه إن ذهب على مثل قوله تعالى : **ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ** [يوسف : 82] ، وقوله تعالى :**ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ** [سبأ : 33] احتاج أن يبيّن (أنّ معناه : اسأل أهل القرية وأهل العِير ، ومكركم بالليل والنهار) ... "[1] .

(1) الرسالة العذراء : 18 .

المبحث الأول
حذف الجمل

تُحذف الجملة في اللغة إرادة التخفيف ، وتجنبًا لطول الكلام ، ومنعًا للتكرار ، وقصدًا إلى الإيجاز والاختصار ، ويلحظ أنّ حذف الجمل يتمّ في الأساليب المركبة في أكثر من جملة مثل : الشرط ، والقسم ، والعطف ، والحال ، والمفعول به ، والمصادر ، والجار والمجرور[1] ، ومن الأساليب التي وردت بكثرة في كتابات القرن الثالث الهجري ما يأتي :

أ- حذف الجملة المعطوفة

ونظير هذا اللون من الحذف قول أحمد بن يوسف الكاتب في كتابٍ له في تهنئة بإفراق من مرض : " قد أذهبَ الله وَصَبَ العلة ونصبَها ، ووفَّرَ أجرَها وثوابَها ، وجعل فيها من إرغام العدوّ بعقباها أضعاف ما كان عنده من السرور بقُبح أُولاها "[2] ، فقد حذف الجملة المعطوفة طلبًا للإيجاز ، وتجنبًا للتكرار ، وتقدير الكلام : (قد أذهب الله وصبَ العلة ، وأذهب الله نصبَها ، ووفّر أجرَها ، ووفّر ثوابَها) .

ونلمس هذا الحذف في كتاب عبد الله بن طاهر إلى عُمّالٍ له شكاهم الرعيّة : " قد قدّمتُ إليكم الأعذار ، واحتَجَجْتُ إليكم الأنذار ... فإنّ الله تعالى جَعَلَ أيديَهم لنا طعامًا ، وألسنتَهم سلامًا ، وظلمَهم حرامًا "[3] ، فهذا النصّ يحمل في طيّاته أسلوب التحذير والإنذار بحقّ العُمّال وتقصيرهم تجاه الرعيّة ، وجاء فيه حذف جملة (جعل) ؛ لدلالة ما قبلها عليها ، وتقدير الكلام : (جعل أيديَهم لنا طعامًا ، وجعل ألسنتَهم سلامًا ، وجعل ظلمَهم حرامًا) ، وقد حقّق هذا الحذف الإيجاز في بلاغة

---

(1) ينظر : أصول التفكير النحوي : 261 ، وجماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم : 400 .

(2) العقد الفريد : 225/4 .

(3) خاص الخاص : 160 .

القول ، والحفاظ على السجع الصوتي في (طعامًا) ، (سلامًا) ، (حرامًا) ، فالكاتب يُحذر عُمّاله من التقصير تجاه الرعية ، وأداء حقوقهم المشروعة ، فإنّ الله تعالى قد جعل الخير في يد هذه الرعية ، فهي التي تزرع لتوفير الطعام ، وهي التي تدعو لهم بالسلامة وطول العمر ؛ لذلك فإنّ ظلمَهم عند الله تعالى يُعدُّ ذنبًا كبيرًا .

ومثله رسالة الجاحظ إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب في (المودة والخلطة) قال فيها : " ... جمعَ أريحيّة الشباب ، ونجابة الكهول ، ومحبّة السادة ، وبهاء القادة ، وأخلاق الأدباء ، ورشاقة عقول الكُتّاب في التغلغل إلى دقائق الصواب ، والحلاوة في الصدور ، والمهابة في العيون ، والتقدّم في الصناعة ، والسبق عند المحاورة ... "[1] ، فقد ذكر جملة (جمع) في بداية النصّ ثمّ حذفها في بقيّة أجزاء النصّ ؛ لدلالة المذكور على المحذوف ، وتقدير الكلام : (جمع أريحيّة الشباب ، وجمع نجابة الكهولة ، وجمع محبّة السادة ، وجمع بهاء القادة ، وجمع أخلاق الأدباء ، وجمع أخلاق عقول الكُتّاب في التغلغل إلى دقائق الصواب ، وجمع الحلاوة في الصدور ، وجمع المهابة في العيون ، وجمع التقدّم في الصناعة ، وجمع السبق عند المحاورة) ، فالمقام هنا مقام مدح مما يتطلب من المتكلم الإيجاز البليغ ، وفي هذه الرسالة يُثني الجاحظ على أبي فرج الكاتب مبيّنًا فضائله ، واصفًا إيّاه بكلّ الصفات الحسنة التي تجلّت في كرمِهِ ونبلِهِ ، فقد جمع حرية الشباب ونشاطه ، وحكمة الكهولة ووقارها ، وجمع أخلاق الكُتّاب ونباهة عقولهم في التغلغل والبحث عن الصواب ، وغيرها من الصفات الحسنة التي تحلّى بها أبو فرج الكاتب .

ومن نصوص ابن المعتز قوله في شكر الله سبحانه وتعالى على خلقه لعباده ، ومَنِّه عليهم بالنعم الوفيرة : " الحمد لله الذي لمّا خلق الإنسان جعل عقله دليله ، والرّسل هُدَاته ، والملائكة رُقباءَهُ ، والشهود عليه جوارحه ... "[2] ، فذكر جملة (جعل) في أوّل النصّ وحذفها في بقية أجزاء النصّ ؛ لدلالتها على ما بعدها إيجازًا واختصارًا ، فتقدير القول : (جعل عقله دليله ، وجعل الرّسل هُداته ، وجعل الملائكة

(1) رسائل الجاحظ : 202/4 .

(2) من فصول ابن المعتز : 47 .

رُقباءَهُ ، وجعل الشهود عليه جوارحه) ، فالكاتب يشكر الله سبحانه وتعالى لما ميّز به الإنسان بالعقل الرشيد ، والذي ميّزه من سائر خلقه ، وبعث الرسل لهدايته إلى طريق الصواب ، وجعل من الملائكة رُقباء عليه ؛ حتى لا يقع في الخطيئة ، وجعل جوارح الإنسان شهودًا عليه يوم القيامة لكلّ أقواله وأفعاله .

ب – حذف الجملة الحالية

ونلمس هذا اللون من الحذف في قول سعيد بن حميد في رسالة اعتذارية يتلطّف بها ، اعترف فيها بذنبه ، وطلب الصّفح ، واستئناف الصلة ، ونسيان الخلاف بدلالة قوله : " ... وأنا من لا يُحاجّك عن نفسه ... ولا يستعطفك إلاّ بالإقرار بالذنب ، ولا يستميلك إلاّ بالاعتراف بالجرم ... "[1] ، فجاء حذف الجملة الحالية هنا ؛ للتخفيف على المتلقي ، وتقدير النصّ : (ولا يستعطفك إلاّ وهو مُقرٌّ بالذنب ، ولا يستميلك إلاّ وهو مُعترفٌ بالجرم) ، فهو لا يستعطف صاحبه ولا يستميله إلاّ عندما يكون في حالٍ يريد بها الاعتراف بذنبه والإقرار بجرمِهِ ، وقد أجاد الكاتب في إيجازه عن طريق تقليل اللفظ وتوسيع معاني الاعتذار إلى المكتوب له بلطفٍ ولباقةٍ .

وكتب ابن المعتز في فُراق : " كأنّ الدهر أبخل من أن يُمليني بكَ ، وأنكد من أن يسوغني قُرْبك ، وإنّي له لصابر إلاّ على فقدِك ، وراضٍ إلاّ ببعدِك "[2] ، يُلاحظ في هذا النصّ قوّة الاختصار في التعبير عن معاني الشوق والحنين لمحبوبه ، فقد استطاع تشخيص الدهر بأن جعله نِدًّا له يمنعه من الاجتماع بمحبوبه واللقاء به ، وجاء هذا الاختصار عن طريق حذف الجملة الحالية من النصّ ، وتقدير الكلام : (كأنّ الدهر أبخل من أن يُمليني بأن اجتمع بك ، وأنكد من أن يسوغني أن أكون بقربك ، وإنّي له لصابر إلاّ أن أصبر على فقدك ، وراضٍ إلاّ أن أرضَ ببعدِك) ، وقد دلَّ السياق على المحذوف .

---

(1) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 52 .

(2) رسائل ابن المعتز : 52 .

وكتب ابن المعتز قوله : " كما أنّ الشمس لا يخفى ضوؤها وإن كانت تحت السحاب ، كذلك الصّبي لا تخفى غريزة عقله وإن كان مغمورًا بأخلاق الحداثة "[1] ، فحذف الجملة الحالية (وهي مشرقة) للإيجاز والاختصار ، وتقدير الكلام : (كما أنّ الشمس لا يخفى ضوؤها وهي مشرقة) ، فالنصّ يشير إلى أنّ الإنسان العاقل الرصين يبقى محافظًا على رزانة عقله واتّزانه وإن كانت تحيط به نوازع الحداثة وأخلاقها ، التي تؤثر في الإنسان وسلوكه ، وقد شبهه بضوء الشمس الذي لا يختفي حتى وإن كان تحت السحاب .

وقال ابن المعتز أيضًا : " الدهر سريع الوثبة ، شنيع العثرة "[2] ، فحقق الكاتب الإيجاز في النصّ من خلال حذف الجملة الحالية ، فتقدير الكلام : (الدهر سريع الوثبة وهو مؤنسٌ ، شنيع العثرة وهو عابسٌ) ، فالنصّ يشير إلى أنّ سعادة الدهر قصيرة وسريعة ، وعثرته تكون شنيعة وطويلة .

---

(1) رسائل ابن المعتز : 64 .

(2) المصدر نفسه : 68 .

المبحث الثاني
حذف المُفردات

إنّ المتكلم يحذف أحيانًا بعض عناصر كلامه ؛ طلبًا للمُسحة البلاغية في عباراته من خلال إشراك السامع في تعيين المحذوف ؛ لذلك كان الحذف أكثر غناءً من الإظهار ، وأوسع قدرةً في إيصال المعنى ، وقد اشتمل هذا الضرب من الحذف على مرفوعات الأسماء ومنصوباتها ومجروراتها[1] ، ويمكن تصنيف حذف المفردات لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري حسب شهرتها وشيوعها على النحو الآتي :

أ – حذف المفعول به

يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ حذف المفعول به من الكلام أمسَّ حاجةً من غيره من أنواع الحذف الأخرى ، وهو أبرزها ، وفيه من البلاغة ما يكسو الكلام حُسنًا ورونقًا ، ويكون داعية للإعجاب والإكبار ، إذ قال : " فإنّ الحاجة إليه أمسَّ وهو بما نحن بصدده أخصُّ ، واللطائف كأنّها فيه أكثر ، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر "[2] ، وهو ما ذهب إليه ابن الأثير في قوله : " فإنّ اللطائفَ فيه أكثرُ وأعجبُ "[3] .

إنّ تغييب المفعول به من النصّ يفتح المجال واسعًا للتأمل لدى المتلقي ، بما يدفعه إلى البحث عن فاعلية الانزياح المكثف لهذا المجهول المتواري ، وما هي الإمكانيات الجمالية التعويضيّة التي منحها هذا العنصر المغيّب للنصّ ، حيث ولَّد حذف المفعول به بُعدًا إيحائيًا خصبًا نستشعر مكامن جماله من خلال عناصر الحضور التي تشير إلى عناصر الغياب[4] .

إنّ حذف المفعول به لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري يحقّق بلاغة متميزة ، من ذلك قول أحمد بن يوسف الكاتب في البخل : " فإنّ البخل والشؤم صارا معًا في

---

(1) ينظر : التأويل النحوي في معاني القرآن للفراء : 95 .
(2) دلائل الإعجاز : 118 .
(3) المثل السائر : 291/2 .
(4) خصائص الأسلوب في شعر البحتري : 183 .

سهمِهِ ، وكانا قبل ذلك في قِسْمِهِ ، فحازهما بالوراثة ... فهو لا يُصيب إلاّ مُخْطيًا ، ولا يُنفق إلاّ كارهًا ، ولا يُنصف إلاّ صاغرًا "[1] .

وجاء حذف المفعول به في هذا التركيب مبالغةً في ذمّ البخيل ، إذ يترك الأمر مفتوحًا للقارئ في تقدير المفعول به ، والذي لا يجد البخيل جديرًا به ، وتقدير القول : (لا يُصيب الحقَّ إلاّ مخطيًا ، ولا ينفق المال إلاّ كارهًا ، ولا ينصف المرء إلاّ صاغرًا) ، وقد ساعد هذا الحذف في الحفاظ على السجع الصوتي في قوله : (مخطيًا) ، (ناسيًا) ، (كارهًا) ، (صاغرًا) كما أضاف مُسْحةً جمالية على النصّ من خلال فتح آفاق التأمل والتأني في تقدير المحذوف الذي يجده مناسبًا للمعنى المقصود .

ونلمح هذا الحذف في قول سهل بن هارون في رسالة (البخل) : " ... وعبتموني حين قلت للغلام : إذا زِدتَ في المرق فزِد في الإنضاج ... "[2] ، لو أمعنا النظر في هذا النصّ لوجدنا أنّ حذف المفعول به جاء في ركني الجملة الشرطية ، أي جملة فعل الشرط ، وجملة جواب الشرط ، وتقدير القول : (إذا زِدتَ الماء في المرق فزِد الوقت في الإنضاج) ، وبما أنّ التوجه في النصّ توجّه بخل ، فقد سهّل على المتلقي تقدير المحذوف ؛ ذلك أنّ زيادة المرق تكون بزيادة مكوناته الأصلية مع الماء لكنّنا اقتصرنا على (الماء) وقدّرناه مفعولاً به ؛ لأنّه أسهل اقتصادًا وغير مُكلِف على الكاتب ، وكذلك زيادة إنضاج المرق تحتاج إلى زيادة النار والوقت لكنّنا اقتصرنا على (الوقت) وقدّرناه مفعولاً به ؛ لأنّه غير مُكلِف .

ونلمس هذا الحذف عند سهل بن هارون أيضًا حين عقّب على كلام المأمون بعد أن خطب بجمعٍ من الناس ، فتكلّم المأمون بكلامٍ فذهب فيه كلَّ مذهب ، فلمّا فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال : " ما لكم تسمعون ولا تَعُون ، وتشاهدون ولا تفقهون ... "[3] ، فالحذف هنا جاء لتوجيه الاهتمام إلى خُطبة المأمون ومدحه ، ووصفه بالحذق والذكاء ، يقابله ذمّ المخاطبين

---

(1) أمراء البيان : 233/1 .

(2) البخلاء : 35 .

(3) سرح العيون : 245 .

؛ لعدم تفقّههم كلامه ومذهبهم فيه ، وتقدير المفعول به المحذوف في النصّ : (ما لكم تسمعون القول ولا تعونه ، وتشاهدون الحقَّ ولا تفقهونه) ، فقد كان الحذف هنا أحد وسائل الكاتب في إثراء النصّ بالدلالات الموحية التي تُداعب مشاعر المأمون وعواطفه ، وتساعد في التقرّب إليه بعد أن استثقل المأمون سهلاً لطول غيابه ، وقد عَلَّق (عبد الحكيم بلبع) على هذا النصّ بقوله : " وسهل هنا يستخدم علم النفس في البرهنة على القضية التي تصدّى لها "[1] ، أي أنّ سهلاً قد وظّف الحذف هنا في التعامل مع نفسيّة المأمون من جانبٍ ، ونفسيّة الناس من جانب آخر ، فضلاً عن الحفاظ على موسيقى النصّ وانسجام سجعه .

وانظر أيضًا إلى قول إبراهيم بن العباس الصّولي إلى ابن الزيات مستعطفًا إياه : " كتبت وقد بَلَغَتِ المُديةُ المَحَزَّ ... "[2] ، فحذف المفعول به ، وتقدير القول : (كتبتُ الرسالة وقد بلغتِ المُدية المَحَزَّ) ، وهذا الحذف من شأنه أن يُداعب مشاعر ابن الزيات ، ويستميل قلبه نحو الصّولي .

وكتب سعيد بن حميد مُوَصِّيًا : " من شكر فقد قضى حقَّ النعمة ، واستوجب من المُنعِم الزيادة ... "[3] ، فحُذِفَ المفعول به ، وتقدير النصّ : (من شكر المُنعِمَ فقد قضى حقَّ النعمة) ، وقد دلّ ما بعده على المحذوف ، وهو قوله : (واستوجب من المُنعِم الزيادة) ، ولعلّ الكاتب قصد بـ (المُنعِم) لفظ الجلالة (الله) ؛ لأنّ معنى النصّ مقتبس من قوله تعالى :**چڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ چ** [إبراهيم : 7] .

وكتب أبو العيناء رسالةً إلى أبي نوح يهنئه بإسلامه ، وفيها يقول : " لقد عَظُمَت نعمة الله عليك ، في منابذة أهل الذِّلة والصَغَار * ... لقد قَدَحْتَ فأوريتَ ، واستضأتَ فاهتديتَ ، ومَخَضتَ الأمرَ ثمّ اقتنيتَ ... "[4] ، فجاء حذف المفعول به للحفاظ على التلوين الصوتي القائم على الترصيع في (قَدَحْتَ) ، (استضأتَ) ،

---

(1) النثر الفني وأثر الجاحظ فيه : 161 .

(2) معجم الأدباء : 170/1 .

(3) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 104 .

* الصّغار : من صارت نفسه صغيرة الشأن ذُلةً ومهانةً ، ينظر : أساس البلاغة (صغر) .

(4) جمهرة رسائل العرب : 138/4 .

(مَخَضْتَ) ، والسجع في (أوريتَ) ، (اهتديتَ) ، (اقتنيتَ) ، وتقدير الكلام : (قد قدحتَ الإسلام فأوريته ، واستضأتَ الحقَّ فهديتَ الناسَ ، ومَخَضْتَ الأمرَ ثمّ اقتنيته) ، ويبدو أنّ الكاتب كان معجبًا بأبي نوح في اختيار الوقت المناسب لإعلان إسلامه ، فقد دخل الإسلام خِفيةً ، واستوعب الدين الإسلامي ، وأدرك الحقَّ فيه واهتدى بهديه ثمّ أعلن إسلامه للملأ جميعًا .

وانظر أيضًا في كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان : " أنا – أسعدك الله – على الحال التي عَهِدْتَ ، وميلي إليك كما عَلِمتَ ... "[1] ، فحذف المفعول به من النصّ ، وتقديره : (على الحال التي عَهِدتها ، وميلي إليك كما عَلِمته) ، فإنّ القول السابق قد دلَّ على المفعول به المحذوف ؛ طلبًا للإيجاز وتجنبًا للتكرار ، ويبدو على النصّ طابع التودد والتقرّب للمخاطب ، فجاء هذا الإيجاز لتحقيق هذه الغاية المنشودة .

ب – حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

ومن أنواع الحذف حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وقد أشار السجلماسي (ت704هـ) إلى هذا الحذف بقوله : " وحذف المضاف وإبقاء المضاف إليه مجازٌ واسعٌ كثيرٌ ... وكثرته خارجة عن الإحصاء حتى لقد ظنّ قومٌ أنّه حقيقة لا مجاز "[2] ، ومن ذلك على سبيل المثال رسالة أحمد بن يوسف الكاتب في الاعتذار : " ... فإنّ الله يعلم أنّ قلبي لم يُصِرَّ لك على قطيعة ، وكلّ ذنب كان أصله الاستبطاء لدالّة الحُرْمة ، والاستعطاف بماتَّةِ الخدمة ، فهو مما يُعدّ في الحسنات لا السيئات "[3] ، فحذف الكاتب المضاف (الميزان) من النصّ وأقام المضاف إليه مقامه (الحسنات) و (السيئات) ، وتقدير الكلام : (فهو مما يُعدُّ في ميزان الحسنات لا ميزان السيئات) ، عالج الكاتب رسالته الاعتذارية بأسلوب عذبٍ رقيق وألفاظ موجزة رصينة قائمة على المعاني الإنسانية التي من شأنها أن تبني

(1) زهر الآداب : 324/1 – 325 .
(2) المنزع البديع : 205 .
(3) جمهرة رسائل العرب : 378/3 .

العلاقات الحميمة بين الأهل والأصدقاء ، وإنّ قبول اعتذاره وندمه يُعدُّ من الأعمال الحسنة لا السيئة .

وقال الجاحظ في رسالة (التربيع والتدوير) : " ... لولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله الجنّة بالعرض دون الطول ... "[1] ، فحذف المضاف (الصفة) وأقام المضاف إليه مقامه (العرض) و (الطول) ؛ إيجازًا واختصارًا ، وتقدير القول : (لولا فضيلة صفة العرض على صفة الطول ؛ لما وصف الله الجنّة بصفة العرض دون صفة الطول) .

وكتب أبو العيناء إلى أبي نوح يهنئه بإسلامه : " لقد عَظُمَت نعمة الله عليك في منابذة* أهل الذِّلة والصَّغار ، والكفر والإصرار الذين أحلُّوا قومَهم دار البوار ... "[2] ، في هذا الكلام الذي يحمل طابع التهنئة حذف الكاتب المضاف (أهل) وجعل المضاف إليه مقامه (الكفر والإصرار) ، وتقدير الكلام : (وأهل الكفر والإصرار) فالحذف هنا حقّق الإيجاز ، فالمعنى واضح دلَّ عليه ما قبله فلا حاجة إلى التكرار فالعرب تحذف الكلمة إذا كان ذكرُها يؤدي إلى العبث[3] ، فضلاً عن تحقيق القيمة الجمالية والصوتية عن طريق السجع ، وهذا هو منهاج كُتّاب القرن الثالث الهجري .

ومثله قول ابن المعتز في الشيب : " الشيب أول مواعد الفناء "[4] ، فحذف المضاف (ظهور) وأقام المضاف إليه مقامه (الشيب) ، وتقدير الكلام : (ظهور الشيب أوّل مواعد الفناء)[5] ، فظهور الشيب في الشعر هو بداية اقتراب الإنسان من نهايته .

---

(1) التربيع والتدوير : 23 .

* أي مخالفة ، ينظر : لسان العرب (نبذ) .

(2) جمهرة رسائل العرب : 138/4 .

(3) ينظر : معاني النحو : 278/1 .

(4) رسائل ابن المعتز : 74 .

(5) ويدخل أيضًا في باب (حذف المبتدأ) .

وكتب ابن المعتز جوابًا عن اعتذار كان من الدمشقي في أمرٍ بلغه عنه : " ... فتجنّب ما يسخطني ، فإنّي أصون وجهك عن ذلّ الاعتذار "[1] ، فحذف الكاتب المضاف (ماء) وأقام المضاف إليه مقامه (وجهك) من النصّ ، وتقدير الكلام : (فتجنب ما يسخطني ، فإنّي أصون ماء وجهِكَ عن ذلّ الاعتذار)[2] ، لعلّ الكاتب أراد بإيجازه النصيحة للدمشقي بأن يتجاوز الأمور التي من شأنها أن تُغضب ابن المعتز عنه ، فإنّ ذلك يحفظ ماء وجهه عن مرارة ذلّ الاعتذار .

وقال ابن المعتز في حكمةٍ له : " ينبغي للعاقل أن يداري زمانه ، مُداراة السّابح للماء الجاري "[3] ، وجاء تقدير المضاف المحذوف من النصّ : (أن يُداري أهلَ زمانِهِ)[4] ، فإنّ قاعدة الحكمة أن تكون موجزة اللفظ كثيفة المعنى ، وتحقق هذا الإيجاز عن طريق الحذف ، فهذه الحكمة تنطوي على نصيحة للعاقل الذي يعرف مقادير الأمور وعواقبها بأنْ يُراعي عادات مجتمعه وتقاليده ويحافظ عليها ؛ لأنّ مُخالفتها تدفعه إلى التهلكة ، وقد شبّه ذلك بالسابح الذي يَسْبح باتّجاه جريان الماء ، فإن سبح عكس اتّجاه الجريان أدّى إلى هلاكِهِ .

ت – حذف المضاف إليه وإقامة المضاف مقامه

وقد يحذف الكاتب المضاف إليه ويقتصر على ذكر المضاف ، من ذلك قول سهل بن هارون : " ثلاثة يعودون إلى أجنّ المجانين ، وإن كانوا أعقل العقلاء ... "[5] ، فحذف هنا المضاف إليه واقتصر على ذكر المضاف ، وتقدير الكلام : (ثلاثة أشخاص يعودون إلى أجنّ المجانين) ، فهذا الحذف يسهم بترشيق العبارة ،

(1) رسائل ابن المعتز : 55 .
(2) ويدخل هذا أيضًا في باب (حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه) .
(3) رسائل ابن المعتز : 71 .
(4) ويدخل هذا أيضًا في باب (حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه) .
(5) البيان والتبيين : 121/2 .

وتزويق الأسلوب ممّا يجعله أكثر وقعًا في نفس المتلقي ؛ للدلالة على المراد بأوجز لفظ .

وكتب إبراهيم بن العباس الصولي عن المتوكل قائلاً : " أمّا بعدُ ، فإنّ أمير المؤمنين يرى من حقِّ الله عليه ... استعمال ثلاث يُقدِّم بعضهنَّ على بعضٍ ، أولاهنّ ما يتقدّم به من تنبيه وتوقيف ، ثمّ ما يستظهر من تحذير وتخويف ، ثمّ التي لا يقع بحَسْم الدّاء غيرُها "[1] ، فقد حذف المضاف إليه واقتصر على المضاف ، وتقدير الكلام : (استعمال ثلاث عقوبات ...) حيث يسهم الحذف بتحقيق تأثير ذي فاعلية في هذا النصّ الذي يحمل الطابع التحذيري للخارجين عن القانون بعقوبات ثلاث ، وهي : التنبيه ثمّ التخويف ثمّ القتل .

وقال الجاحظ مُخاطبًا (أحمد بن عبد الوهاب) في رسالة (التربيع والتدوير) : " وأشهدُ بعدُ أنّك تُخاشن عمرو بن بحر الجاحظ وتُعاقِله ، ثمّ تظارفه وتطاوِلُه ... "[2] ، فقد حذف المضاف إليه بعد قوله : (بعدُ) ، وتقدير الكلام : (أشهدُ بعدَ كلِّ الذي قلتَهُ) ، وقد تضمّن حذف المضاف إليه إيجازًا بليغًا واختصارًا لا تُنكر براعتهما على الجاحظ .

ونظير ذلك الحذف نجده في قول ابن المُدبِّر في (الرسالة العذراء) : " وخاطب كُلاً على قدر أُبَّهتِهِ وجلالتِهِ ، وعلوّهِ وارتفاعِهِ ، وتفطّنِهِ وانتباهِهِ ... "[3] ، فحذف الكاتب المضاف إليه بعد (كُلاً) ، وتقدير الكلام : (وخاطب كلّ امرئ على قدر أُبّهته) ، وقد أشار من خلال هذا الإيجاز إلى تحديد مستوى الألفاظ والعبارات بما تقتضيه رتبة المخاطب ، فالألفاظ والعبارات المختارة لمخاطبة الخليفة هي غيرها لمخاطبة الوزير ، وهي غيرها لمخاطبة أمراء الثغور ، وهذه غيرها لمخاطبة قوّاد الجيش ، فهي تختلف بحسب المراتب من الأعلى إلى الأدنى .

---

(1) وفيات الأعيان : 10/1 .

(2) التربيع والتدوير : 28 ، وينظر : الإيجاز في كلام العرب ونصّ الإعجاز : 159 .

(3) الرسالة العذراء : 10 .

ث – حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها

إنّ حذف الصفة له أثرٌ واضحٌ في بلاغة العبارة ، وأكثر ما يرد هذا الحذف في النكرات للتعظيم والتفخيم حتى " كأنّ التنكير حينئذٍ عَلَمٌ عليه "[1] من ذلك قول إبراهيم بن العباس الصولي في تحميدٍ له : " الحمدُ لله مُعزِّ الحقّ ومُدِيله* ، وقامع الباطل ومُزيلِه ، الطالب فلا يفوتُهُ من طَلَب ، والغالب فلا يُعجِزُهُ من غَلَبَ ، مؤيِّد خليفتِهِ وعبدِهِ ، وناصر أوليائه وحزبه ، الذين أقام بهم دعوتَه ، وأعلى بهم كلمتَهُ ، وأظهر بهم دينَهُ ، وأدال بهم حقَّهُ ، وجاهد بهم أعداءَهُ ، وأنار بهم سبيلَهُ ... "[2] ، فقوله : (خليفته وعبده) ، (أوليائه وحزبه) ، (دعوته) ، (كلمته) ، (دينه) ، (حقّه) ، (أعداءه) ، (سبيله) موصوفات إلاّ أنّ الكاتب لم يثبت لها صفات محددة ؛ ليفتح آفاق التخيل لدى المتلقي في تقدير الصفة المحذوفة بما يتلاءم ومعنى النصّ ، وتقدير النصّ : (مؤيِّد خليفتِهِ وعبدِهِ الصالح ، وناصر أوليائِهِ وحزبِهِ المُخلصين الذين أقام بهم دعوتَه الكريمة ، وأعلى بهم كلمتَهُ الحقّة ، وأظهر بهم دينَهُ المجيد ، وأدال بهم حقّه العظيم ، وجاهد بهم أعداءَهُ الماكرين ، وأنار بهم سبيلَهُ القويم) ، وجاء هذا الحذف لتعظيم شأنه تعالى ، وما أنعم على عبده ، فقد أعزَّ الحقّ وقمع الباطل ، ونصر أولياءَهُ وخذل أعداءه ، وأنار طريق الحقِّ ، ووظّف الكاتب الحذف للحفاظ على السّجع الصوتي في نهاية فواصله (مديله ، مزيله ، طلب ، غلب ، عبده ، حزبه ، دعوته ، كلمته ، دينه ، حقّه ، أعداءه ، سبيله) ، فالحذف يُسهم في انسياب السّجع في اللسان بسلاسة من دون تلكؤ .

وقال الجاحظ في رسالة (التربيع والتدوير) : " ... فسبحان من جعل أخلاقَك وفق أعراقك ، وفعلك مثل قولك ... "[3] ، فقوله : (أخلاقك) ، (أعراقك) ، (فعلك) ، (قولك) موصوفات ، وحذف الصفة ؛ لتحريك ذهن المتلقي حيث يمكن تقديره :

---

(1) البرهان في علوم القرآن : 101/3 .

* مُديله : ناصره ، ينظر : لسان العرب (مَدَيَ) .

(2) جمهرة رسائل العرب : 154/4 .

(3) التربيع والتدوير : 54 .

(سبحان من جعل أخلاقك الكريمة وفق أعراقك العظيمة ، وفعلك الجريء مثل قولك الشجاع) ، وجاء هذا الحذف للمبالغة في السخرية من (أحمد بن عبد الوهاب) .

وقال ابن المعتز في دعاءٍ له : " تولّى الله عنّي مكافأتك ، وأعان على فعل الخير نيّتك ، وأصحب بقاءَك عزًّا ، وبسط يدك لوليّك ... "[1] ، فجاء حذف الصفة هنا ؛ للمبالغة في الدعاء لصاحبه بالصحة والسلامة والخير والعزّ الوفير ، والنعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال ، وتقدير الكلام : (وأعان على فعل الخير نيّتك الصادقة ، وأصحب بقاءَك عزًّا لا زوال له) .

وكتب ابن المعتز أيضًا في دعوة بالشفاء : " ... ومسح بيد العافية إليك ، ووجّه وافد السلامة إليك ، وجعل علّتك ماحيةً لذنوبِك ، مُضَاعفةً لثوابِك "[2] .

ويبدو على الرسالة الأسلوب الموجز الجميل في دعوته لصاحبه بالشفاء من علّته ، والدعاء له بأن يجعل علّته سببًا يمحو به ذنوبه ، ويُضاعف به ثوابه ، وجاء إيجازه بحذف الصفة والاقتصار على الموصوف ، فتقدير النصّ : (جعل علّتك ماحيةً لذنوبك القليلة ، ومضاعفةً لثوابِك العظيم) .

ج – حذف الموصوف وإقامة الصفة مُقامه

هذا النوع من الحذف له صفة جمالية مُتحققة من طبيعة التركيب ، وهو عند السجلماسي : " مهيعٌ رحبٌ ، وسبيلٌ نهج "[3] ، ووضع له شرطين :

الأول : أن لا تكون الصفة عامّة ، أي تختص الصفة بالموصوف المحذوف ، مثل : (رأيتُ ضاحكًا) ، فإنّ (ضاحكًا) تختصّ بالموصوف وهو الإنسان .

والثاني : تعلّق دلالة السياق بذكر الصفة من دون الموصوف كقوله تعالى :﴿ ﯧ ﯨ ﯩ ﴾ [آل عمران : 115] ، وقوله تعالى :﴿ ﭖ ﭗ ﭘ ﴾ [البقرة : 95] ، فإنّ

(1) رسائل ابن المعتز : 52 .
(2) زهر الآداب : 226/1 .
(3) المنزع البديع : 207 .

الاعتماد في سياق القول على مجرد الصفة ؛ لتعلّق غرض القول من المدح أو الذمّ بها[1] .

ومثال هذا الحذف أيضًا ، أنّ جُند جعفر البرمكي قد طالبوه بزيادة رواتبهم وأرزاقهم ، فكتب عمرو بن مسعدة عنه إليهم : " قليلٌ دائمٌ خير من كثير منقطع "[2] ، فحذف هنا الموصوف وهو (رزق) وأقام الصفة مقامه (قليل) ، وتقدير الكلام : (رزقٌ قليل دائمٌ خيرٌ من رزقٍ كثير منقطع)[3] ، فنلحظ في هذه العبارة الإيجاز الرائق البليغ ، والمُحكم التركيب ، والواضح العبارة الذي أراد به التقرّب من جعفر البرمكي ، وهذا يدلّ على ثقافته الواسعة ، ودربته الطويلة ، حيث أنّ الواقعة دلّت على المحذوف .

ونلمس هذا الحذف عند سهل بن هارون في رسالة (البخل) : " ... وزعمت أنّ كسب الحلال مضمّن بالإنفاق في الحلال ، وأنّ الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وأنّ الطيب يدعو إلى الطيب ... "[4] ، فحذف الكاتب الموصوف (الكسب) واقتصر على ذكر الصفات (الخبيث) ، (الطيب) ، وتقدير النصّ : (وأنّ الكسب الخبيث ينزع إلى الإنفاق الخبيث ، وأنّ الكسب الطيب يدعو إلى الإنفاق الطيب) ، فما قبله قد دلّ على الموصوف المحذوف ، فضلاً عن أنّ الطيب والخبيث يتعلّق بعمل الإنسان وما يكسبه منه .

وقال أيضًا في الرسالة نفسها : " ... لا جديدَ لمن لا يلبس الخَلَق ... "[5] ، فقد حذف الموصوف (الثوب) وأقام الصفة مقامه (الخلق) وتقديره : (لا جديد لمن لا يلبس الثوبَ الخَلَق)[6] ، فالنصّ ينطوي على النصيحة في الكسب الحلال الذي يجمع الإصلاح والتواضع ، ونبذ الحرام الذي يجمع التَّكبُر والإسراف .

---

(1) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(2) وفيات الأعيان : 145/3 .

(3) يدخل هذا أيضًا في باب (حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه) .

(4) البخلاء : 37 .

(5) البخلاء : 36 .

(6) يدخل هذا أيضًا في باب (حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه) .

ونلمح هذا الحذف أيضًا في قول إبراهيم بن العباس الصّولي في كتاب فتحٍ : " فالحمد لله المزيل لما يُمهِّد المبطلون ، ويَمكرُ به الماكرون ، ويكيد به الملحدون ؛ تمكينًا لعبده وخليفته ... "[1] ، فحذف الكاتب الموصوف (القوم) واقتصر على ذكر الصفات (المُبطلون) ، (الماكرون) ، (الملحدون) ، وتقدير الكلام : (القوم المبطلون) ، (القوم الماكرون) ، (القوم الملحدون) ؛ لأنّ هذه الصفات تختصّ بالموصوف وهم الأقوام الذين يناصبون الآخرين العداء والبغضاء .

وقال الكاتب نفسه في فصلٍ له : " الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت بالمذنب معذرته "[2] ، فقد حذف الموصوف (الإنسان) واقتصر على ذكر الصفات (الكريم) و (المذنب) ، وتقدير الكلام : (الإنسان الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت بالإنسان المذنب معذرته) ، وجاء هذا الحذف للإيجاز والاختصار والمبالغة في مدح الكريم وذمّ البخيل ، فضلاً عن ذلك إنّ صفات (الكرم) و (الذنب) هي صفات متعلّقة بالإنسان لا غير ، وقد وظّف في هذا الحذف البليغ أحد الفنون البلاغية وهو الطباق من خلال الجمع بين المتضادات بين : (الكريم والمذنب) ، (أوسع وضاقت) .

وقال الجاحظ في رسالة (التربيع والتدوير) : " ... وسبحان من جعلك تعفو عن المتعمّد ، وتتغافل عن المبادي ، وتصفح عن المتهاون ... "[3] ، فنلاحظ أنّ الكاتب حذف الموصوف (الإنسان) واكتفى بذكر الصفات (المتعمّد ، المبادي ، المتهاون) ، وتقدير الكلام : (الإنسان المتعمّد ، الإنسان المبادي ، الإنسان المتهاون) ؛ لتعلّق هذه الصفات بالموصوف وهو (الإنسان) فضلاً عن تعلّق النصّ بغرض الذمّ ، فالجاحظ يستعمل أسلوب التهكم والسّخرية من المخاطَب وهو أحمد بن عبد الوهاب .

وقال ابن المعتز : " ... والعاقل يكسو المعاني وَشْيَ الكلام في قلبه ، ثمّ يبديها بألفاظ كواسٍ في أحسن زينة ، والجاهل يستعجل بإظهار المعاني قبل العناية

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 157/4 .

(2) العقد الفريد : 218/4 .

(3) التربيع والتدوير : 54 .

بتزيين المعارض ، واستكمال محاسنها "[1] ، فحذف الموصوف (الكاتب) واكتفى بذكر الصفات (العاقل) ، (الجاهل) ، وتقدير الكلام : (الكاتب العاقل يكسو المعاني وَشْيَ الكلام في قلبه ، والكاتب الجاهل يستعجل بإظهار المعاني) ، وجاء هذا الحذف لتزويق الأسلوب ، والمبالغة في مدح الكاتب العاقل ، وذمّ الكاتب الجاهل ، فالكاتب العاقل يتأنّى بصياغة معانيه ، فهو يرسم المعاني في قلبه ثمّ يُبديها على لسانه ويكسوها بألفاظ جميلة تروق للمخاطبين ، أمّا الكاتب الجاهل فهو في عجلة من أمره ، حيث يُظهر المعاني من دون العناية بتزيين ألفاظها ، واستكمال محاسنها .

ح – حذف الجار والمجرور

ورد حذف الجار والمجرور كثيرًا لدى كُتّاب القرن الثالث ، فهذا الحذف يحقق غرضًا معنويًا في النصّ ، حيث يُطلق العَنَان لذهن المتلقي كي يشارك في استكمال أجزاء النصّ المحذوفة ، وبذلك يكون أنشط في تلقيه ، وأكثر قدرةً على التأثير فيه ، واستيعاب معناه .

من ذلك قول أحمد بن يوسف الكاتب إلى عاملٍ ذكر أنّه قد أصلح ما تحت يده : " أنا لك حامدٌ ، فاستدم أحسن ما أنت عليه ، يدمْ لك أحسن ما عندي ، واعلم أنّ كلّ شيء لا يُزاد فيه ينقص ، والنقصان وإن قلَّ يمحق الكثير ، كما ينمي على الزيادة القليل "[2] ، فحذف هنا الجار والمجرور ، وتقديره : (واعلم أنّ كلّ شيء لا يُزاد فيه ينقص منه ، والنقصان فيه وإن قلَّ يمحق الكثير منه) ، فالحذف هنا قد دلَّ عليه السياق ، أي : سأقابل إحسانك بالإحسان ، فزِد في إحسانك ؛ لأنّ كلّ شيء لا يُزاد فيه ينقص منه .

وكتب أحمد بن يوسف الكاتب إلى بعض إخوانه يهنئه بمولود : " ... وقد بلغني أنّ الله وهبَ لك غلامًا سَريًا ، أجمل لك صورته ، وأتمَّ خَلْقه ، وأحسنَ البلاء فيه عندك ، فاشتدَّ سروري بذلك ، وأكثرتُ حمدَ الله عليه ، فبارك الله فيه ، وجعله

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(2) أمراء البيان : 232/1 .

بارًا تقيًّا ، يشدُّ عَضُدَك ، ويُكثر عددك ، ويُقرُّ عينَك "[1] ، وتقدير الكلام : (أجمل لك صورته ، وأتمَّ لك خَلْقه ، وأحسن البلاء فيه عندك ، فاشتدَّ سروري بذلك ، فبارك الله لك فيه ، وجعله بارًا بك ، تقيًّا لك ، يشدُّ عَضُدَك في الدنيا ، ويُكثر فيها عددك ، وتقرُّ عينُك بتوفيقه) ، فحذف الجار والمجرور أفاد تصوير مشاعر الفرح والسرور بالمولود الجديد من دون إطناب ، فجاء هذا الإيجاز تحقيقًا للبلاغة في الكلام ، والذي يُعدُّ غاية كلّ أديب ، فجاءت هذه التهنئة في غاية الحسن والجمال .

ومثله قول الكاتب نفسه إلى عبد الله بن طاهر يهنئه بفتحٍ : " ... فالحمدُ لله الناصر لدينِهِ ، المعزّ لدولة خليفته على عباده ... فقد أحسنت جوارَ النعمة فلم تُطغِكَ ، ولم تزدد إلاّ تذلّلاً وتواضعًا ، فالحمد لله على ما أنالك وأبلاكَ وأودع فيك "[2] ، وتقدير الكلام : (فالحمد لله الناصر لدينِهِ على عدوّه ، والمعزّ لدولة خليفته على عباده ، فقد أحسنتَ جوار النعمة فلم تزدكَ شيئًا إلاّ تذلّلاً وتواضعًا لها ، فالحمد لله على ما أنالك من النِّعم ، وأبلاك من النوائب ، وأودع فيك من الحِكم) ، فحذف الجار والمجرور قد حقّق الإيجاز البليغ ، وهو ما تدعو إليه المجاملات والآداب الرسمية الموجّهة إلى الشخصيات الكبيرة البارزة ، والتي تقتضي الآداب أن تُكتب لهم عندما تُوجب المناسبة ذلك ، وهو ما اقتضته هذه التهنئة من الإيجاز البليغ الرائق ، والذي يُقرّبه من هذه الشخصيات للحصول على نواله ومبتغاه .

ونظير ذلك قول سهل بن هارون : " بلاغة الإنسان رِفْقٌ ، والعيُّ خَرْقٌ ... "[3] ، فجاء الإيجاز هنا بحذف الجار والمجرور ، وتقديره : (بلاغة الإنسان رفقٌ به ، والعيُّ خرقٌ عليه) ، أي أنّ بلاغة الإنسان وفصاحته في القول هما نفعٌ له من حيث التأثير في المتلقي ، ومِنْ ثَمَّ تحقيق غايته ، أمّا العيّ فهو العجز عن الكلام فيؤدي إلى الحكم على صاحبه بالخرق ، أي عدم إجادة التعبير والحكمة في القول .

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 368/3 .

(2) تاريخ الطبري : 617/8 – 618 .

(3) أمراء البيان : 177/1 .

وقال سهل بن هارون أيضًا : " من ثَقُلَ عليك بنفسِهِ ، وغمَّكَ بسؤالِهِ فأعِرْهُ أُذنًا صمّاء ، وعينًا عمياء "[1] ، وتقدير الكلام : (فأعِرْهُ أُذنًا صمّاء عن أقوالِهِ ، وعينًا عمياء عن شخصِهِ) ، ومن خلال هذا النصّ الموجز يقدّم سهل بن هارون النصيحة بما يحفظ العلاقات مع الآخرين ، وتجاوز ثُقَلَ بعضِهِم بتركهم وعدم النظر في أقوالهم وأفعالهم ، والتصرّف معهم بما تمليه عليه النفس وتبقي العلاقات بهم من دون لومهم أو تبكيتهم .

ونلمح هذا الإيجاز بقول ابن الزيات إلى عاملٍ له : " توهمتُك سهمًا كافيًا ، فوجدتُكَ رسمًا عافيًا ، لا محاميًا ولا وافيًا "[2] ، فجاء إيجاز الحذف هنا بتقدير الكلام : (لا محاميًا عن رعيته ، ولا وافيًا لحقوقهم) ، فجاء هذا التبكيت البليغ المسجوع بحقّ أحد العمال ، بأنّ الكاتب كان يتوسم به الشهامة والمروءة برعاية حقوق رعيته ، لكنّه خيّب ظنّه ، فهو لم يكن حاميًا عن رعيته ولا وافيًا لحقوقهم وحاجاتهم .

ولم تخلُ رسائل الجاحظ من هذا الحذف الذي يُعدُّ سبيلاً للإيجاز القائم على الاختصار ، والبعد عن الإطالة والإسهاب ، من ذلك قول الجاحظ في رسالة (المعاش والمعاد) : " ... إنّ كثرة العتاب سبب للقطيعة ، واطّراحه كلّه دليلٌ على قلّة الاكتراث لأمر الصديق ، فكن فيه بين أمرين ... فإنّ الإلحاح في الزيارة يُذهب بالبهاء ، وربّما أورث الملالة ، وطول الهجران يُعقب الجفوة ... واقتصد في مِزاجك ، فإنّ الإفراط فيه يُذهب بالبهاء ، ويُجرّئ عليك أهل الدناءة ، وإنّ التقصير يُقبض عنك المؤانسين ... "[3] ، وتقدير الجار والمجرور في هذا النصّ : (إنّ كثرة العتاب سبب للقطيعة عنك ، واطّراحه كلّه دليلٌ على قلّة الاكتراث لأمر الصديق منك ، وإنّ الإلحاح في الزيارة يُذهب بالبهاء عنك ، وربّما أورث الملالة منك ، واقتصد في مِزاجك ، فإنّ الإفراط فيه يُذهب بالبهاء عنك ، ويُجرّئ أهل الدناءة عليك ، وإنّ التقصير فيه يُقبض عنك المؤانسين) ، وعلى هذا يجب التمسك بالصداقة والأصدقاء ، والابتعاد عن كلّ ما يسبب الضرر لهذه العلاقة الأخوية ، ويحلّ محلها العداوة

---

(1) العقد الفريد : 280/2 .

(2) المصدر نفسه : 220/4 .

(3) رسائل الجاحظ : 127/1 – 128 .

والبغضاء ، وربّما يؤدي إلى القطيعة ، ومن ذلك كما أشار هذا النصّ (العتاب) و (المُزاح) ، فيجب التوسط فيهما ؛ لأنّ الإكثار منهما – أي العتاب والمُزاح – يؤدي إلى الملالة والقطيعة ويُذهب هيبة الإنسان ، كما أنّ تركهما دليلٌ على قلّة الاهتمام بالأصدقاء (الاكتراث لأمر الصديق) ، فيجب التوسط فيهما ، فهذا يؤدي إلى ديمومة الصداقة وكثرة الأصدقاء .

وقال الجاحظ في رسالة (التربيع والتدوير) : " ... وهل في الأرض إقرارٌ أثبت ، ودليلٌ أوضح ، وشاهد أصدق من شاهدي على ما ادّعيتَ لنفسِك من الرّفعة مع ما ظهر من حسدِكَ ... "[1] ، وتقدير الكلام : (أثبت من هذا ، ودليل أوضح منه) ، فقد حقّق هذا الحذف اختصارًا بليغًا يعلو به قدر اللسان ، وتطرب به الأفئدة والآذان بما ذَكَرَ من صفات سيّئة لأحمد بن عبد الوهاب التي تحطّ من شأنه ، ومِنْ ثَمَّ تعلو من شأن بلاغة الجاحظ وفصاحته .

وقال في رسالة (تفضيل النطق على الصمت) : " ... إنّ حفظ اللسان أمثلُ من التورّط في الكلام ... "[2] ، وتقدير الكلام : (حفظ اللسان عن الكلام أمثل من التورّط في الكلام) ، فجاء حذف الجار والمجرور (عن الكلام) لدلالة السياق عليه فضلاً عن تجنب التكرار ، وقد فضّل الجاحظ هنا الصمت على النطق ؛ لأنّ حفظ اللسان عن الكلام يقي الإنسان من التورط في كثير من المشكلات هو في غِنًى عنها .

ومثل هذا الإيجاز قول ابن المُدبّر في (الرسالة العذراء) : " ولا تدع التاريخ فإنّه يدلّ على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها ... وما على الكاتب أن يكتب إلاّ بما ظهر وتبيّن لا بما يظنّ "[3] ، وجاء تقدير الجار والمجرور في هذا النصّ : (ولا تدع التاريخ فإنّه يدلّ على تحقيق الأخبار وقربها منك وبعدها عنك ، وما على الكاتب أن يكتب إلاّ بما ظهر من الأخبار وتبيّن منها لا بما يظنّ من الأخبار) فيشير النصّ إلى الاهتمام بتدوين التاريخ ؛ لأنّه يحفظ الأخبار والوقائع القريبة والبعيدة عنّا ، ومن

---

(1) التربيع والتدوير : 17 .

(2) رسائل الجاحظ : 229/4 .

(3) الرسالة العذراء : 26 – 27 .

صفات الكاتب الجيّد أن يكون أمينًا في نقل الأخبار ، أي أن يكتب بما تحقّق من الأخبار وتبيّن منها لا بما يشكّ بدرجة تحققها .

وقال ابن المُدبّر في الرسالة نفسها : " وكلّما احلولى الكلام وعَذُبَ ورقَّ وسَهُلَت مخارجه كان أسهل ولوجًا في الأسماع ، وأشدّ اتّصالاً بالقلوب ، وأخفّ على الأفواه ... "[1] ، وتقدير الجار والمجرور في النصّ : (عَذُبَ في الأسماع ، ورقَّ في القلوب ، وسَهُلَت مخارجه في الأفواه) فدلالة السياق التي جاءت بعدها أوضحتها ، فالكلام الجميل هو الذي يحلو في الأسماع ، ويتعلّق في القلوب ، ويكون سهل المخارج على اللسان ، وهذا الكلام هو الذي يحقق المبتغى لا سيّما إذا اقترن بالمعنى اللائق به .

ونلمس هذا الحذف في قول سعيد بن حميد في كتابه الذي أخذ به البيعة للمنتصر بعد مقتل أبيه المتوكل : " تبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بيعة طوعٍ واعتقاد ، ورضا ورغبة ، لا مكرهين ولا مجبرين بل مُقرّين عالمين بما في هذه البيعة ... لا تشكون ولا تدهنون ، ولا تميلون ولا ترتابون ، وعلى السمع له والطاعة ، والمُسالمة والنُّصرة ، والوفاء والاستقامة ، والنصيحة في السرّ والعلانية ... "[2] ، وتقدير الكلام : (تبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بيعة طوعٍ له واعتقاد به ، ورضا عنه ورغبة فيه ، لا تشكون بوفائه لكم ولا تدهنون به ، ولا تميلون عن حقّه عليكم ، ولا ترتابون منه ، وعلى السمع له والطاعة ، والمُسالمة له والنُّصرة ، والوفاء له والاستقامة ، والنصيحة له في السرّ والعلانية) .

وقد استعمل الكاتب هنا الأسلوب البليغ المؤثر في أخذ البيعة للمنتصر ، وحثّ الناس على مبايعته على السمع والطاعة ، والنصرة له وعلى النصيحة ، فهذا الإيجاز يكون أكثر وقعًا في استمالة قلوب الناس للمنتصر ، وكسب ثقتهم ، والذي قد لا يتحقق عن طريق الإطالة والإسهاب اللذين يبعثان على الملل والنفور عنه .

---

(1) المصدر نفسه : 37 .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 49 .

ونلمح هذا الحذف في قول ابن المعتز : " قد مِلتُ إليك فما اعتدلُ ، ونزلتُ بك فما ارتحلُ ، ووقفتُ عليك فما انتقلُ "[1] ، فحذف الجار والمجرور ، وتقدير الكلام : (قد ملتُ إليك فما اعتدل عنك ، ونزلتُ به فما ارتحل عنك ، ووقفتُ عليك فما انتقل منك) ، فهذا إيجازٌ يضفي القيمة الجمالية على النصّ حيث وظّفه الكاتب عن طريق الطباق بين (ملت ، واعتدل) و (نزلت وارتحل) و (ووقفت وانتقل) ، حيث يصوّر من خلاله مشاعر الشوق والحنين واللهفة لمحبوبه .

خ – حذف المبتدأ

يُحذف (المبتدأ) إذا توافرت في الكلام قرينة تدلّ عليه ، وإنّما يُؤْثِر المتكلم حذف (المبتدأ) لأغراض يتذوقها ويقصد من ورائها تقوية المعنى , ووصوله إلى قارئه أو سامعه في صورة مؤثرة ومقنعة[2].

ومن ذلك قول سهل بن هارون : " فالسّلام على عهدك وداعَ ذي ضَنٍّ بك , في غير مَقْلِيَة لك , ولا سلوة عنك , بل استسلام للبلوى في أمرِكَ ... "[3] , فحذف المبتدأ (هو) , وتقدير الكلام (بل هو استسلام للبلوى في أمرِكَ) , فالنص بنظري على العفو والاستعطاف من صاحبه الذي هو أهل للفضل والمِنَنِ , فالكاتب يعترف بخطئه ويطلب منه أن يجود بعطفه له .

ومن ذلك أيضًا ما نجده في رسائل الجاحظ ، ومنها رسالة (مناقب الترك) قال فيها : " ... ونحن بعد تربية الخلفاء ، وجِيران الوزراء ، وُلِدنا في أفنية ملوكنا ... "[4] ، ففي هذا النصّ ذكر المبتدأ (نحن) في بدايته ، واستغنى عنه في باقي أجزاء النصّ ، وتقدير الكلام : (ونحن بعد تربية الخلفاء ، ونحن جيران الوزراء ، ونحن ولدنا في أفنية ملوكنا) ، وقد أفاد الحذف هنا تحقيق الإيجاز ، والابتعاد عن

---

(1) رسائل ابن المعتز : 51 ، وينظر : من فصول ابن المعتز : 37 – 38 .
(2) ينظر : من بلاغة النظم العربي : 124/1 .
(3) زهر الآداب : 617/2 .
(4) رسائل الجاحظ : 28/1 .

التكرار المبتذل فضلاً عن دلالة السياق عليه ، حيث أنّ النصّ ينطوي على مفاخرة المتكلمين على لسان الجاحظ بنسبهم العريق ، وهم أولاد الخلفاء والأمراء ، حيث أفاد هذا الإيجاز تعظيم شأنهم .

ومثله قول الجاحظ في رسالة (الجدّ والهزل) : " ... الأناةُ أبلغ في الحزم ، وأبعدُ من الذمّ ... "[1] ، فحذف المبتدأ وتقديره في النصّ : (الأناةُ أبلغ في الحزم ، والأناة أبعد من الذمّ) ، فنلحظ في هذا النصّ الإيجاز البليغ ، حيث آثر التأني في الأمور على العجلة فيها ، فإنّ في التأني السلامة ، وفي العجلة الندامة .

وقال الجاحظ في رسالة (الأوطان والبلدان) : " والفراتُ خيرٌ من ماء النيل ... "[2] ، حيث حذف المبتدأ (ماء) من النصّ ، وتقدير الكلام : (ماء الفرات خيرٌ من ماء النيل)[3] ؛ لوجود ما بعده (ماء النيل) دليلاً عليه ، فحُذِفَ للإيجاز والاقتصار .

وكتب سعيد بن حميد في بيعة المنتصر : " تُبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بيعةَ طوعٍ واعتقاد ... لا مكرهين ولا مُجبرين ، بل مُقرّين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها ... "[4] ، فحذف المبتدأ هنا وهو الضمير (أنتم) ، وتقدير الكلام : (بل وأنتم مقرُّون عالمون بما في هذه البيعة وتأكيدها) ، فالنصّ ينطوي على استمالة قلوب الناس للمنتصر ومبايعته على السمع والطاعة ، وجاء هذا الحذف لتحقيق هذا الغرض .

وناجى سعيد بن حميد رجلاً فيه رائحة نتنة في فمه ، فقال : " مثلك لا يُسار ، وإنّما يُكاتب "[5] ، فحذف المبتدأ (إنسان) من النصّ ، وتقديره : (إنسانٌ مثلك لا يُسار وإنّما يُكاتب)[6] ، ويحمل هذا النصّ الموجز في طيّاته أسلوب ذمٍ بأسلوب

---

(1) المصدر نفسه : 242/1 .

(2) رسائل الجاحظ : 136/4 .

(3) ويدخل هذا أيضًا في باب (حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه) .

(4) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 75 .

(5) المصدر نفسه : 103 .

(6) وهذا يدخل أيضًا في باب (حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه) .

الكناية ، فالكاتب يُفضل أن تكون مخاطبة هذا الرجل عن طريق المكاتبة لا المحاورة بسبب رائحة فمه النتنة .

ونلمح هذا الحذف في أقوال ابن المعتز ، منها رسالته التي يُعاتب بها أستاذه الدمشقي بعد جفوةٍ بينهما ، قال فيها : " واللهِ لأقابل إحسانَكَ منّي كُفْرٌ ، ولأتّبعَ إحساني إليك مَنٌّ ، ولك عندي يدٌ لا أقبضها عن نفعِكَ ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ... "[1] ، فحذف المبتدأ (يد) ، وتقدير الكلام : (ويدٌ أخرى لا أبْسُطها إلى ظلمك)[2] ؛ لدلالة ما قبله عليه وهو قوله : (ولك عندي يدٌ) ، فهذا النصّ الموجز يحمل معاني العتاب لأستاذه الدمشقي ، ويُذكِّره بأنّه ليس من صفاته مقابلة الإحسان بالإساءة والكفر .

وقال الكاتب نفسه في (القرآن وبلاغته) : " ... وإن أمرَ فناصحًا ، وإن حكم فعادلاً ، وإن أخبر فصادقًا ، وإن بيّن فشافيًا ... "[3] ، فحذف المبتدأ من النصّ وهو الضمير (هو) ، وتقدير الكلام : (وإن أمرَ فهو ناصح ، وإن حكم فهو عادلٌ ، وإن أخبر فهو صادقٌ ، وإن بيّن فهو شافٍ)* ، فهذا النصّ الموجز يتحدث عن روعة نظم القرآن وبيانه ، فأمرُهُ نصيحة ، وحُكمُهُ عادلٌ ، وخبرُهُ صادقٌ ، وبيانُهُ شافيٌ .

وقال الكاتب نفسه : " العاقل من عَقَلَ لسانَهُ ، والجاهل من جَهِلَ قدرَهُ "[4] ، فجاء هذا النصّ الموجز بحذف المبتدأ (الإنسان) ، وتقدير الكلام : (الإنسان العاقل من عقل لسانَهُ ، والإنسان الجاهل من جَهِلَ قدرَهُ)[5] ، وقد حُذِفَ المبتدأ هنا ؛ لوجود قرينة دلّت عليه ، وهو قوله : (العاقل) ؛ لأنّ (العقل) صفة يتميز بها الإنسان عن

---

(1) رسائل ابن المعتز : 55 ، وينظر : من فصول ابن المعتز : 46 .

(2) ويدخل أيضًا في باب (حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه) .

(3) رسائل ابن المعتز : 63 .

* وهذا يدخل أيضًا في باب (حذف جملة جواب الشرط) ، والتقدير : (وإن أمر فكان ناصحًا ، وإن حكم فكان عادلاً ، وإن أخبر فكان صادقًا ، وإن بيّن فكان شافيًا) .

(4) رسائل ابن المعتز : 72 .

(5) ويدخل هذا أيضًا في باب (حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه) .

سائر المخلوقات ، فالعاقل هو الذي يميّز الخطأ من الصواب ، ويُمسك لسانه من الوقوع بالخطأ وارتكاب المعاصي ، وهذا خلاف الإنسان الجاهل .

د – حذف الخبر

يُحذف الخبر عند وجود قرينة دالّة عليه ، نحو قولك : زيدٌ ، لمن قال : مَنْ في الدار ؟[1] ، وقد ورد حذف الخبر في كتابات القرن الثالث الهجري ؛ لدلالة السياق عليه ، من ذلك قول سهل بن هارون في البخل : " ... وعبتموني حين زعمتُ أنّي أقدّم المال على العلم ؛ لأنّ المال به يُغاث العامل ... وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدّم الأدباء : العلماء أفضل أم الأغنياء ؟ قال : بل العلماء ... "[2] ، فقد حذف الخبر (أفضل) في موضعين : الأول : تقديره (العلماء أفضل أم الأغنياء أفضل؟) ، وحُذِفَ لدلالة ما قبله عليه ، أمّا الموضع الآخر من حذف الخبر فهو في قوله : (بل العلماء أفضل) ؛ لدلالة ما قبله عليه ، وذلك طلبًا للإيجاز والاختصار ، والابتعاد عن التكرار ؛ ولأنّ الدلالة فيه لا تنقطع وذلك لأنّ السياق يُسهم في تعيين المحذوف .

ومثله قول الجاحظ في رسالة (مناقب الترك) : " ونحن قومٌ لنا أجسامٌ وأجرامٌ ، وشعورٌ وهامٌ ، ومناكب عظامٌ ، وجِباهٌ عِراضٌ ، وقَصَرٌ * غِلاظٌ ، وسواعد طوالٌ ... "[3] ، وهذا النصّ قد حُذِفَ منه خبر المبتدأ ، وهو الجار والمجرور (لنا) ؛ لدلالة ما قبله عليه ، وتقدير الكلام : (ونحن قومٌ لنا أجسامٌ وأجرامٌ ، ولنا شعورٌ وهامٌ ، ولنا مناكب عظامٌ ، ولنا جِباهٌ عِراضٌ ، ولنا قَصَرٌ غِلاظٌ ، ولنا سواعدُ طوالٌ) ، فالحذف هنا جاء للإيجاز وتجنب التكرار الذي يجلب السأم للنفس ، فالنصّ يشير إلى المبالغة في الفخر بصفاتهم الحميدة التي تميّزهم من الأقوام الآخرين . ومثله قوله في الرسالة نفسها : " ... لنا النصيحة الخالصة ، والمحبّة الراسخة ، وموضع

---

(1) ينظر : ارتشاف الضَرَب : 30/2 .

(2) البخلاء : 39 .

* قَصَر : أصل العنق ، ينظر : أساس البلاغة (قَصَرَ) .

(3) رسائل الجاحظ : 18/1 .

الثّقة عند الشدّة ... "[1] ، فقد حذف الخبر هنا أيضًا الجار والمجرور (لنا) ؛ لدلالة ما قبله عليه ، وتقدير الكلام : (لنا النصيحة الخالصة ، ولنا المحبّة الراسخة ، ولنا موضع الثقة عند الشدّة) ، فجاء هذا الإيجاز للمبالغة في الفخر بين الأقوام ؛ لامتلاكهم النصيحة الخالصة ، والمحبّة العميقة ، وهم موضع الثقة والصدق بين الأقوام الأخرى . وكذلك يُحذف الخبر إذا كان المبتدأ نصًّا صريحًا في القسم ، نحو : لَعَمرُك ، وأيمن الله ، فإنّ تعيينه للقسم دالٌ على تعيينه الخبر المحذوف ، أي : لَعَمرُكَ ما أقسم به ، وجواب القسم سدّ مسدّ الخبر المحذوف[2] ، ومثاله قول عبد الله بن طاهر لنصر بن شبث عن المأمون : " ... لَعَمري ما يستجيز منعَ خلقٍ ما يستحقّه وإن عَظُمَ ... "[3] ، فقوله : (لعمري) هو المبتدأ ، أمّا قوله : (ما يستجيز منعَ خلقٍ) فهو جواب قسم سدّ مسدّ الخبر المحذوف ، فقد دلّ هذا النصّ الموجز على كرم المأمون وعظمته وإيفائه حقّ كلّ امرئ ما يستحقّه ، وقد منح (النصر بن شبث) كتابَ أمانٍ بعد حروب طويلة ناهزت الخمسة أعوام .

ومنه أيضًا قول الجاحظ في رسالة (الوكلاء) : " ... ولَعَمري إنّ العلمَ لطوع يديك ، والمتصرف مع خواطِرك ... "[4] ، وقد تضمّن هذا النصّ الذي يحمل في طيّاته التعظيم والتفخيم للممدوح الإيجاز بأسلوب الحذف ، فقد ذكر المبتدأ وهو القسم الصريح (لعمري) أمّا جواب القسم (إنّ العلم لطوع يديك) ، فقد سدّ مسدّ الخبر المحذوف ، وجاء هنا قصدًا للإيجاز والاختصار ؛ للدلالة على المقصود من النصّ هنا ، وهو المبالغة في المدح .

ومن رسائل الشكوى وذمّ الزمان رسالة الجاحظ إلى بعض إخوانه ، قال فيها : " ... فوالله ما عُذِّبت أُمةٌ برجفةٍ ، ولا ريحٍ ولا سَخْطةٍ عذابَ عَينيّ برؤية المُغايظة* المُضنية ، والأخبار المهلكة ، كأنّ الزمان توكّل بعذابي ، أو انتصب لإيلامي ...

---

(1) المصدر نفسه : 23/1 .

(2) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 108/1 .

(3) تاريخ الطبري : 600/8 .

(4) رسائل الجاحظ : 97/4 .

"[1] ، فنلاحظ أنّه صرّح بالمبتدأ وهو القسم (والله) ، أمّا قوله : (ما عُذّبت أمةٌ برجفةٍ) فهو جواب قسم سدّ مسدّ الخبر المحذوف ، ومن ملاحظة النصّ يبدو على الجاحظ ضيقه بالأيام والهموم وأخلاق الناس ، وتحوّل العادات إلى الأسوأ ، وجفاء الأصدقاء والأحبّة وصدودهم عنه ، فهو في هذا النصّ يذمّ الزمان وأهله .

ويُحذف خبر المبتدأ بعد (لولا) الامتناعية ؛ لإمكان تقدير المحذوف كونًا عامًا ، ففي نحو قوله : (لولا زيدٌ لهلكَ عمرو) يكون التقدير : (لولا زيدٌ موجودٌ) حيث لا يستقيم التركيب إلاّ بهذا التقدير ، فقد حُذِفّ الخبر ؛ لأنّه كونٌ عام ، فلا فائدة تتحقق في ذكره إلى جانب كثرة استعمالهم إياه في الكلام[2] .

ومن الشواهد على ذلك قول الجاحظ في رسالة (كتاب القيان) : " ... لولا المِحْنة والبلوى في تحريم ما حُرِّم ، وتحليل ما أُحِلّ ... لم يكن واحدٌ أحقّ بواحدةٍ منهنّ من الآخر ... "[3] ، فجاء الإيجاز هنا بحذف الخبر ، وتقدير الكلام : (لولا المحنة والبلوى موجودتان) ، ومثل ذلك قوله في الرسالة نفسها : " ... لولا وقوع التحريم لزالت الغِيرة ولَزِمنا قياس من أحقّ بالنساء ... "[4] ، فنلحظ في هذا النصّ حذف خبر (لولا) الامتناعية ، وتقدير الكلام : (لولا وقوع التحريم موجودٌ) ، فجاء هذا الحذف للإيجاز والابتعاد عن الإطالة المُملّة .

ومثله قول ابن المعتز : " لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب "[5] ، وقد أشار هذا النصّ الذي يحمل في طيّاته حكمة بليغة وموعظة حكيمة إلى حذف الخبر ، وتقدير الكلام : (لولا ظلمة الخطأ موجودة ما أشرق نور الصّواب) ، أي لولا معرفة الإنسان بالخطأ ، وما يجنيه لصاحبه من الظلم والاستبداد ؛ لما عرف طريق الحقّ وما به من نور وهداية للإنسان .

---

* المُغايظة ، أي : المُغالبة ، ينظر : لسان العرب (غَيَظَ) .

(1) العقد الفريد : 335/2 – 336 .

(2) ينظر : الكتاب : 129/2 .

(3) رسائل الجاحظ : 147/2 .

(4) المصدر نفسه : 148/2 .

(5) رسائل ابن المعتز : 64 .

ذ – حذف الفاعل

قد يُحذف الفاعل ويؤتى بما ينوب عنه لأغراض متعددة ، منها ما هو لفظي كالسجع وإقامة النظم ، ومنها معنوي كأن يُحذف للجهل به ، أو للعلم به ، وقد يُحذف ؛ لأنّه لا يتعلّق غرضٌ بذكره ، أو الخوف منه ، أو الخوف عليه ، أو يُقصد إبهامه ، أو للتعظيم[1] .

والشواهد على حذف الفاعل كثيرة لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري ، من ذلك قول أحمد بن يوسف الكاتب في رسالة يشكر فيها المأمون : " ... إنّ نِعَم الله قد جلَّت ولَطُفَت ، وخَصَّتْ وعَمَّتْ ، وعَلَت وسَمَقَت* ، وتمَّتْ ودامتْ ... "[2] ، جاء حذف الفاعل في الأفعال الماضية لدلالة ما قبلها عليه ، وللإيجاز وتجنب التكرار ، فضلاً عن الحفاظ على النظم في (جَلّت ولَطُفَت ، وخصَّت وعمَّت ، وعَلَت وسَمَقَت ، وتمّت ودامت) ، وتقدير الفاعل في النصّ : (جلَّت النِّعمُ ، ولَطُفَت النِّعمُ ، وخَصَّت النِّعمُ ، وعَمَّت النِّعمُ ، وعَلَت النِّعمُ ، وسَمَقَت النِّعمُ ، وتَمَّت النِّعمُ ، ودامت النِّعمُ) ، وبما أنّ المقام هنا هو ذكر نِعَم الله تعالى نستطيع أن نقول : إنّ حذف الفاعل جاء للتعظيم والتفخيم ، فإنّ نِعَم الله لا تُحصى ، فغَضَّ النظرَ عن ذكر الفاعل ؛ كي يترك الذهن مفتوحًا في الخوض في نِعَم الله التي لا يُحصى عددُها ، ولا تُدرك عظمتُها .

ونلمس هذا الحذف في قول عمرو بن مسعدة إلى (الحسن بن سهل) في إتمام صنائعه : " فإنّك مِمّن إذا غَرَسَ سقى ، وإذا أسّسَ بنى ؛ ليستتمَّ تشييد أَسَّسَهُ ، ويجتني ثمار غرسِهِ ... "[3] ، فقد بنى الكاتب النصَّ على العلاقة التشبيهية بين صنائع المُخاطَب (الحسن بن سهل) وهو المشبه ، وبين صنائع (المزارع والعامل) وهو المشبه به ، وجاء حذف الفاعل في النصّ لدلالة الفعل على المحذوف ، ذلك

---

(1) ينظر : معاني النحو : 62/2 – 63 ، ومن أسرار العربية في البيان القرآني : 55 .

* سَمَقَت : عَلَت وطالت ، ينظر : أساس البلاغة (سَمَقَ) .

(2) جمهرة رسائل العرب : 348/3 .

(3) معجم الأدباء : 90/6 .

أنّ دلالة الفعلين (غرس وسقى) تدلّ على أنّ الفاعل محذوف هو (المزارع) ، وهو الذي يقوم بعملية غرس الزرع وسقيه ، أمّا الفعلان (أسّس وبنى) فيدلان على أنّ الفاعل المحذوف هو (العامل) ، وهو الذي يقوم بعملية تأسيس البناء وإتمامه ، وتقدير القول : (إذا غرسَ المزارع سَقَى المزارع ، وإذا أسّس العامل بنى العامل ؛ ليستتمّ تشييد أسسه ، ويجتني المزارع ثمار غرسِهِ) .

ونلمح هذا الحذف في رسائل الجاحظ ، منها قوله في رسالة (ذمّ أخلاق الكُتّاب) : " ... لا أعلم أهلَ صناعة إلاّ وهم يَجْرُون إلى غايةٍ محمودة ، ويأتون منه آيةً مذكورة إلاّ الكُتّاب فإنّ أحدهم يتحاذق عند نظرائه بالاستقصاء على مثله ، ويسترجحُ رأيه إذا بلغ في نكاية رجلٍ من أهل صناعته ... "[1] ، إنّ هذا النصّ ينطوي على ذكر الصفات المُعِيبة التي يستدل بها الجاحظ على سوء أخلاق الكُتّاب وقُبحِ أفعالهم ، وظهور العداوة والبغضاء بينهم ، وهذه صفة راسخة في نفوس الكُتّاب جميعًا من دون سائر أهل الصناعات الأخرى ، وجاء حذف الفاعل في الأفعال (يتحاذق) و (يسترجح) و (بلغ) ؛ لدلالة ما قبلها على الفاعل وهو قوله : (الكُتّاب) ، وتقدير القول : (يتحاذق الكاتب ، ويسترجح الكاتب ، وبلغ الكاتب) ، ويسعى الكاتب من وراء حذف الفاعل إلى تحقيق الإيجاز البليغ فضلاً عن توجيه انتباه المتلقي إلى أنّ الكاتب هو من وقع عليه الفعل من دون سائر الصناعات الأخرى .

وكتب ابن المعتز نصًّا يدعو الله فيه بالشفاء لصديقه وبراءته من مرضه ، قال فيه : " آذن الله في شفائك ، وتلقّى داءَك بدوائك ، ومسح بيد العافية إليك ، ووجّه وافد السلامة إليك ، وجعل علّتك ماحيةً لذنوبك ، مُضاعفةً لثوابك "[2] ، يدعو ابن المعتز في رسالته الموجزة الله سبحانه وتعالى بالشفاء لصديقه وسلامته من مرضه ، وأن يجعل الله هذا المرض ماحيًا لذنوبه ومضاعفًا لثوابه ، وجاءت الرسالة موجزة بأسلوب الحذف ، حيث حذف الفاعل وهو لفظ الجلالة (الله) من الأفعال

---

(1) رسائل الجاحظ : 200/2 .

(2) زهر الآداب : 226/1 .

المذكورة ؛ تعظيمًا وتفخيمًا لشأنه تعالى ، فتقدير النصّ : (وتلقّى الله ، ومسحَ الله إيّاك ، ووجّه الله ، وجَعَلَ الله) .

ولأنّ العربية أميل إلى الإيجاز والاختصار ؛ لذلك جاز حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول ، وأن يأخذ المفعول به موقع الفاعل ، وإنّ تَغيُّب الفاعل يحث المتلقين على البحث والتفكير ، وهنا يتوفر عنصر الجمال والتشويق في النصّ ، " وأن ربُّ حذفٍ هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد "[1] ، وخير دليل على ذلك قول سهل بن هارون في العِلم : " وقد يُرغب عن بعض العلم كما يُرغب عن بعض الحلال ... وإنّ العِلم لا يُدرك غورُهُ ، ولا يُسْبر قعرُهُ ، ولا تُبلغ غايتُهُ ، ولا تستقصى أصولُهُ ... "[2] إنّ النصّ ينطوي على تعظيم العلم ، فهو بحرٌ لا يدرك الإنسان عمقَهُ ولا امتداده ، وقد حُذِفَ الفاعل ؛ للعلم به ؛ لأنّ الذي يتعاطى العلم ويعطيه هو الإنسان الذي ميّزه الله تعالى من سائر خلقه بالعقل ، وقد عبّر عنه الكاتب بـ (النّاس) ، وتقدير النصّ : (وقد يرغب الناس ، كما يرغب الناس ، لا يدرك الناس ، ولا يسبر الناس ، ولا تبلغ الناس ، ولا يستقصي الناس) وجاء الحذف هنا تعظيمًا لشأن العلم .

وكتب ابن المعتز رسالة تعزية بولد : " لَئِن حُرِمَ الأجر ببرّك ، لقد كُفِيَ الإثمُ بعقوقِكَ ، ولَئِن فُجِعْتَ بفقدِهِ ، لقد آمنتَ الفتنة به "[3] ، فالكاتب يحاول أن يخفف عن صاحب المصاب بأن يقول له : إذا كنتَ قد حُرِمت من برّ هذا الولد بك – لو مدَّ الله بعمرِهِ – فلعلّ لله حكمة في حرمانك منه ، كأن يكون هذا بعد بلوغه عاقًّا لك ، وإذا كان الله قد فجعك بفقدِهِ ، فله حكمة أخفاها عنك ، هي أن تفتن به بعد أن يكبر فتصبح حالتك لفقده أعظم مما تشعر به الآن .

وجاء حذف الفاعل وهو لفظ الجلالة (الله) للتنزيه ؛ لأنّ الإنسان يعدّ الموت شرًّا يلحق به أو بأقربائه أو أصدقائه ، وهنا نجد والدًا مفجوعًا بولده ، ويحسب أنّ الشرّ لحق بولده فلم يرد ابن المعتز ذكر لفظ الجلالة (الله) في موضع يظنه الناس

---

(1) دلائل الإعجاز : 116 .

(2) العقد الفريد : 178/2 .

(3) رسائل ابن المعتز : 49 ، وينظر : من فصول ابن المعتز : 42 .

شرًّا ، والحفاظ على النغم الموسيقي الناتج عن الترصيع في (حُرِمَ ، كُفِيَ) و (فُجِعَت ، آمنت) ، والسجع في (ببرّك ، عقوقك) و (بفقده ، الفتنة به) ، وتقدير القول : (حَرّم الله ، كفى الله ، فَجَعَ الله ، آمن الله) .

وقال ابن المعتز في حكمةٍ له : " من يهتك سترَ غيرِهِ ، تُكشفُ عورةَ بنيه "[1] ، فقد أكّد الكاتب في هذه الحكمة ضرورة حفظ ستر الآخرين ، وصيانة سمعتهم وعدم التلاعب بها ، وإنّ من يحاول هتكها والعبث بها تكون عقوبته كشف عورة أبنائه وسترهم ، والتي هي عورته وستره ، وتقبح صورته أمام الله تعالى وأمام الناس جميعًا ، فقد حذف الفاعل (الناس) ، وتقدير الكلام : (من يهتك ستر غيره ، يكشف الناس عورة بنيه) وجاء هذا الحذف للإيجاز ، وتحقير الفاعل ، والمبالغة في المصيبة .

ر – إقامة المصدر مقام الفعل

ويحذف الكُتّاب الجملة مُقيمين المصدر مقامها ؛ تعميقًا للمعنى ، وتأكيدًا له ، ويعمل هذا الحذف على تحريك أذهان المتلقين لتقدير الجملة المحذوفة في النصّ .

من ذلك قول الجاحظ في رسالة (التربيع والتدوير) : " قد – والله – عافانا الله بك ، وابتلى وأنعم بك وانتقم ، فترحًا لمن زهد فيك ، وسقيًا لمن رَغِبَ إليك ... فإيّاك أن تظنّ أنّك قديمٌ فتكفر ، وإيّاك أن تنكر أنّك محدث فتشرك ... "[2] ، فحذف الكاتب الجمل من النصّ وأقام المصادر مقامها ، وتقدير القول : (فترح من زهد فيك ترحًا ، وسُقي من رَغِبَ فيك سقيًا) ، وقد وظّف الحذف للإيجاز ، والحفاظ على إيقاع النصّ ، وعموم النصّ ينطوي على سخرية الجاحظ من (أحمد بن عبد الوهاب) ، فهو تارةً يستعمل أسلوب الترغيب بالدعاء بالحزن لمن زهد عنه ، والسقاية لمن أراده ورَغِبَ فيه ، وتارةً أخرى نجد الجاحظ يرهبه ويحذره من أن يظن نفسه بأنّه قديم الخلق فيكفر بالله تعالى ، أو يظن نفسه محدثًا فيشرك بالله تعالى .

---

(1) رسائل ابن المعتز : 73 .

(2) التربيع والتدوير : 45 .

ونظير ذلك ما كتبه ابن المعتز في الاشتياق ، إذ قال : " إنّي لآسف على كلِّ يومٍ فارغٍ منك ، وكلّ لحظة لا تؤنسها رؤيتك ، وسقيًا لدهرٍ كان موسومًا بالاجتماع معك ... "[1] ، فحذف الفعل (يسقي) وأقام المصدر مقامها (سقيًا) ، وتقدير الكلام : (ويسقي سقيًا لدهرٍ كان موسومًا بالاجتماع معك) ، وقد حقّق الحذف هنا إيجازًا مشحونًا بالمودة والشكوى من ألم البعد داعيًا من الله تعالى التواصل ونبذ الفرقة بينهما .

وقال ابن المعتز في رسالة تعزية : " ... عَظَّم الله أجرَكَ ، وجعل الثواب عِوَضَكَ ، ووفّقك لنيل مرضاته عنك ، وإنَّا لله قولاً بما عَلَّمَ نتنجَّزُ به ما وَعَدَ "[2] فحذف الفعل (أقول) وأقام المصدر مقامها (قولاً) ، وتقدير الكلام : (وأقول قولاً بما علَّمَ) ، وبما أنّ المقام هنا مقامُ تعزية ، فهذا يتطلب إيجازًا مشحونًا بالألم والأسى للمُعزِّي ، بعيدًا عن الإطالة والحشو المؤديين إلى الملل والنفور ؛ لأنّ الإيجاز البليغ المُعبّر عن محور الحدث يكون أكثر وقعًا في نفس المتلقي ، ولا سيّما أنّ الإطالة أحيانًا تثير مآسي المُعزّي وتجعله أكثر أسًى .

(1) رسائل ابن المعتز : 52 .

(2) المصدر نفسه : 53 .

الباب الأول

(الإيجاز)

الفصل الثاني : إيجاز القصر

الفصل الثاني
إيجاز القِصَر

هو أحد أنواع الإيجاز التي يستدعيها المقام ، ويُوجّه مدلوله المخاطب ، وقد تعرّض له الجاحظ من غير تسمية له ، وذلك حينما علّق على قول الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ : " قيمة كلّ امرئ ما يُحسِن " ، فقال : " فلو لم تقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ، ومُجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلةً عن الكفاية وغير مُقصِّرة عن الغاية ، وأحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ... "[1] .

وتناول الرّماني (إيجاز القصر) فقال : " بِنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف "[2] ، وقد جعله – أي إيجاز القصر – أبلغ من إيجاز الحذف ؛ لكونه أغمض منه[3] ، ويبدو أنّ الرّماني يقصد الغموض الذي يُحرّك النفس ، ويجعلها تذهب فيه مذاهب متعددة ، ولا يَقصد بالغرض هنا التعمية والإبهام ، وهو ما توضح في الأمثلة التي اختارها لهذا النوع من الإيجاز .

وقد قسّم ابن الأثير (إيجاز القِصر) على قسمين[4] :

الأول : ما دلّ لفظه على محتملات متعددة يمكن التعبير عنها بمثل ألفاظه .

الآخر : ما دلّ لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنها .

وإيجاز القصر هو من أعلى طبقات الإيجاز مكانًا ، وإذا وُجِدَ في كلام بعض البلغاء إنّما يوجد شاذًّا ونادرًا .

وقد أعلى العلوي من شأن (إيجاز القصر) وجعل موقعه من البلاغة عظيمًا ، إذ قال : " وهذا القسم من الإيجاز له في البلاغة موقعٌ عظيمٌ ، دقيق المجرى ،

---

(1) البيان والتبيين : 74/1 ، وينظر : نهج البلاغة : 642/4 .

(2) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : 76 .

(3) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(4) ينظر : المثل السائر : 319/2 .

صعب المرتقى ، ولا يختصّ به من أهل الصناعة إلاّ واحدٌ بعد واحدٍ ومهما عَظُمَ المطلوب قلَّ المساعد "[1] .

أمّا المحدثون من البلاغيين فلا نجد عندهم اختلافًا كثيرًا عمّا عرّف به البلاغيون المتقدمون (إيجاز القِصَر) وحَذّوه به ، فهو عند الدكتور أحمد مطلوب : " يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف "[2] ، وقريب من هذا التعريف تعريف بسيوني عبد الفتاح[3] ، والدكتور حسن طبل[4] ، والدكتور فضل حسن عباس[5] .

أمّا الدكتور أحمد مطلوب فيعرّف (إيجاز القصر) بأنّه : " تقليل الألفاظ وتكثير المعاني "[6] ، في حين أنّ مفهومه عند درويش الجندي هو : " أن يكون اللفظ ناقصًا عن أصل المراد مع الوفاء به وإلاّ كان إخلالاً لا إيجازًا "[7] .

وقد اشتملت رسائل القرن الثالث الفنية على هذا الضرب من الإيجاز حتى صار سمة فنية لكثير من هذه الرسائل ، ومن هذه الرسائل الموجزة رسالة (أحمد بن يوسف الكاتب) في الشكر بعث بها إلى أحد إخوانه قال فيها : " لم يُخطّئني من النِّعم ما أصابك ، ولا عداني منها ما حلَّ بك ، ولا خلوتُ من واجب حقِّها وما نَفَلَك* الله منها إذ قلَّدتها ، اعتدادًا مني بما طُوِّقْتَ من المنن ، وإيجابًا على نفسي لما حَمَلتُ من الشكر "[8] .

---

(1) الطراز : 259 .
(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 361/1 .
(3) ينظر : علم المعاني ، بسيوني عبد الفتاح : 492 .
(4) ينظر : علم المعاني ، حسن طبل : 125 .
(5) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني : 470 .
(6) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 361/1 .
(7) علم المعاني ، درويش الجندي : 160 .
* نَفَلك : أي أعطاك ، ينظر : أساس البلاغة (نفل) .
(8) جمهرة رسائل العرب : 377/3 .

يبدو أنّ أحمد بن يوسف الكاتب قد عمد إلى إيجاز القِصَر في هذه الرسالة ؛ لتكون على درجة عالية من البلاغة ، إذ ضمّنها معاني واسعة مما يستوجب شكر الصديق والثناء عليه ، ففي قوله : (لم يُخطّئني من النِّعم ما أصابك ، ولا عداني منها ما حلّ بك) إشارة إلى كرم هذا الصديق وما تفضّل به على صديقه حتّى صارا متعادلين في النِّعم ، فكلّ النِّعم التي أصابته لم تُخطئ طريقها إلى صديقه الكاتب ، وكلّ ما حلّ به منها حلّ عنده هو أيضًا ، كما أنّ في قوله : (النِّعم) إشارةً إلى كلّ ما يمكن أن يجود به الأكرمون ، فهي ليست مجرد (عطايا) إنّما (نِعَم) لا تعدّ ولا تُحصى ، وتظهر في الرسالة أيضًا طريقة الكاتب الرائعة في التعبير عن شكره لصديقه ، وشكر الله قبله الذي قلّده هذه النِّعَم .

ومن نماذج (إيجاز القصر) قول أحمد بن يوسف الكاتب أيضًا في رسالة قصيرة إلى أحد أصدقائه يشكو شوقه إليه : " شوقي إليك شديدٌ ، يستوي في العجز عن صفته الخطيب البليغ ، والعيّ المُفحَم* ، فدعاني ذلك إلى الخفض على نفسي ، وتقديم جملة من ذكره إذا عارضتَ بها ما في قلبك كانت له موافقة ، بل كانت عليه مُفَضِلة "[1] ، يتبيّن لنا من خلال هذه الرسالة أنّ الكاتب قد عُنِيَ بأسلوب (إيجاز القصر) في بلاغة القول ، حيث حشد كثيرًا من المعاني في قليل من الألفاظ ، فقوله : (يستوي في العجز عن صفته البليغ والعيّ المُفْحَم) من إيجاز القِصر ، فهو إشارة إلى شدّة هذا الشوق وكثرته ، حتى إنّه إذا تدفق في صدر البليغ لم يستطع التعبير عنه ؛ لشدّته وعنفوانه ، فتساوى والعيّ المُفحَم في ذلك .

كما تضمّنت الرسالة إشارة خفية إلى أنّ الصديق لم يقابل شوق الكاتب بمثله وهو ما عبّرت عنه عبارته الأخيرة (فدعاني ذلك إلى الخفض على نفسي ، وتقديم جملة من ذكره إذا عارضت بها ما في قلبك كانت له موافقة ، بل كانت عليه مُفَضِلة) ، فهو كتاب في منتهى الرقة والتأدب مع الصديق .

---

* المُفحَم : العيّ ، ينظر : لسان العرب (فحم) .

(1) جمهرة رسائل العرب : 380/3 .

ولأحمد بن يوسف إلى جانب رسائله أقوالٌ مأثورة في مواقف متنوعة ، رغم إنّها قصيرة لكنّها تفي بالغرض المطلوب ، فقد عبّر عن حالات إنسانية رائعة ، ومن هذه الأقوال :

1- " فاشكر الله لك ما أصبحتَ مشكورًا به "[1] .

2- " ما عبرات الغواني في خدودهنّ بأحسن من عبرات الأقلام في خدود الكتب "[2] .

3- " القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع ، إذا نَسَجَ عليه ، وأودعها حكمه "[3] .

4- " لعن الله زمانًا أخّرك عمّن لا يساوي كلّه بعضك "[4] .

5- " بالأقلام تساس الأقاليم "[5] .

6- " إذا لم تستطع أن تعضَّ يدَ عدوّك فقبّلها "[6] .

وقد اتّسمت هذه الأقوال المأثورة بمجموعة من الخصائص منها :

1- الإيجاز الشديد مع الإيفاء بالغرض المطلوب .

2- كثافة المعاني وتنوعها ووفاؤها بالمراد .

3- جزالة اللفظ والتأنق في اختيار العبارات الملائمة للحال والمقام .

4- حافلة بالصور البلاغية من الاستعارات والتشبيهات مع الاستعمال الجيّد للمحسنات البديعية .

ونظير هذا الإيجاز نجده في رسالةٍ لـ (سهل بن هارون) كتبها إلى صديقٍ له تماثل للشفاء من مرضٍ ، إذ قال : " بلغني خبر الفَتْرة* في إلمامها وانحسارها

---

(1) البديع : 51 .

(2) العقد الفريد : 187/4 .

(3) أدب الكُتّاب : 62/1 .

(4) أمراء البيان : 243/1 .

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(6) العقد الفريد : 231/1 .

* الفَتْرة : الضَّعف ، ينظر : لسان العرب (فتر) .

والشكاة في حلولها وارتحالها ، فكاد يشغلُ القلقُ بأوّله عن السكون لآخرِهِ ، وتذهل الحيْرة في ابتدائِهِ عن المسرّة في انتهائه ، وكان تغيّري في الحالين بقدرهما ، ارتياعًا للأولى ، وارتياحًا للأخرى "[1] ، يتضح في هذه الرسالة جمال التعبير ، ودقة التفكير ، والغوص في المعاني[2] ، فقد لخّص هذا النصّ الموجز كلّ معاني القلق والخوف من مرض صديقه في قوله : (يشغل القلق بأوله ، وتذهل الحيرة في ابتدائه ، وارتياعًا للأولى) ، وكذلك جمع كلّ معاني الفرح والسرور بشفاء صديقه من مرضه بدلالة قوله : (السكون بآخره ، والمسرة في انتهائه ، وارتياحًا للأخرى) وقد وظّف الطباق لتحقيق هذا الإيجاز في قوله : (حلولها وارتحالها) ، (القلق والسكون) ، (أولّه وآخره) ، (الحيرة والمسرة) ، (ابتدائه وانتهائه) ، (ارتياعًا وارتياحًا) .

ولسهل بن هارون رسالة موجزة في الفراق ، قال فيها : " فالسلام على عهدك ، وداعٍ ذي ودٍّ ضنينٍ بكَ في غير مقليةٍ* لك ، ولا سلوةٍ عنك ، بل استسلام للبلوى في أمرِكَ ، وإقرار بالعجز عن استعطافك إلى أوان فيئتك ، أويجعل الله لنا دولةً من رجعتِكَ "[3] ، فلخص في هذا النصّ الموجز كلّ مشاعر الألم والشكوى والحزن لمفارقته محبوبه ، وقد أعلن استسلامه لهذا البلاء – أي مفارقة محبوبه – والعجز عن استعطافه إلى وقت رجوعه حيث تقرّ عينه به ، وقوله : (أن يجعل الله لنا دولةً من رجعتك) ، فهو يدعو الله تعالى أن يجعل له دولةً من عودته ولقائه به ، والدولة هي رمز لكلّ معاني الرفعة والعزّ والعيش الرغيد ، والاستقلال ، وهذا الإيجاز يعتمد على غزارة في الفكر ، وبراعة في الأداء يتميّز بهما الكاتب في كتاباته .

ومن كلام سهل بن هارون في كتاب (ثعلة وعفراء) : " اجعلوا أداء مما يجب عليكم من الحقوق مقدّمًا قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فإنّ تقديم النافلة مع الإبقاء في أداء الفريضة شاهد على وهن العقيدة وتقصير الرؤية ، ومضر بالتدبير ، ومخل بالاختيار ، وليس في نفعٍ تُحمد به عِوضٌ من فساد المروءة ، ولزوم النقيصة

---

(1) سرح العيون : 245 .

(2) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف : 540 .

* مقلية : كراهية ، ينظر : لسان العرب (مقل) .

(3) سرح العيون : 246 .

"[1] ، ينطوي هذا النصّ الموجز على النصيحة الخالصة للإنسان في أداء الواجبات المفروضة عليه أولاً ، ثمّ يقوم بالأعمال المستحبّة ثانيًا ، وقد شبّه تقديم الأعمال غير الواجبة على الأعمال الواجبة بتقديم الإنسان النافلة في الصلاة وتأخير الفروض ، فهذا دليل على ضعف العقيدة وفساد الدين .

وقال الكاتب نفسه في رسالة (البخل) : " إنّ فضل الغِنى على القوت إنّما كفضل الآلة في الدار إن احتيج إليها استُعملت ، وإن استُغنيَ عنها كانت عِدَّةً "[2] عالج الكاتب هذا النصّ عن طريق (إيجاز القِصَر) ، فقد شبّه فضل المال على لوازم الإنسان من الطعام والملبس كفضل وجود الآلة في المنزل ، فإن احتيج إليها في عملٍ معين استُعملت ، وإن لم يُحتج إليها تُركت إلى وقت الحاجة إليها ، كذلك المال فإن احتاج الإنسان إليه لشراء حاجياته ولوازمه استعمله وإلاّ فإنّه يُدّخره إلى وقت الحاجة إليه .

ومن أقوال سهل بن هارون التي أخذت سبيلها إلى (إيجاز القصر) مما أضاف لها رونقًا وبهاءً وحسن ديباج قوله : " القلم لسان الضمير ، إذا رَعَفَ أعلن أسراره ، وأبان آثاره "[3] ، فالكاتب يشير في هذا النصّ الموجز إلى أنّ القلم هو مستودع ضمير الإنسان ، ولسان حاله ، وصندوق أسراره أمام الناس ، فهو دليل على بلاغة صاحبه وعيّهِ ، ودليل على ما يحمله من مشاعر تجاه المحيطين به من مدحٍ ، أو ذمٍّ ، أو فخر ، أو رثاء ، أو شوق أو فرح ، أو حزن . ومن أقوال سهل الأخرى التي تحمل حلاوة الإيجاز :

1- " سياسة البلاغة أشدّ من البلاغة ، كما أنّ التوقّي على الدواء أشدّ من الدواء "[4] .

2- " بلاغة الإنسان رِفقٌ ، والعيُّ خِرقٌ "[5] .

---

(1) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف : 530 .

(2) البخلاء : 39 .

(3) أمراء البيان : 177/1 .

(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(5) أمراء البيان : 177/1 .

3- " العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم "[1] .

4- " مصيبةٌ في غيرك لك ثوابُها خيرٌ من مصيبةٍ فيك لغيرك ثوابُها "[2] .

5- " التهنئة على آجل الثواب ، أولى من التعزية على عاجل المصاب "[3] .

روي عن أحمد بن يوسف الكاتب أنّه قال : " دخلت يومًا على المأمون وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته تارةً بعد أخرى ويصعد ويصوب فيه طرفه ، قال : فلما مرّت على ذلك مدّة من زمانه التفت إليَّ فقال : يا أحمد أراك مُفكّرًا فيما تراه منّي ، قلت : نعم ، وقى الله أمير المؤمنين المكاره ، وأعاذه من المخاوف ، قال : فإنّه لا مكروهَ في الكتاب ، ولكنّي قرأت فيه كلامًا وجدته نظير ما سَمِعتُ الرشيد يقول في البلاغة ، فإنّي سَمِعتُهُ يقول : البلاغة التباعد عن الإطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى ، حتّى قرأت هذا الكتاب ، ورمى به إليَّ وقال : هذا كتاب (عمرو بن مسعدة) إلينا ، قال : فقرأته فإذا فيه : (كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومن قبله من قوّاده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما يكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كُفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلّت لذلك أحوالهم ، والتأثت معهم أمورهم) ، فلمّا قرأته قال لي : إنّ استحساني إيّاه بعثني على أن أمرتُ للجند قبله بعطاياهم لسبعة أشهر ، وإنّما على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حلَّ محلُّهُ في صناعته "[4] .

إنّ هذه الرواية تعكس ما كان عليه الكُتّاب في ذلك العصر من بلاغة الإيجاز في كتاباتهم ، وما كان عليه رؤساؤهم وخلفاؤهم من استحسان لأقوالهم ؛ لإيجازها واختصارها ، وأدائها المعنى من دون خلل في عبارات تحمل معاني كثيرة في ألفاظ قليلة ، فعبارة (عمرو بن مسعدة) تعكس تفننًا في القول ، وتفضيلاً للإيجاز في التعبير وطلبًا له ، واتخاذه منزعًا وطريقًا للكاتب ، ولا شكّ في أنّ الكاتب هنا قد بذل جهدًا كبيرًا في تدوين هذا الكتاب الموجز الرصين ، حتى يقع على العبارات

---

(1) المصدر نفسه : 179/1 .

(2) سرح العيون : 245 .

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(4) وفيات الأعيان : 148/3 ، وينظر : نهاية الأرب : 260/7 .

القليلة التي تؤدي إلى المأمون امتعاض القوّاد والجند من تأخر رواتبهم ، وقد اخذ يحتال لإنبائه بهذا الخبر من غير أن يضيق بهم ، ولا يظنّ أنّهم عمدوا إلى شغب ، فذكر له أنّهم مُذلّلون منقادون ، وأنّهم مستمسكون بعُرى طاعته استمساكًا يستغرق قلوبهم كأحسن ما يكون عليه استمساك جيش بطاعة خليفته ، ثمّ تَبِعَه بتأخر أرزاق الجند ورواتبهم حتى أجهدهم ما تحملوه من هذا التأخر ، وحتى اضطربت أحوالهم ، وهم في طاعتهم وانقيادهم أحرى أن يسدّ اختلالهم ، وأن يرعى لهم وفاءَهم ، فأثّر هذا الكتاب تأثيرًا بالغًا في نفس المأمون حتى أمر لهم بعطايا سبعة أشهر متتابعة[1] .

ونظير هذا الإيجاز عند عمرو بن مسعدة نجده حين عَهِدَ إليه المأمون أن يكتب لرجلٍ يُعنى به كتابًا إلى بعض العمّال بالوصية عليه والاعتناء بأمره ، وأن يختصر كتابه ما أمكنه حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد ، فكتب عمرو بن مسعدة قائلاً : " كتابي إليكَ كتابُ واثقٍ بمن كُتِبَ إليه ، مَعْنِيٌّ بمن كُتِبَ له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حاملُهُ ، والسّلام "[2] .

لقد حرص الكاتب على الإيجاز في رسالته هذه ؛ تلبيةً لرغبة المأمون للتأثير في المرسل إليه ؛ لأنّ الكلام كلمّا تضمّن إيجازًا في اللفظ وغِنًى في المضمون كان أكثر وقعًا في نفس قارئه أو سامعه ، فالكاتب كتب على لسان المأمون إلى أحد عمّاله يوصيه بحامل الرسالة خيرًا ، وقد استعمل أسلوب الرفق واللين معه مُبيّنًا بأنّ ثقته بهذا العامل كبيرة ، وإنّه مَعنيٌّ بالشخص الذي كُتِبَ من أجله هذا الكتاب ، ويرجو منه إحاطته بالثقة والعناية ما أمكنه ذلك .

ويُروى أنّه قَدِمَ على المأمون رجلٌ من أهل الشام على عِدّةٍ سَلَفَتْ له من المأمون من توليته بلدةً ، وأن يضمّ إليه مملكته ، فطال على الرجل انتظار خروج أمير المؤمنين بما وعدَهُ به ، فقصد (عمرو بن مسعدة) وعرضَ عليه المسألة ، وسأله إيصال رقعة إلى المأمون بها ، فتولّى (عمرو بن مسعدة) كتابة الرقعة عنه

(1) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف : 556 .
(2) وفيات الأعيان : 145/3 ، وينظر : نهاية الأرب : 260/7 .

حيث قال : " إن رأى أمير المؤمنين أن يفكَّ أسرَ عِدّتِهِ من رِبْقة المَطْلِ ، بقضاء حاجة عبده ، والإذن له بالانصراف إلى بلده ، فعلَ مُوفَّقًا "[1] .

لقد بذل الكاتب جهدًا كبيرًا في كتابه الموجز هذا بأسلوب التودد والاستعطاف من خلال رسم صورة تشبيهية يستعطف بها قلب المأمون ، إذ شبّهه بأسير يحيط الحبلُ بعُنُقِهِ ، وهو يرجو من المأمون أن يحرره من هذا الأسر بقضاء حاجته موفقًا ، فلما قرأ المأمون الرقعة جعل يَعجَبُ من حسن لفظها ، وإيجاز المراد فيها ، وأعطاه المأمون ما سأل حيث قال : " الكتابة له بهذا الوقت بما سأل ؛ لئلا يتأخر فضلَ استحساننا كلامه ، وبجائزةٍ تَفِي دناءَة المَطْل "[2] .

وكتب عمرو بن مسعدة إلى بعض أصحابه في حقّ شخص يعزّ عليه : " أمّا بعدُ ، فموصِّل كتابي إليك سالمٌ ، والسلام "[3] ، أراد به قول الشاعر :

يُديرونني عن سالمٍ وأديرُهُم وجِلْدةُ بينَ العينِ والأنف سالمُ

لقد برع الكاتب في نصّه الموجز هذا ، حيث أراد أن يُعبر عن مدى اعتزازه وقُرْبه من ذلك الشخص من خلال التشبيه البليغ ، فقد شبّه هذا الشخص بالجلدة التي تقع بين العين والأنف ، أي أنّه يحلُّ منّي هذا المحلَّ ، فقد قصر كلّ معاني الاعتزاز بصديقه في هذا التشبيه البليغ .

ويُروى أنّ رجلاً من بني ضبّة ضرع إلى عمرو بن مسعدة أن يشفع له عند المأمون ، فكتب إليه مستشفعًا له : " أمّا بعدُ ، فقد استشفعَ بي فلانٌ يا أمير المؤمنين – لتَطَوُّلِكَ عليَّ – في إلحاقِهِ بنظرائه من الخاصّة فيما يرتزقون به ، وأعلمتُهُ أنّ أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته والسلام "[4] ، وأعجب المأمون من دقّة عرضه لشفاعته لذلك الرجل ، وتلميحه إلى قرب حرمته منه ، وما يختصّه بالمنزلة الرفيعة عنده ، فجاء إيجاز القِصَر هنا بغاية البراعة في أداء المعنى المطلوب ، حتّى جعل المأمون يستجيب

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 430/3 .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) وفيات الأعيان : 147/3 .

(4) جمهرة رسائل العرب : 428/3 .

لمطلبه قائلاً : " قد عَرَفنا توطئتك له ، وتعريضك لنفسك ، واجتباك إليهما ، ووفقناك عليهما "[1] .

ويتضح هذا الإيجاز في قول عمرو أيضًا : " لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه ، وفرائد علمه ، ومن كانت غايته الاحتيال على مالك ، وإطراءك في وجهك ، فإنّ هذا لا يكون إلاّ رديء الغيب ، سريعًا إلى الذمّ "[2] ، فقد حشد الكاتب في هذا النصّ معاني كثيرة في ألفاظ قِصار ، فقد جمع في هذه الألفاظ القليلة بيان حسن الصحبة واختيار العشير ، وقيمة الشكر ، وفائدة العِلم ، والتحذير من الاحتيال ، وعدم الالتفات إلى عبارات الإطراء الزائفة ، فذلك كلّه من رداءة الخُلُق إذا التصقت بشخصٍ من الأشخاص ، فيكون بها سريعًا إلى الذمّ ، لا يُؤمَن جانبه ، وكان إعجاب المأمون بكاتبه يَنمُّ على أنّه متذوقٌ للإيجاز وحسن البيان .

فقد كسا هذه العبارات القصيرة معاني عميقة تصلح أن تكون حِكَمًا يتداولها الناس ، ومن حِكَمِهِ الأخرى :

1- " عليكم بالإخوان فإنّهم زينة في الرّفاء ، وعِدّةٌ في البلاء "[3] .

2- " من حقوق المودّة عفو الإخوان ، والإغضاء عن تقصيرٍ إن كان "[4] .

3- " لقاء الخليل شفاء الغليل "[5] .

4- من لم يُقدّم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأُنس ، أثمرتْ مودتُهُ ندمًا "[6] .

5- " القريب بعيدٌ بعداوته ، والبعيد قريبٌ بمودّته "[7] .

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 428/3 .

(2) البيان والتبيين : 178/3 .

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(5) المصدر نفسه : 203/1 .

(6) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(7) أمراء البيان : 203/1 .

6- " لا تأمَنَنَّ عدوَّكَ وإن كان مقهورًا ، واحذرْهُ وإن كان مفقودًا "[1] .

7- " كمون الحقد في الفؤاد ككمون النار في الزناد "[2] .

8- " العِتاب حياة المودّة "[3] .

9- " عَلِّق سوطَك حيث يراهُ أهلك "[4] ، بمعنى اجعل نفسَك بحيث يهابك أهلك ولا تغفل عنهم ، وعن تخويفهم وردعهم .

10- " الأقلام مطايا الفِطَن "[5] .

11- " الخطُّ صورة الكتب تردُّ إليها أرواحها "[6] .

12- " ظاهر العتاب خيرٌ من باطن الحقد "[7] .

وممن نجد هذا الإيجاز في رسائله أيضًا عبد الله بن طاهر ، ومن ذلك رسالته إلى الخليفة المأمون في إهدائه فرسًا ، قال فيها : " قد بعثتُ إلى أمير المؤمنين بفرسٍ يلحق الأرانب في الصَّعَدَاء ، ويجاوز الظِّباء في الاستواء ، ويسبق في الحُدور جريَ الماء "[8] ، يلاحظ في هذه الرسالة بلاغة الإيجاز ودقة التعبير في الوصف ، فقد وصف سرعة الفرس المُهداة بأنّها تسبق الأرانب في الأماكن المرتفعة ، وتجاوز الظباء في الأماكن المستوية من الأرض ، كما تسبق شلالات الماء في انحدارها نحو الأسفل ، وهذه الرسالة من رسائل مجاملة الخلفاء والأمراء ؛ لأنّ الخليفة هنا ليس بحاجة إلى فرسٍ لكنّها من باب التقرب والتودد إليه .

ونلمح هذا الإيجاز أيضًا في كتابات (ابن الزيات) من ذلك كتاب العهد الذي كتبه للواثق على مكة بحضرة المعتصم ، قال فيه : " أمّا بعدُ ، فإنّ أمير المؤمنين

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(5) أدب الكُتّاب : 62/1 .

(6) المصدر نفسه : 146/2 .

(7) أمراء البيان : 203/1 .

(8) زهر الآداب : 357/2 .

قلَّدك مكة وزمزم ، تراث أبيك الأقدم ، وجدّك الأكرم ، ورَكضة جبريل ، وسُقيا إسماعيل ، وحَفْرَ عبد المطلب ، وسِقاية العباس ، فعليك بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيتِهِ "[1] .

يشير ابن الزيات في هذا النصّ الموجز الدقيق إلى مزايا مكة ، ويوجز أسباب فضلها ، وما تعنيه الولاية عليها من تكريم ، ففيها : بيت الله ، وبئر زمزم ، والإشارة إلى قصة هاجر زوج سيّدنا إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ حيث ولدت ابنها إسماعيل منه ، وغارت زوجته الثانية سارة ، واضطرته أن ينزلها منزلاً بعيدًا عنها ، فأنزلها بوادي مكة الجدب ، وأعياهما أن يجدا ماءً يستقيان منه ، وبينما هاجر قد أخذها اليأس من وجوده ، إذا جبريل يهبط راكضًا على موضع لا تلبث بئر أن يتفجر منه ، وهو بئر زمزم ، فتستقي منه هاجر وإسماعيل ، وتمرّ الأيام وتُمحى معالمُهُ ويظل مطمورًا ، حتى يُلقى في رَوع عبد المطلب جدّ الرسول الأعظم ﴿ﷺ﴾ أن يحفره ، وما إن ضرب بمعوله فيه حتى فاض الماء ، واتخذه لسقاية الحجيج ، ووَرِثَ أبو طالب شرف هذه السقاية بعده وورثها عنه العباس أخوه جدّ العباسيين ، وقد بَنَى ابن الزيات هذه القصة على الإيجاز والاقتصاد في القول من جهة ، وعلى التأنق في التعبير من جهة ثانية[2] .

ونظير هذا اللون من الإيجاز قول ابن الزيات : " احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل ، فليس من أساء وهو يعلم أنّه مُسيء كمن أساء وهو يظنّ أنّه يُحسن "[3] ، والقصد إلى الإيجاز واضح في هذه الرسالة من حيث الاقتصاد في التعبير والاتّساع في المعنى ، فالنصّ ينطوي على النصيحة في الحذر والتنبّه من الصديق الجاهل الذي لا يزن الأمور بموازينها الصحيحة ، والآثار المترتبة عليها ، وهو أشدّ وقعًا وضررًا من العدو العاقل ؛ لأنّ العاقل يُسيء وهو يعلم أنّه قد أساء ، أمّا الجاهل فهو يسيء لكنّه لا يعلم أنّه قد أساء ، ويظنّ أنّه قد أحسن في هذا الأمر ، أي أنّ الصديق الجاهل يكون أكثر ضررًا من العدو العاقل .

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 36/4 .

(2) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، شوي ضيف : 562 .

(3) أمراء البيان : 303/1 .

وقال ابن الزيات في رسالة له عن حقّ الراعي والرعية : " إنّ الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة ، ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة ، وإحياء السُّنن الصالحة ، فإذا أدّى كلٌّ إلى كلٍّ حقَّه كان سببًا لتمام المعونة ، واتّصال الزيادة ، واتّساق الكلمة ، ودوام الألفة "[1] ، يؤدي ابن الزيات الفكرة في عبارة موجزة تُلمُّ بأطراف المعنى ولكن من دون إطالة مع الدقة في انتخابه الألفاظ من دون تكلّف[2] .

لقد لخّص الكاتب في هذه الرسالة حقَّ الخلفاء على الناس ، أو حقّ الناس على الخلفاء ، فإنّ حقّ الخليفة على الناس الطاعة والنصيحة له ، أمّا حقّ الناس على الخليفة فهو بسط العدل بينهم والرأفة بهم ، وأداء حقوقهم ، وتكفل أرزاقهم ومعيشتهم ، فإذا أدّى كلّ طرف حقّه على الوجه الصحيح كان سببًا لدوام الألفة والمحبّة والطاعة .

وكتب ابن الزيات في فصلٍ له : " إنّ من أعظم الحقّ حقّ الدين ، وأوجب الحُرمة حرمة المسلمين ، فحقيقٌ لمن راعى ذلك الحقّ ، وحَفِظَ تلك الحُرمة أن يُراعى له حَسَبَ ما رعاه الله ، ويحفظ له حسب ما حَفِظَ الله على يديه "[3] ، فالإيجاز واضح في هذا النصّ ، فقد لخص ابن الزيات فيه حقّ الدين والحُرمة ، فجعل أعظم الحقّ هو أداء حقّ الدين في جميع وجوهه من الصوم والصلاة والزكاة والأمانة والصدق ، كما جعل أوجب الحُرمة حفظ حُرمة المسلمين في حضورهم وغيابهم ، وأداء حقوقهم وأماناتهم ، ونشر الألفة بينهم ، فالإنسان الذي يحفظ دينه ويرعى حرمة المسلمين أحقّ أن يُحفظ له كما حَفِظَ الدين ، وتُرعة حرمته ما رعى حرمة المسلمين .

وجاء (إيجاز القِصَر) أيضًا في قوله : " الجدار أقرب منك جِوارًا "[4] ، لقد بلغ الكاتب في هذا النصّ الموجز جهدًا كبيرًا حيث ضمّنه معاني العتاب واللوم

---

(1) العقد الفريد : 226/4 .
(2) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف : 563 .
(3) العقد الفريد : 226/4 .
(4) أمراء البيان : 302/1 .

لأخيه أو صديقه في مفارقته إيّاه وابتعاده عنه وتقصيره في واجباته أمام أخيه وصديقه ، وقد تضمّن هذا النصّ كناية عن الفراق والبعد والجفاء .

كما تضمّنت بعض أقوال إبراهيم بن العباس الصّولي ذلك الإيجاز ، واتخذه مسلكًا له في بعض رسائله ، إذ قال في رسالة له إلى صديق وُلِّيَ ولايةً : " واعلم أنّ الخيانة فِطنةٌ ، والأمانة حِرفةٌ ، والجمع كَيْسٌ ، والمنع صَرَامة ، وليس كلّ يوم ولاية ، فاذكر أيام العطلة ، ولا تحقرَنَّ صغيرًا ، فإنّ من الدور إلى الدور ، وإبلاء الولاية رِقدةٌ ، فتَنَبَّه قبل أن تُنَبَّه ، ورأيتُ الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل "[1] .

يُبيّن الصّولي في هذا النصّ أنّه سار في إدارته للدولة كما سار أرباب الإدارة حينذاك ، حيث يأخذ ويعطي من مال الأمة والدولة ، ويُقلّد كبار العمّال في مظاهرهم ، ولا يتعفف من مال ومتاع ، كان مظهرًا من مظاهر العاملين في الدولة ، يستمتع بخيراتها أنَّى وجدها ، ويفوقهم بأنّه كان على جانب عظيم من المروءة وسعة الفضل ، وكان الصولي يأخذ العاجل ولا يُبالي ، ودبَّ إليها دبيب الوشاة ، فينجو مرة ويعطب مرات ، فالنصّ لخص نظرة الناس إلى مناصب الدولة ، وكونها فرصة للإثراء غير المشروع ، والتذكير بأنّ هذه المناصب لا تدوم ، فعلى من تولّى منصبًا أن يحسب لأيام عزله عنه حسابًا ، فالنصّ يشير إلى الإدارة السيّئة للدولة في تلك الأوقات .

وللصّولي كتاب في الأصدقاء ، قال فيه : " مثل الأصدقاء كالنار ، قليلها متاع ، وكثيرها بوار "[2] ، كتب الصولي هذه الرسالة بحقّ صديقه الوزير (ابن الزيات) الذي ولاّه على معونة الأهواز وخِراجها ، ثمّ تنكّر له ، فوجّه إليه بمحاسب كبير كي يتعقبه ، فتحامل عليه الصولي تحاملاً شديدًا ، وقال المحاسب : إنّ أموالاً كثيرة لم تؤدَّ إلى بيت الخِراج ، وغَضِبَ ابن الزيات وأمر بعزلِهِ واعتقاله في ولايته ، وكانت محنة كبيرة للصولي لم يبلُ فيها صديقه (ابن الزيات) وحدَهُ ، بل بلى فيها

(1) المصدر نفسه : 246/1 .

(2) المصدر نفسه : 271/1 .

كثيرًا من الأصدقاء ممن كانوا يظهرون له المودة والألفة ، مما جعله يُزهد فيما بعد في صحبة الأخوان والرفقاء[1] .

فقد شبّه الأصدقاء بالنار التي قليلها يُقنع المرء ويدخر له الدفء والضوء ، لكن كثيرها قد يحرقه ، فإنّ قلة الأصدقاء قد تكون متاعًا للمرء وأُنسًا له في السراء والضّراء ، إذ يحفظونه في حضوره وغيابه ، لكن كثرتهم قد تؤدي إلى الوشاية والنفاق بينهم ، ومِنْ ثَمَّ تؤدي إلى تفرقتهم ، فقد لخص هذا التشبيه الموجز الجانب النفسي في قصته مع صديقه (ابن الزيات) وأصدقائه الآخرين .

وعلى أثر هذه الرسالة كتب إبراهيم بن عباس الصولي رسالة موجزة أخرى يستعطفه ويتوسل إليه فيها بدلالة قوله : " كتبتُ إليك وقد بلغتْ المُديةُ المَحزَّ ، وعَدَتِ الأيامُ بك عليَّ ، بعد عَدْوِي بك عليها ، وكان أسوأ ظنّي وأكثر خوفي أن تسكن في وقت حركتها ، وتكفّ عن أذاها ، فصرتَ عليَّ أضرَّ منها ، وكفَّ الصديق عن نصرتي خوفًا منك ، وبادر إليَّ العدوُّ تقربًا إليك "[2] .

فهذه الرسالة موجزة ودقيقة في لفظها وعميقة في معناها ، وهي من رسائل الاستشفاع والتوسل ، فقد بعثها إلى (ابن الزيات) راجيًا ومتوسلاً إليه بأن يُخَلِّصه من محنتِهِ التي وقع فيها ، فقوله : (بلغت المدية المحزَّ) ، أي بلغت السكين العظم وهو كناية عن بلوغ الشدّة منتهاها عند الصّولي ، والأيام تعدو بابن الزيات عليه بعد أن كان الصّولي يعدو به عليها ، فقد كان ينتصر به عليه ، وقد امتنع الأصدقاء من نصرته خوفًا من ابن الزيات ، بينما تكالب عليه الأعداء تقربًا له .

وكتب الصّولي رسالة قصيرة إلى بعض إخوانه يُزكي رجلاً يستحق العناية به : " فلانٌ ممن يزكو شكرُهُ ، ويحسُنُ ذكرُهُ ، ويعنيني أمرُهُ ، والصنيعة عنده واقعةٌ موقعها ، وسالكة طريقها "[3] ، الرسالة موجزة لكنّها تؤدي الغرض منها أداءً واضحًا مع شدّة تدقيقه بالمعنى[4] ، حيث نلاحظ حرص الكاتب على تزكية ذلك الرجل

---

(1) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف : 575 .

(2) الأغاني : 280/9 ، وينظر : معجم الأدباء : 170/1 .

(3) معجم الأدباء : 178/1 .

(4) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف : 584 .

والتوصية به ، فهو رجل ممن يُشكر لصنائعه الفاضلة وأمانته وذكره الحَسَن ، وهو يهتمّ لأمره ويُعنى به ، وصنائعه كلّها حَسَنة سالكة مسلكها الصحيح .

ولإبراهيم بن العباس الصّولي توقيعات بديعة اتّسمت بقصر الجمل ووجازتها وكثافة معانيها ، من ذلك أنّ بعض الكُتّاب كتب إليه يذمّ شخصًا ويمدح آخر ، فوقّع في الرسالة : " إذا كان للمُحسن من الجزاء ما يُقنعُهُ ، وللمسيء من النَّكال ما يقمعُهُ ، بذل المحسن الواجبَ على رغبةٍ ، وانقاد المسيء للحقّ رهبةً "[1] ، بَنَى الصّولي هذا النصّ الموجز على معنيين قيمين متضادين وهما : (الرغبة والرهبة) ، فإنّ إعطاء المحسن حقّه من الجزاء ومكافأته على ذلك يجعلانه يُقبل على العمل الحسن رغبةً بذلك الجزاء ، أمّا المسيء فإنّ معاقبته على إساءته وقهره وذلّه يجعله يُقبل على الحقّ خوفًا من تلك العقوبة ، فنلاحظ أنّ الكاتب قد وظّف الطباق لتحقيق هذا الإيجاز في قوله : (المُحسن والمُسيء) ، (الجزاء والنكال) ، (يقنعه ويقمعه) ، (رغبة ورهبة) .

وكتب الصّولي في الصديق رسالة موجزة ، قال فيها : " أنا والله أحبّ أن يكون الناس جميعًا إخواني ، ولكنّي لا آخذ منهم إلاّ من أطيق قضاء حقّه ، وإلاّ استحالوا أعداء "[2] ، لقد لخّص الصولي في هذه العبارة الموجزة حقّ الصداقة والصديق ، وما تستلزمه الأُخوّة وما توجبه من حقوق يحيل الإخلال بها الأخوة إلى عداوة ، فقد ألمحتْ العبارة إلى خطورة اختيار الصديق وما تعنيه الصداقة الجديدة من مسؤوليات مضافة على من يعرف حقّها ويستطيع النهوض بأعبائها .

وللصّولي فصولٌ موجزة سلكت (إيجاز القِصَر) منها قوله : " المودة يجمعنا حبلها ، والصناعة تؤلفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخٍ في لقاء ، أو تخلّف في مكاتبة موضوعٌ بيننا يجب العُذرَ فيه "[3] .

فهذا أسلوب موجز رائع للكاتب في الوقوف على معنيين تقوم عليهما العلاقات الإنسانية وتجمع بينهم وتؤلف قلوبهم ، وهما : (المحبة والتسامح) ، فالمودة

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 398/4 .

(2) أمراء البيان : 271/1 .

(3) العقد الفريد : 211/4 .

والتواصل تجمع قلوب الناس على المحبة ، وكذلك الصِّناعة ، فإنّها تجمع قلوب الناس على المصالح المشتركة بينهم ، والمحبة تقود إلى التسامح سواءٌ أكان في تراخٍ عن لقاء الحبيب أم تقصير في مكاتبة في عملٍ معيّن .

ومن نماذج هذا الإيجاز أيضًا قول الجاحظ في رسالة قصيرة إلى أبي حاتم السجستاني – وبلغه عنه أنّه نال منه – فأثّرت هذه الرسالة به فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح ، وفيها يقول : " أمّا بعدُ ، فلو كففتَ عنّا من غربِكَ ؛ لكنّا أهلاً لذلك منك ، والسلام "[1] ، أي : أنّنا جديرون بأن نكفّ تعرضك لنا ، فهي إشارة إلى أنّه سيستحقّ الاحترام والتبجيل لا التعرض للإساءة .

فجاء هذا الإيجاز بأسلوب لغوي مُشرق جَزِلٌ رصين ، دالٍ على المعاني بطواعيّة ومرونة ، فقد وصف أصحاب الصناعات المختلفة كالتجارة والزراعة بذكائهم وفطنتهم وشجاعتهم في أداء واجباتهم ، وتأدية أعمالهم على أكمل وجه ، وذكر تعاطف أهلها على نظرائهم ، وتعصّب رجالها لبعضهم ، واستثنى من تلك الصناعات صناعة الكتابة ، أي (الكُتّاب) فقد ذمّهم بتحاذق أصحابها بعضهم على بعض ، وتخطئتهم واستقراب آرائهم هم فقط ، والتعصّب لرأيهم من دون حجةٍ قاطعة .

وبنظرة متعمّقة في رسالة الجاحظ الشهيرة (التربيع والتدوير) نلمح هذا النوع من الإيجاز ، فقد وجّهها إلى (أحمد بن عبد الوهاب) حتّى يهزأ به ، ويُبيّن للعامة مقدار جهله[2] ، وهو يعكس في هذه الرسالة بعض ملامح (إيجاز القِصَر) ونجد ذلك في مثل قوله – بعد أن ساق بعض معاني الرفعة والكرم – : " وأنت تزعم أنّ هذه المعاني خالصة لك ، مقصورة عليك ، وأنّها لا تليق إلاّ بك ، ولا تَحسِنُ إلاّ فيك ، وإنّ لك الكلّ وللناس البعض ، وإنّ لك الصافي ولهم المَشُوب ، هذا سوى الغريب الذي لا تعرفه ، والبديع الذي لا تبلغه "[3] ، فالنصّ ينطوي على أسلوب السخرية من (أحمد بن عبد الوهاب) ، فقوله : (تزعم) هي مطيّة الكذب ، أي أنّك تدعي أنّ

(1) المصدر نفسه : 75/4 .
(2) ينظر : الإعجاز في كلام العرب ونصّ الإعجاز : 154 .
(3) التربيع والتدوير : 15 .

معاني الرفعة والكرم خالصة لك من دون سواك ، ومقصورة عليك من دون سائر الناس ، وإنّها لا تليق ولا تحسن إلاّ بك ، وإنّ لك كلّ هذه الصفات النبيلة وللناس بعض منها ، ولكنّ هناك الغريب الذي تجهله ، والبديع الذي لا تبلغ غايته .

ومثله قول الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... وليس للإنسان من الخيرة في الذّكر شيء إلاّ وله في النسيان مثله ، ولا في الفِطنة شيء إلاّ وله في الغفلة مثله ، ولا في السراء شيء إلاّ وله في الضرّاء مثله ... "[1] ، فكان سرّ جمال هذا النصّ في نظامه وروحه وأسلوبه[2] ، فقد تمثل أسلوب رجل حَسُن الإلمام باللغة مطبوع على التكلم بها[3] .

فيشير النصّ الموجز إلى أنّ الله تعالى كتب للإنسان الخير في كلّ شيء ، فالخير يصيب الإنسان في ذكره للأشياء ، كما يصيبه في نسيانها أيضًا ، فالنسيان نعمة من الله تعالى للإنسان في التخلص من همومه وأحزانه التي قد تقوده إلى التهلكة أحيانًا ، ويصيب الإنسان الخير في فطنته وتنبهه للأشياء ، وقد يصيبه في غفلته أيضًا من دون علمه بذلك ، ومثله السّراء فإنّها تصحب الخير معها للإنسان ، وكذلك الضّراء فإنّها قد تجلب الخير للإنسان ؛ لأنّها تنبهه على الأشياء التي يجب تجاوزها تجنبًا للوقوع في المتاعب مرّة بعد أخرى ، وقد وظّف الكاتب الطباق ؛ لتحقيق هذا الإيجاز في قوله : (الذكر والنسيان) ، (الفطنة والغفلة) ، (السّراء والضّراء) ، فهذه المتضادات تحقّق نغمًا موسيقيًا متناسقًا للنصّ .

وقال في الرسالة نفسها : " ... ولو لم يرزقِ اللهُ العباد بالصواب محضًا ، وبالصدق صِرفًا ، وبمرّ الحقّ صفحًا ؛ لهلك العوام وانتفض أمر الخواص ... "[4] ، لخص الجاحظ في هذا النصّ مجموعة من الصفات الحميدة التي وهبها الله تعالى لعباده ، منها الصبر على النوائب ، والصدق في المعاملات بين الناس ، وبسط

---

(1) المصدر نفسه : 67 .

(2) ينظر : عبد الحميد الكاتب وما تبقّى من رسائله : 188 .

(3) ينظر : عصر القرآن : 54 .

(4) التربيع والتدوير : 67 – 68 .

الحقّ والدعوة إليه ، فإنّ نقيض هذه الصفات يؤدي إلى هلاك العامة من الناس ، وبلاء الخاصّة منهم .

ومن رسائل الجاحظ التي تموج بروعة إيجازه وبلاغته كتابه إلى ابن الزيات يستعطفه بعد أن أحسّ انشغاله عنه ، وتنكره له ، قال فيها : " ... فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمِّد ، وتتجافى عن عقاب المُصرِّ ، حتى إذا صِرتَ إلى من هفوتُهُ ذِكْرٌ ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف الشكر إلاّ لك ، والإنعام إلاّ منك ، هجمتَ عليه بالعقوبة ، واعلم أنّ لك فطنة عليهم ، وغفلة كريم "[1] ، والرسالة على قصرها تحمل خصائص الجاحظ الأدبية ، ففيها المهارة العقلية والتدليل واستنباط الأفكار ، فقد لخصت الرسالة كلّ معاني التودد والاستعطاف والدعاء لابن الزيات بأنْ يعيذه الله تعالى من الغضب وسِرف الهوى ، ويصرف قلبه إلى حبّ الإنصاف ، ويرجّح في قلبه حبّ الحِلم والأناة ، ويتلطّف له بأنّه ليس له ذنبٌ يُذكر إلاّ النسيان ، فهو لا يشكر أحدًا إلاّ ابن الزيات ، ولا يُدرك نعمةً من أحدٍ إلاّ منه[2] .

أمّا في رسائل الاستهداء والاستمناح فتكون الرسائل أمعن في الرقة ، وألصق بالسؤال ، وأملح في وسيلة الطلب ، وقد تكون رسائل الاستمناح موجزة أو طويلة أو متوسطة الطول بحسب طبيعة الطلب ، ومقتضى الحال[3] ، ومن رسائل الاستمناح التي سلكت سبيل (إيجاز القِصَر) قول الجاحظ : " أمّا بعدُ ، فإنّ شجرةَ وعدِك قد أورقت ، فليكن ثمرُها سالمًا من حوائج المَطْل ، والسلام "[4] ، وقال في المعنى نفسه : " أمّا بعدُ ، فإنّ سحابَ وَعْدِك قد برقتْ ، فليكن وبلُها سالمًا من صواعق المَطْل والاعتلال "[5] ، تعدُّ هاتان الرسالتان من رسائل الاستمناح ، وقد كتبهما الجاحظ إلى صديقٍ له قد وعده في استنجاز أمرٍ له ، وجاءت روعتهما من إيجازهما البليغ الذي يفتح به خيال المتلقي ؛ كي يستطيع الولوج إلى معناه الكامن في ألفاظه الموجزة ،

---

(1) زهر الآداب : 540/2 .

(2) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف : 602 .

(3) ينظر : الرسائل الإخوانية في العصر العباسي إلى سنة 300 هـ : 57 .

(4) العقد الفريد : 229/4 .

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وقد وظّف الكاتب الاستعارة في قوله : (شجرة وعدك قد أورقت) ، وقوله : (سحائب وعدك قد برقت) ، أي قد طال به المقام في وعده الذي قطعه له ، وضاق به صبرُهُ ، فإمّا استنجاز مثمرٌ أو امتناعٌ مريحٌ .

وقال الجاحظ في رسالة (تفضيل النطق على الصمت) : " ... ولم يُحْمَد الصمت من أحدٍ إلاّ توقّيًا لعجزه عن إدراك الحقّ والصواب في إصابة المعنى ، وإنّما قاتل النبي ﴿ﷺ﴾ المشركين عند جهلهم الله تعالى وإنكارهم إيّاه ؛ ليُقرُّبوا به ... "[1] ، فنلاحظ في هذا النصّ الموجز دقة تعبير الكاتب في تفضيل النطق على الصمت ، حيث أشار هذا النصّ إلى أنّ هناك من يُفضل الصمت على النطق لا لشيء إلاّ لأنّه عاجز عن انتخاب الألفاظ المناسبة وتخيرها للتعبير عن المعاني التي يُراد التعبير عنها ، فهذا تفضيل جاء عن عجزٍ ، وعدم قدرة ، وضعف إرادة ، وإنّ سبب قتال الرسول الأعظم ﴿ﷺ﴾ للمشركين هو الصمت ، أو السكوت عن الإقرار بعظمة الله ﴿ﷻ﴾ ، وتوحيد الإله ، إذ أنكروا ذلك عن طريق الصمت الذي كان سبب هلاكهم .

وقال الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... لا يكون للرسالة بلاغٌ ، ولا للحجة لزومٌ ، ولا للعلة ظهورٌ إلاّ بالنطق ... "[2] ، فقد بنى الكاتب هذه العبارة على طريقة (إيجاز القِصَر) ، إذ أرسل الله ﴿ﷻ﴾ رُسلَهُ إلى العالمين مبشرين إياهم بالدين الجديد ، وتوحيد الله ﴿ﷻ﴾ ، وينذرون الذين يخالفون ذلك وينكرونه ، وأمر الله ﴿ﷻ﴾ رسلَهُ بالإبلاغ ، والإبلاغ يكون عن طريق آلة النطق اللسان ، ويقصد به الكلام ؛ كي يكون حجّة عليهم بالكلام لا بالصمت ، فلا يكون إبلاغ الرسالة أو إقامة الحجة إلاّ عن طريق النطق ، فبالنطق يظهر الحقّ ، وتثبتُ أدلته ، وتقوم حجته .

وللجاحظ فصلٌ في (تحليل النبيذ دون الخمر) ضمن رسالة (الشارب والمشروب) ، قال فيه : " ... إنّما يُعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق ، والسُّنة المُجمع عليها ، والعقول الصحيحة ، والمقاييس المصيبة ... "[3] ، فقد أوضح

---

(1) رسائل الجاحظ : 235/4 .

(2) رسائل الجاحظ : 239/4 .

(3) المصدر نفسه : 277/4 .

الجاحظ طرق الحلال والحرام ، وهي العودة إلى كتاب الله ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾ ، إذ حرّم الخمر والميسر ، أي نهى عن الأشربة المنكرة ، وكذلك بالعودة إلى السُّنة النبوية الشريفة ، فقد حرّم الرسول الأعظم ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ الأشربة المنكرة وذمَّها ، وأمر بجَلْدِ صاحبها ، وكذلك الأئمة (عليهم السلام) الذين جاءوا من بعد الرسول إلى يومنا هذا على رأي واحد في النهي عنها وتحريمها ، ثمّ أمال على العقل والقياس في إدراك مضارّ الخمر وضرورة اجتنابها .

ولم ينحصر (إيجاز القِصَر) عند الجاحظ في هذه الشواهد فقط ، وإنّما نتلمس إيجاز القِصَر عنده في سائر رسائله الأخرى أمثال : مناقب الترك ، والمعاش والمعاد ، والجدّ والهزل ، وكتمان السرّ وحفظ اللسان ، وفخر السودان على البيضان ، وذمّ القوّاد ، وتفضيل النطق على الصمت ، وغير ذلك[1] .

كما لم ينحصر (إيجاز القِصَر) عند الجاحظ في رسائله فقط ، بل في الأمثال المتنوعة التي تخللت رسائله ، والتي قيلت في مواقف متنوعة ، إذ تنماز بعذوبتها ، وجمال استعاراتها ، وقوّة خيالها ، ومنها :

1- " عَمَّر الله البلدان بحبّ الأوطان "[2] .

2- " من غلا دماغه في الصيف ، غَلَتْ قِدْرُهُ في الشتاء "[3] .

---

(1) ينظر : رسائل الجاحظ : 7/1 ، 17 ، 19 ، 29 ، 36 ، 37 ، 52 ، 62 ، 63 ، 98 ، 99 ، 100 ، 102 ، 114 ، 116 ، 29/2 ، 47 ، 93 ، 113 ، 116 ، 144 ، 167 ، 187 ، 188 ، 190 ، 194 ، 195 ، 197 ، 4/3 ، 8 ، 12 ، 17 ، 18 ، 22 ، 23 ، 28 ، 33 ، 34 ، 58 ، 62 ، 73 ، 74 ، 76 ، 77 ، 47/4 ، 54 ، 138 ، 156 ، 163 ، 180 ، 195 ، 196 ، 199 ، 202 .

(2) المصدر نفسه : 64/1 ، 389/2 .

(3) المصدر نفسه : 66/1 .

3- " المرء بشكله ، والمرء بأليفه "[1] .

4- " المرء حيث يجعل نفسَهُ "[2] .

5- " خالف تُذْكَر "[3] .

6- " الصَّدر إذا نَفِثَ برأ "[4] .

7- " يُظَنُّ بالمرء ما ظُنَّ بقرينِهِ "[5] .

8- " مقتل المرء بين فكّيه "[6] .

9- " السَّعيد من وعظ بغيره "[7] .

10- " كفاك أدبًا لنفسِكَ ما كَرِهتَ من غيرك "[8] .

11- " لا يضرُّ السحاب بنباح الكلاب "[9] .

12- " لكلِّ مقامٍ مقال "[10] .

13- " عين الهوى لا تُصدّق "[11] .

14- " البادي أظلم "[12] .

15- " إذا كان الطائر يحنُّ إلى أوطانه ، فالإنسان أحقّ بالحنين إلى أوطانه "[1] .

---

(1) المصدر نفسه : 126/1 .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه : 139/1 .

(4) المصدر نفسه : 144/1 .

(5) المصدر نفسه : 167/1 .

(6) رسائل الجاحظ : 167/1 .

(7) المصدر نفسه : 29/2 .

(8) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(9) المصدر نفسه : 72/2 .

(10) المصدر نفسه : 93/2 .

(11) المصدر نفسه : 135/2 .

(12) المصدر نفسه : 146/2 .

16- " عُسْرُكَ في دارِكَ أعزُّ لك من يُسرِكَ في غربتِكَ "[2] .

17- " أوضح من مرآة الغريبة "[3] .

18- " أفضل الجودِ الجودُ بالمجهود "[4] .

19- " أجِعْ كلبَكَ يتبعْك "[5] .

وممن نجد عنده هذا اللون من الإيجاز في رسائله سعيد بن حميد ، إذ كتب إلى أحد إخوانه رسالة في السلامة يَظهر عليها تأنقه في ألفاظه ؛ للدلالة على المعاني اللطيفة التي تؤثر في القارئ أو السّامع ، فتشدّه إليها ، حيث قال : " كتابي إليك عن سلامةٍ ، ووحشتي لفراق البلد الذي يجمع السادة والإخوان ، والأهل والجيران ، على حسب الأنس بمكاني فيه ، والسرور به ، ولكن المقدار يجري فيتصرف معه ، وقع ذلك بالهوى أو خالفه ... "[6] ، فهذا النصّ الموجز ينطوي على معاني الحزن والأسى وألم الفراق ، فالكاتب يسأل عن سلامة أخيه ، ويشكو من ألم فراق الأهل والأحبة والجيران ، ومن فِراق موطنه الذي يشعر به بالأنس والسرور والأمن ، ولكنّه يرجع ويقول : إنّ القدر يتصرف بنا كيف يشاء سواء وافق أهواءَنا أم خالفها .

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بولاية بقوله : " أنا أُهنئ بك العمل الذي وُلّيته ، ولا أُهنئك به ؛ لأنّ اللهَ اختاره إلى من يورده مواردَ الصّواب ، ويُصدره مصادر الحجة ، ويصونه من كلّ خلل وتقصير ، ويُمضيه بالرأي الأصيل

---

(1) المصدر نفسه : 386/2 .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه : 392/2 .

(4) البخلاء : 189 .

(5) المصدر نفسه : 193 .

(6) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 88 .

، والمعرفة الكاملة ، قَرَن الله لك كلّ نعمةٍ بشكرها ، وأوجب لك بطَوْلِهِ المزيدَ منها ، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفِتن ، ويحوطها من النقص "[1] .

تعدُّ هذه الرسالة من رسائل المدح والإطراء ، والرسالة مع إيجازها تنطوي على حيلة من حيل الفكر العباسي الخصب الحافل بما يُلفت انتباه السامع ويروعه ، وهي أنّ العمل هو الذي يُهنّأ بهذا الوالي ، لا أنّ الوالي هو الذي يُهنّأ به ؛ إمعانًا في المدح والإطراء ، فقد كان من حسن حظ هذا العمل أنْ صار بيد من يديره على خير وجه ممكن في الإيراد والإصدار ، ومن يصونه ويحفظه من أيّ خلل أو تقصير ، مع الفكر الحصيف والمعرفة التامة له ، ويدعو له بالأمن في عمله والسلامة من الفتن والثورات ، وهو خطاب مقتضب ، ولكنّه جامع شامل مع اللفظ المنتقى ، والأسلوب المُصَفّى[2] .

ونظير هذا الإيجاز قول سعيد بن حميد : " لستُ مستقلاً بشكر ما مضى من بلائك* ، فاستبطئ دُرّك ما أؤمِّل من مزيدِكَ "[3] ، يبدو من خلال النصّ براعة الكاتب في التعبير عن معانيه بإيجاز رائع دلّ على الشكر بأيسر الطرق وأقصرها ، فالكاتب لا يستطيع شكر الممدوح ؛ لكثرة الأنعام التي أنعمها عليه ؛ لذلك يسأل أن يُبطّئ عطاءَهُ إليه ، فهو على ثقة بأنّ القادم من عطائه أكثر وأوفر ، فالكاتب لا تفوته الكلمة الموجزة المعبرة أدقّ تعبير وأقواه عن معانيه .

وكتب سعيد بن حميد إلى صديقٍ له مُصوّرًا مودتَهُ : " إنّي أهديتُ مودتي إليك رغبةً ، ورضيت بالقبول منك مثوبةً ، فصرتُ بقبولها قاضيًا لحقٍّ ، ومالكًا لرقٍّ ، وصرتُ بالتسرع إلى الهدية ، والتنظُّر للمثوبة مُرتهن اللسان بالجزاء ، واليدين بالوفاء "[4] ، أجاد الكاتب في تصوير مودته في هذه الألفاظ القصيرة من خلال الصورة الاستعارية ، فقد صوّر مودته بأنّها هديّة أهداها لصاحبه رغبةً وتطوعًا ، وهو

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 252/4 .

(2) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف : 63 .

* بلائك : أي الأنعام ، ينظر : لسان العرب (بلا) .

(3) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 105 .

(4) العقد الفريد : 212/4 .

لا يريد ردًّا لها ولا جزاءً سوى قبول الصديق لها ، ويقول إنّك لو قبلتها أصبحت قاضيًا لحقّ الأخوة ، ومالكًا لحقّ الوفاء لها فقد أوجبت عليَّ بقبولها قضاء حقّها ، فجعل رِقَّهُ بين يديه ، وحريته طوع مشيئته ، وكلّ ذلك كناية عن إخلاصه في إخوّته وحرصه على قضاء حقّه وصداقته ، وهو يصوّر نفسه وقد قدّم الهدية وتخيّر جزاءَها مودة صديقه بل قبوله لها ، قد أصبح لسانه مُرتهنًا بحرمتها ، ويداه مقيدتين بالوفاء لها ، ونفسه مُستعْبِدَة له[1] .

اهتمَّ كُتّاب القرن الثالث الهجري ومنهم سعيد بن حميد بموضوع الاعتذار ؛ لأنّه من متممات التقاليد الاجتماعية في المجتمع المُتحضِّر ، والاعتذار يكون بين الأخوة والأصدقاء عند حصول خلاف وتقصير في العلاقات الاجتماعية[2] ، وقد أحسن الكاتب في معالجته لهذه النصوص عن طريق (إيجاز القِصَر) ، فقد اختار لباب الاعتذار أدقّ الألفاظ المعبّرة عن المعاني الإنسانية الواسعة التي تلبّي موجبات العلاقات الحميمة بين الأخوة والأصدقاء .

ومن ذلك قول سعيد بن حميد في كتاب اعتذار له : " وأنا من لا يُحاقُّك عن نفسه ، ولا يغالطك عن جرمه ، ولا يستدعي برّك إلاّ من طريقته ، ولا يستعطفك إلاّ بالإقرار بالذنب ، ولا يستميلك إلاّ بالاعتراف بالجُرم "[3] .

لخّص سعيد بن حميد في هذا النصّ كلَّ معاني الاعتذار والندم لصديقه ، فهو لا يمتلك ما يدافع به عن نفسه ، ودفع الشبهة عنه سوى الاعتراف بذنبه والإقرار به ، تيقننًا بالحصول على العفو والتقرّب من صاحبه ، وله اعتذار آخر : " ثبت لي عنك غُرّة الحداثة ، فردّتني إليك التجربة ، وباعدتني منك الثقة بالأيام ، فأدنتني إليك الضرورة "[4] ، أجاد الكاتب في اعتذاره بأسلوب جميل رائق يستعطف به قلب صاحبه ؛ لقبول اعتذاره ، فقد باعده عنه غروره بشبابه وقوّته وطموحاته من

---

(1) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف : 632 .
(2) ينظر : رسائل وفصول ابن المعتز : 12 .
(3) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 100 .
(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

دون مشاركة أحد من الأصدقاء ، لكن تجربته بالحياة والعقبات التي مرَّ بها كشفت له وهمَ غروره وأنانيته ، فرجع إلى صاحبه نادمًا مُقدِّمًا اعتذاره ومودّته له .

وفي وصف غارات الأتراك والمغاربة على بغداد قال سعيد : " ... لا يجتازون بعامر إلاّ أخربوه ، ولا بحريمٍ لمسلم ولا ذميّ إلاّ أخذوه ، حتى انتقل كثيرٌ ممن سبقت إليه أخبارهم ممن أمامهم عن أوطانهم ... "[1] .

فقد لخّص الكاتب في هذا النصّ الموجز الأحداث التي مرّت على بغداد إبّانَ غارات الأتراك والمغاربة ، فهم لم يتركوا شيئًا إلاّ دمروه ، فقد ضربوا العمران من منازل ومعامل ، وهتكوا سترَ المسلم والذميّ ، وسفكوا دماءَ الأبرياء ، فلم يتركوا مما حرّم الله شيئًا من دمٍ أو حُرْمة ، وهَجَّروا الناسَ من أوطانهم ، فباعدوهم عن منازلهم ورباعهم ، فخَلَّفوا الجوع والبطالة والدمار وراءَهم ، فهذا بعض من الأحداث التي مرّت على بغداد الحبيبة قديمًا ، وما أشبه اليوم بالأمس .

ومن كلام سعيد قوله : " عملُ السلطان كالحمّام ، من فيه يريد الخروج منه ، ومن خارجه يريد الدخول فيه "[2] ، بَرَعَ الكاتب في هذا النصّ الموجز في إقامة صورة تشبيهية بين عمل السلطان والحمّام ، ووجه الشبه الذي يجمعهما هو الجهد والمشقة ، فالشخص الذي داخل الحمّام ولما واجهه من مشقة وتعب في غُسلِهِ وحرارة الحمّام التي ترهقُهُ يجعله يتمنّى إنهاء غُسله والخروج مسرعًا ، أمّا من هو خارج الحمّام فيتمنّى دخول الحمّام ؛ لتصوره المتعة واللذة فيه ، وكذلك عمل السلطان فإنّ فيه جهدًا ومشقة في متابعة أمور الرعية والقيام بحقوقهم ومحاسبة المقصرين على تقصيرهم ، وتوفير الرزق والأمن لهم ، فمن كان هذا عمله يتمنى الخروج من هذه المسؤولية ، أمّا من هو خارج عمل السلطان فيتمنى أن ينال هذا المنصب ؛ لأنّه يرى فيه السلطة والنفوذ والرفاهية والعيش الرغيد .

ولسعيد بن حميد أقوالٌ أخرى موجزة في مبناها ، واسعة في معناها ، أخذت سبيلها على أسلوب (إيجاز القِصَر) منها :

---

(1) المصدر نفسه : 111 .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 117 .

1- " من أدب الكاتب أن يأخذ قلمه في أحسن أجزائه وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القرطاس حقّه "[1] .

2- " لأنْ يُشْكِل الحرف على القارئ أحبّ إليَّ من أن يُعاب الكِتاب بالشكل "[2] .

3- " لستُ بحالٍ يرضى بها حرٌّ ، ولا يُقيم عليها كريمٌ ، وليس بهذا إلاّ من يبتغي لك أن ترضى به "[3] .

4- " لَنحن أحقُّ بابتدائك بما ابتدأنا به من الصِّلة ، إلاّ أنّك أحقّ بالفضل الذي سبقتنا إليه "[4] .

فهذه النصوص تعكس العمق والجمال في المعاني ، وقوّة الألفاظ ، ومتانة الأسلوب ، وحسن الاختيار الذي تستشفّ من خلاله الحكمة اللطيفة ، والنصح الرقيق ، وسِعة المعرفة بالأمور والأحكام .

ونلمس هذا الإيجاز في قول (ابن المعتز) في النصيحة : " اقْللْ من فلانٍ نصيبَكَ ، فإنّه أنمُّ من زُجاجةٍ على ما فيها "[5] ، وقد أجاد الكاتب في نصيحته وإن قدّم هنا نصًّا موجزًا لكنّه جاء مشحونًا بالمعاني والدلالات الواسعة ، لا سيّما في عبارة (أنمّ من زجاجة على ما فيها) ، وهي صورة موجزة لكنّها تحمل دلالات واسعة تكشف عن صفة ذلك الإنسان ، فهو لا يكتم أسرار أصدقائه ولا يحافظ عليها بل يكشفها ، فهو بعمله هذا كالزجاجة التي تكشف عمّا في داخلها من أشياء بل هو أكثر نمًّا وكشفًا من هذه الزجاجة نفسها[6] .

ومن رسائل ابن المعتز في غرض الوصف ، رسالته في وصف الكِتاب والقلم ، قال فيها : " الكتاب والج الأبواب ، جريء على الجواب ، مُفْهَم لا يَفْهَم ، وناطقٌ

---

(1) العقد الفريد : 189/4 .
(2) المصدر نفسه : 164/4 .
(3) المصدر نفسه : 224/4 .
(4) العقد الفريد : 212/4 .
(5) ثمار القلوب : 677 .
(6) ينظر : رسائل وفصول ابن المعتز : 67 .

لا يتكلم ، به يُشخص المشتاق إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يملّ الاستزادة ، ويسكت واقفًا ، وينطق سائرًا على أرضٍ بياضها مُظلمٌ ، وسوادها مضيءٌ ، وكأنّه يُقبّل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان "[1] ، وهذا وصفٌ موفقٌ باختيار ألفاظ موجزة مُعبّرة تحمل معاني واسعة يلتفت إليها القارئ أو السامع ، فنلاحظ المفارقة في قوله يصف الكتاب (مُفْهَم لا يَفْهَم) و (ناطق لا يتكلم) ، فالكتاب هو الذي يُفْهِم الآخرين العلوم والفنون المختلفة لكنّه لا يَفْهم من الآخرين ، أي أنّه يعطي ولا يأخذ ، وكذلك الكتاب هو الذي يُصرّح أو ينطق بالعلم والمعرفة من دون حاجة إلى لسان يتكلم به . وقد وظّف الكاتب المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه ؛ لتحقيق هذا الإيجاز ، فنلحظ (المجاز والاستعارة) في أنسنة الكتاب والقلم ، أي جعل كلَّ واحدٍ منهما إنسانًا فهو الذي ينطق ، ويفهم ، ويتكلم ، ويجهز ، ويسير ، ويملّ ، ويسكت .

كما نلحظ الكناية في قوله : (على أرضٍ بياضها مظلم وسوادها مضيء) ، فهو كناية عن أنّ القلم هو ينبوع العلم ، فهو الذي يسكب علمَهُ على الأوراق ، وتتجلّى المفارقة المعبّرة في قوله : (بياضها مظلم) دلالة على أنّ توقف القلم عن الكتابة يجعل الأوراق مظلمة لا علمَ فيها ، وقوله : (سوادها مضيء) دلالة على تدوين القلم للعلم والمعرفة لتصير أوراقًا مضيئة بما كُتِبَ فيها ، ونلحظ التشبيه في قوله : (وكأنّه يُقبّل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان) فقد شبّه القلم في تدوين العلم على الورق بمن يُقبّل بساط سلطان ، والذي يجمع العلم وبساط السلطان هو السعة والرحابة والجمال والتنوع ، وكذلك شبّهه بأزهار بستان ، والذي يجمع العلم والبستان هو أيضًا التنوع والجمال والسعة والرحابة ، فهذه صورٌ جمعها الكاتب في نصٍّ قليل اللفظ غني المعنى .

(1) الأوراق ، قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 292/2 ، وينظر : رسائل ابن المعتز : 77 .

ومن رسائل التعزية الموجزة رسالة ابن المعتز إلى أحد أصدقائه يُعزيه بوفاة ولده قائلاً : " لَئِن حُرِمَ الأجرُ ببرّك ، لقد كُفِيَ الإثمُ بعقوقِك ، ولَئِن فُجِعتَ بفقدِهِ ، لقد أمِنْتَ الفتنة به "[1] .

جمع الكاتب في هذا النصّ الموجز معاني إنسانية وأخلاقية واسعة ولكن في بناء لغوي مُحدّد بفقرتين شرطيتين حصرًا ، فالمنية وإن كانت قد أسرعت في خطف ولده منه فحرمته من التمتع بما لديه من خيرٍ ونعيم إلاّ أنّها قد أحسنت صنعًا ؛ خوفًا من أن يكون آثمًا بالعقوق يومًا ما ، وإنّه وإن فُجِعَ بهذا المصاب حزنًا وألمًا فقد آمنَ من أن تفتنه الدنيا بهذا الولد ، فيصبح همّه في دنياه وأمله ، فإذا فقده بعد ذلك دُمِّرت حياته ، فهذه دلالة واسعة ولكنّها اختُزِلت بعدد محدد من الكلمات التي تمَّ اختيارها بعناية فائقة[2] .

ومن بديع الإيجاز قول ابن المعتز في الشوق : " إنّي لآسف على كلّ يومٍ فارغٍ منك ، وكلّ لحظة لا تؤنسها رؤيتُكَ ، وسقيًا لدهرٍ كان موسومًا بالاجتماع معكَ ، معمورًا بلقائك ، جمع الله شَمْلَ سروري بك ، وعَمَّر بقائي بالنظر إليك "[3] ، والنصّ على إيجازه مشحون بالمودة والتشوق إلى اللقاء ، والشكوى من ألم البعد ، فالكاتب يأسف على كلّ يومٍ ولحظة تمرّ من دون رؤية محبوبه ومؤانسته له ، متمنيًا عودة الماضي في اجتماعهما وأُنسهما ببعضهما ، ثمّ يختم الرسالة بالدعاء من الله ﴿ﷻ﴾ أن يجمع شملهما ثانيةً ، ولا يُفرّق بينهما أبدًا .

وقوله في الوفاء أيضًا : " ... والله يعلم أنّ خيالك شَمْسُ نفسي إذا نِمتُ ، وذكرُكَ سراجُها إذا انتبهتُ ، وإنّ ذلك لأقلّ حقوقك ، ولا ظلمتُ غيرَك بك ، ولا مِلتُ عليك لك "[4] ، فقد صوّر الكاتب في هذا النصّ الموجز وفاءَهُ لمحبوبه وتمكنه به ، بأن شبّه خيال محبوبه بالشمس التي تبعث الدفء في عروقه إذا نام ، كما شبّه ذكر محبوبه بالمصباح الذي ينير طريقه إذا انتبه ، وهكذا أشار إشارةً موجزة إلى الليل

---

(1) رسائل ابن المعتز : 49 ، وينظر : ابن المعتز وتراثه : 473 .

(2) ينظر : رسائل وفصول ابن المعتز : 68 .

(3) من فصول ابن المعتز : 30 – 31 ، وينظر : ابن المعتز وتراثه : 478 .

(4) الأوراق ، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 291/2 .

والنهار بقوله : (نمتُ ، انتبهتُ) ، فلا ينظر إلى أحدٍ غيره ، ولا يميل إلى سواه ، فهذا أقلّ ما يمكن أن يُقدِّمه لمحبوبه وفاءً له .

وقال ابن المعتز في الفراق : " كأنّ الدهرَ أبخل من أن يُمليني بك ، وأنكد من أن يسوغني قربك ، وإنّي له لصابر إلاّ على فقدك ، وراضٍ إلاّ ببعدك "[1] ، فهذا إيجازٌ محبّب إلى النفس في عبارة موحية مُعبّرة عن معاني الألم والفراق بما يسترعي الأسماع ويسترق القلوب ، فقد وصف الكاتب الدهر بالبخل ؛ لأنّه قد حرمه من محبوبه ، فلم يُملِّ عينه منه أو الأنس بقربه منه ، وإنّه صابر على كلّ نوائب الدهر إلاّ فقدان محبوبه ، وهو راضٍ على كلّ المصائب إلاّ بعده عن محبوبه .

وكتب ابن المعتز في السّلوى نصًّا إلى صديقٍ له : " قد علّمتني نبوّتُك سلوتَكَ ، وأسلمني اليأس منك إلى الصبر عنك "[2] ، فقد جعل الكاتب في هذا النصّ الموجز (السّلوى) بابًا من أبواب الشوق إلى الأصدقاء ، فهو يقول لصديقه بأنّ بعدَكَ عني وميلانك عني قد علّمني أن اتخذ من النسيان طريقًا إلى الهجران والسّلوى ، وكأنّ اليأس قد أصبح له قائدًا يقوده إلى الصبر على فراق أصدقائه[3] .

ولابن المعتز أقوالٌ مأثورة سلك فيها طريق (إيجاز القِصَر) في طرح المعنى ؛ ليكون أكثر تأثيرًا وعمقًا في نفس قارئه أو سامعه ، ويبدو أنّها وليدة تجربة وخبرة طويلة مرّ بها الكاتب ، وقد توفر فيها الأسلوب الجزل ، ومتانة التركيب ودقّته ، ومن هذه الأقوال :

1- " غَضِبَ الجاهل في قوله ، وغَضِبَ العاقل في فعله "[4] .

2- " طلاق الدنيا مهرُ الجنّة "[5] .

3- " لسان الجاهل مفتاح حَتفِهِ "[6] .

---

(1) المصدر نفسه : 293/2 .

(2) ديوان المعاني : 97/2 .

(3) ينظر : رسائل وفصول ابن المعتز : 11 .

(4) الأوراق ، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 296/2 .

(5) رسائل ابن المعتز : 70 .

(6) المصدر نفسه : 71 .

4- " العقل غريزة تربيها التجارب "[1] .

5- " من أسرعَ كَثُرَ عِثارُهُ "[2] .

6- " من أطاعَ غضبَهُ أضاع أدبه "[3] .

7- " من يَهتُك سترَ غيره تُكشفْ عورةَ بنيه "[4] .

8- " الأماني تعمي أعين البصائر "[5] .

9- " من رَضِيَ بحاله استراحَ ، والمستشير على طرف النجاح "[6] .

10- " الموت سَهْمٌ مُرسلٌ إليك ، وعُمرُكَ بقدر سيره إليك "[7] .

11- " ظاهر العِتاب خيرٌ من باطن الحقد "[8] .

12- " نُصحُ الصديق تأديبٌ ، ونُصحُ العدو تأنيبٌ "[9] .

13- " من صَدَقَت لهجتُهُ ، ظهرتْ محبتُهُ "[10] .

14- " حالي مُرَقَّعةٌ ، فإن تحركتُ بها تمزقت "[11] .

15- " من لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم يقع سيف حيلته إلا على مقلته "[12] .

---

(1) المصدر نفسه : 72 .

(2) المصدر نفسه : 73 .

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(4) رسائل ابن المعتز : 73 .

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه : 74 .

(7) المصدر نفسه : 75 .

(8) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(9) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(10) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(11) المصدر نفسه : 78 .

(12) ثمار القلوب : 327 .

الباب الثاني

(الإطناب)

الفصل الأول : أنماط الإطناب الرئيسة

المبحث الأول : الزيـــادة

المبحث الثاني : التّكـرار

المبحث الثالث : الاعتراض

الباب الثاني
الإطنـــاب
الفصل الأول
أنماط الإطناب الرئيسة
المبحث الأول : الزيادة

مصطلح (الزيادة) ، أو (الحروف الزائدة) ، أو (الزوائد) من المصطلحات البصرية الشائعة على السنة العلماء عن هذه الظاهرة[1] ، وهي : " اعتبار كلمة ما خارجة عن أصل التركيب النّحوي ؛ لأنّها لا تتأثر نحويًا بما قبلها ، ولا تؤثر في المحل الإعرابي لما بعدها ، أي أنّ الكلمة تُعدُّ زائدة في الصناعة النحوية إذا لم يؤثر فيها ما قبلها ، ولم تؤثر في محلّ ما بعدها فلم تعمل فيه ، ومِنْ ثَمَّ يمكن إسقاط الزائد دون أن يُحدث خللاً في أصل التركيب "[2] ، كما أنّ هذه الزيادة لا تكون جزءًا أساسيًا من المعنى المقصود في التركيب[3] ، وقيل في الزوائد : " يكون دخولها كسقوطها "[4] ، " وسقوطها لا يُخلُّ بالكلام "[5] ، ولم يَعْنُوا بها أن يكون وجود اللفظ كعدمه من ناحية المعنى ، بل يعنون به أحد أمرين :

أولهما : أنّك لو حذفت الكلمة التي قيل بزيادتها لم يتغيّر الكلام في معناه الأصلي ، وإنّما سيتمّ تأكيده ، وهذا ما ذهب إليه ابن جني بأنّ الزيادة إنّما جيءَ بها توكيدًا للكلام ولم تُحدث معنًى[6] ، وعليه فإنّها من أنماط التوكيد التي تفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر .

وقد لجأ الكُتّاب إلى الزيادة في نصوصهم لغرض تقوية المعنى وتوكيده بما يبعث الأريحية والطمأنينة في نفوس قُرّائهم .

---

(1) ينظر : الأصول في النحو : 267/2 ، وحروف المعاني المزيدة في العربية حتّى نهاية القرن الرابع الهجري : 8 .

(2) ضوابط الفكر النحوي : 358/2 .

(3) ينظر : أسلوب الزيادة بين واقع النصّ القرآني وآراء العلماء العرب : 35 .

(4) المقتضب : 136/4 ، وينظر : رصف المباني : 271 ، والجنى الداني : 316 .

(5) الأصول في النحو : 267/2 .

(6) ينظر : سرّ صناعة الإعراب : 133/1 – 153 ، والأشباه والنظائر : 249/1 .

وأوضح عبد القاهر الجرجاني ما للزيادة من فائدة للمعنى بقوله : " ما من كلام كان فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى للشيء إلاّ كان الغرض الخاص من الكلام والذي يُقصد إليه ، ويُزجى القول فيه ، فإذا قلت : جاءني زيدٌ راكبًا ، وما جاءني زيدٌ راكبًا ، كنت قد وضعت كلامك لأن تثبت مجيئه راكبًا أو تنفي ذلك ، لا لأن تثبت المجيء وتنفيه مطلقًا ، هذا ما لا سبيل إلى الشكّ فيه "[1] .

ثانيهما : أنّه زائد في الصناعة الإعرابية على ركني الجملة ، وإن أدّى معنى فيها ، أي (لغو أو حشو)[2] ، وكون الجملة كذلك لا يعني أن تفقد وظيفتها في الكلام ، إذ لو كانت كذلك لما قامت بتوكيد المعنى ، لكنّها حشو باعتبار أنّها لو سقطت لاستقام المعنى ، بخلاف العوامل التي يتغيّر المعنى بسقوطها ، وربّما أفضى ذلك لاختلاله[3] .

والزيادة من الفنون العربية التي لها وقعٌ في النفوس ، وفيها التأكيد على ما يريده المُعبِّر من الأغراض الكامنة في نفسه[4] .

وتدور فائدة الزيادة حول أمرين[5] :

أولهما : لفظي ، وهو أنّ الزائد قد يكون لتزيين اللفظ ، وإقامة الوزن ، والسجع ، وزيادة الفصاحة .

ثانيهما : معنوي ، فربّما جاء الزائد تقويةً وتوكيدًا لمعنى الكلام الذي ورد فيه ، وذهب العلماء إلى أنّه لا يجوز خلوّها من الفوائد اللفظية والمعنوية معًا ، وإلاّ كانت عبثًا .

---

(1) دلائل الإعجاز : 217 ، وينظر : نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية : 66 .

(2) الكتاب : 221/4 .

(3) ينظر : ضوابط الفكر النحوي : 361/2 – 362 .

(4) ينظر : حذف الحرف وزيادته في البحر المحيط : 5 .

(5) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 382/2 – 384 ، وبين الصناعة النحوية والمعنى عند السمين الحلبي : 426 .

ومصطلح (الزيادة) لا يُقصد من ورائه المعنى (العرفي) وهو (الفضلة) ، وإنّما معناه اللغوي الموضوع له في أصل اللغة وهو النّمو[1] ؛ لأنّ المراد زيادتها في التراكيب لمعنى يطلبه المتكلم ويقصد إليه ، فالتركيب ينمو بها ويقوى معناه وإلاّ غدت عبثًا[2] ، والكلام على هذا اللون من الإطناب لا تُلِمُّ به هذه الدراسة ، فهناك من درسه بصورةٍ مفصلة[3] .

وقد وجدنا أن كتابات القرن الثالث الهجري قد تضمّنت نمطين من الزيادة :

أ- زيادة الحروف :

إنّ أكثر الحروف الزائدة ورودًا لدى كُتّاب القرن الثالث هي : ما ، من ، الباء ، لا ، اللام .

زيـادة (ما)

(ما) الزائدة لها أربعة أقسام[4] :

1- أن تكون زائدة لمجرد التوكيد ، وهي التي دخولها في الكلام كخروجها ، نحو **ﭽ ﭗ ﭘ ﭽ** [آل عمران : 159] ، و **ﭽ ﯨ ﯩ ﭽ** [المؤمنون : 40] ، و **ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﭽ** [نوح : 25] ، و **ﭽ ﮓ ﮔ ﭽ** [الأنفال : 58] ، و **ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭽ** [التوبة : 124] .

2- أن تكون كافة ، وهي تقع بعد (إنّ وأخواتها) ، نحو :**ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭽ** [النساء : 171] ، وبعد (رُبَّ) وكاف التشبيه في الأكثر .

3- أن تكون عِوَضًا .

4- أن تكون منبهة على وصف لائق .

فمن أمثلة توظيف زيادة (ما) قول أحمد بن يوسف الكاتب في رسالة الخميس : " ... فإنّ الأيدي إنّما تُبسط بنفاذ العزائم ، والعزائم إنّما تنفذ بثبات الحجة ،

---

(1) ينظر : لسان العرب (زيد) .

(2) ينظر : حروف المعاني المزيدة عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري : 9 .

(3) يُعدّ الباحث (محمد جواد الطريحي) خير من درس (الزيادة) بصورة مفصلة في رسالته الموسومة بـ (ظاهرة الزيادة على الجملة العربية) .

(4) ينظر : الجنى الداني : 332 – 333 .

والحجة إنّما تثبُت إذا كانت عن الحقّ ... "[1] ، ففي قوله : (إنّما) وردت (ما) زائدة كفّت (إنّ) عن عملها ، وجاءت هذه الزيادة ؛ لتأكيد شحذ الهمم في مقارعة العدو ، ذلك أنّ استسلام العدوّ يكون بنفاد عزيمته ، ونفاد العزيمة يكون بثبوت الحُجَّة ، وثبوت الحُجّة يكون إذا قامت الحُجّة على دعائم الحقِّ .

ونظير ذلك قول سهل بن هارون في صدر كتاب له : " وجبَ على كلِّ ذي مقالة أن يبتدئَ بالحمد لله قبل استفتاحها ، كما بُدِئَ بالنعمة قبل استحقاقها "[2] ، ففي قوله : (كما) زِيدت (ما) بعد (كاف التشبيه) ؛ لتأكيد التشبيه وتعزيزه ، فقد أوضح النصّ أنّه واجبٌ على كلّ كاتب مقالة أن يبتدئ كتابَهُ بالبسملة قبل الشروع في افتتاحها ، وقد شبّه ذلك بذكر أنواع النِّعم قبل ذكر مستحقيها .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي : " ... واعلم أنّ وزن الخط مثل وزن القراءة ، فأجود الخطّ أبينُهُ ، كما أنّ أحمدُ القراءة أبينُها "[3] ، وقد زِيدت (ما) بعد (كاف التشبيه) في قوله : (كما) ؛ للتأكيد على وجود علاقة بين وزن الخط ووزن القراءة ، فوجود الخط تمكن في بيان حروفه ونقاطه وحركاته وسكناته ، وقد شبّهه بجودة القراءة التي تكمن في بيان مخارج الأصوات ، وإعطاء كلّ حرف حقّه في النطق .

وقال الجاحظ في رسالة (كتمان السرّ وحفظ اللسان) : " ... أنّ من يُفضَ إليه بالشيء يبلغ من إذاعته ونشره ما لا يبلغُهُ الرسول المُستحفظ المعنيّ بتبليغ الرسالة ، المحمود المُجازى على أدائها ، حتّى ربّما كان يبلغ في الإذاعة لمن أرادها أن يقصد للبلاغة من الرجال المعروف بالنميمة والتقتيت* ، فيوهمه أنّه قد استحفظه السرّ ، فيشيع على لسانه كما يشيع الضوء في الظُّلمة ... "[4] ، فقد وردت هنا (ما) زائدة في موضعين : أحدهما : بعد (رُبَّ) في (ربّما) ، والآخر : بعد (كاف التشبيه) في (كما) ، فالنصّ يشير إلى ضرورة اختيار من تستحفظه على سرِّك ، فهناك من

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 331/3 .

(2) البيان والتبيين : 64/2 .

(3) أمراء البيان : 277/1 .

* التقتيت : المبالغة في النميمة ، ينظر : لسان العرب (قتت) .

(4) رسائل الجاحظ : 153/1 .

الأصدقاء من يُبلِّغ سرَّك للآخرين ما لم يُبلِّغه الرسول بنشر رسالته بين الناس ، ومنهم من ينشره على لسانه كما يشيع الضوء في الظلمة ؛ لسرعة دورانه على اللسان .

ومثل ذلك قول الجاحظ في (كتاب القيان) : " ... أنّ اسم الحبّ لا يُكتفى به في معنى العشق حتى تُضاف إليه العِلل الأُخر إلاّ أنّه ابتداء العشق ، ثمّ يتبعه حبّ الهوى ، فربّما وافق الحقّ والاختيار ، وربّما عدل عنهما ، وهذه سبيل الهوى في الأديان والبلدان وسائر الأمور ... "[1] ، فقد زِيدت (ما) الواقعة بعد (رُبَّ) مرتين ؛ للتأكيد على أنّ الحبّ لا يرتقي إلى درجة العشق حتى تُضاف إليه العِلل الأُخر ، وهي الهوى والمشاكلة والأُلفة ، فالحبّ هو ابتداء معنى العشق ، ثمّ يتبعه الهوى ، وقد يوافق هذا الهوى سبيل الحقّ أو يخالفه ، فكثيرٌ ما يتبع الإنسان هواه في معاملاته المختلفة حتّى وإن خالفت الحقّ ؛ لذلك قيل : " عينُ الهوى لا تصدُق "[2] و " حُبّك للشيء يُعمي ويُصمّ "[3] .

وقال الجاحظ في رسالة (الشارب والمشروب) : " ... وربّما الإقلال في إيجازٍ أجدى من إكثار يُخالف عليه المِلل ... "[4] ، فزِيدت (ما) بعد (رُبَّ) للتأكيد على أنّ بلاغة الإيجاز هي أنفع وأمتع للقارئ والسامع من الإطالة التي تبعث على الملل ، فزيادة (ما) في (ربّما) تمنحه فرصة أكبر في استغلال الإمكانات اللغوية المتاحة بالدخول على الأفعال والأسماء في حين اقتصر دخول (رُبَّ) على النكرة الموصوفة ، أو المضاف إلى النكرة[5] .

وقال الكاتب نفسه في (الجوابات واستحقاق الإمامة) : " قد رأينا أهل الصّلاح والقَدْر عند انتشار أمر السُّلطان ... وإنّما صلاح الناس بقدر تعاونِهِم ... "[6] ،

---

(1) المصدر نفسه : 167/2 .
(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(4) رسائل الجاحظ : 281/4 .
(5) ينظر : معاني النحو : 96/2 .
(6) رسائل الجاحظ : 289/4 .

فزِيدت (ما) الواقعة بعد (إنّ) ، إذ قصر الكاتب صلاح الناس على قدر تعاونهم وتآزرهم .

وكتب سعيد بن حميد مُعزيًا : " ... وإنّما أسأل الله ﴿عَجَلَّ﴾ أن يوفق أمير المؤمنين لما يُعظم به أجره ، ويجزل به مثوبته ... "[1] ، جاءت هنا (ما) زائدة ، إذ وقعت بعد (إنّ) ، فقد قصر الكاتب دعاءَه على توفيق أمير المؤمنين بتعظيم أجره على الصبر وحُسن العزاء .

وكتب ابن المعتز قائلاً : " كلما عَظُمَ قدرَ المنافس فيه ، عَظُمَت الفجيعة بفقدِهِ "[2] ، فزِيدت (ما) هنا في (كلما) ، إذ جاءت عِوض عن إضافة ، فالنصّ يشير إلى أنّه كلما عَظُمَ قدر المرء ومنزلته بين الناس بعلمِهِ وأدبِهِ وحسنِ سيرتِهِ كانت الفاجعة بفقدِهِ أكبر وأعظم .

ومثل ذلك قال الكاتب نفسه : " كلما حَسُنَت نعمةُ الجاهل ، ازداد فيها قبحًا "[3] ، فقوله : (كلما) وردت (ما) زائدة أيضًا ، إذ جاءت عِوض عن إضافة ، فالنصّ ينطوي على حكمة مفادها أنّ كلما ازداد الجاهل ثراءً ازداد قبحًا بين الناس وقلَّ قدرُهُ ؛ لسوء استخدام هذا الثراء في شهواته وأهوائه .

وقال ابن المعتز في تهنئة بعث بها إلى الوزير عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدومه ، قال فيها : " ... وبارك الله له في قدومه ومسيره في جميع أموره ... وحَفِظَ له ما خوّله كما حَفِظَ ما استرعاه ، ووفقه فيما طوّقه ، وزاده كما زاد منه "[4] ، جاءت (ما) زائدة بعد (كاف التشبيه) في (كما) ؛ للتأكيد والمبالغة في التعبير عن حبّه للوزير ، واعتزازه به ، وسروره بقدومه .

وكتب ابن المعتز إلى بعض الوزراء : " ... وربّما استُنْصِح الغاشّ ، وصُدِّق الكاذب ، والحظوة لا تُدرك بالحيلة ، ولا يجري أكثرها على حسب السبب والوسيلة

---

(1) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 93 .

(2) رسائل ابن المعتز : 70 .

(3) المصدر نفسه : 71 .

(4) الأوراق ، قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 288/2 .

"[1] ، فقد جاءت (ما) زائدة بعد (ربّ) ؛ للتأكيد ، فهذا كتاب اعتذار عن وشاية تَحُول بين الكاتب والوزير ، فما زال الحاسد ينصب الحبائل حتى يحصل على فرصته ويبلغ الحظوة عند الوزير ، ولكن المكانة الرفيعة لدى الوزير وغيره لا تُدرك بالحيلة كالغشّ والكذب .

كما وردت (ما) زائدة عند ابن المعتز في جملة من الفصول القِصار منها قوله : " البشر دالٌّ على السخاء ، كما يدلّ النور على الثمر "[2] ، وقوله : " كما أنّ الشمس لا يخفى ضوؤها وإن كانت تحت السحاب ، كذلك الصبي لا تخفى غريزة عقله وإن كان مغمورًا بأخلاق الحداثة "[3] ، وقال ابن المعتز أيضًا : " ربّما شَرِقَ شارب الماء قبل ريِّهِ "[4] ، وقوله : " ربّما أورد الطمع ولم يصدر ، وضمّن ولم يوفِ "[5] ، وقوله : " ربّما أدت الشكوى إلى الفرج ، وكان الصمت من أُكّد أسباب العطيّة "[6] .

زيـــادة (مِنْ)

أمّا (مِنْ) فقد ذهب الزركشي (ت794هـ) إلى أنّها تُزاد بعد نفي أو شبهه ، بينما جوّز الأخفش (ت318هـ) زيادتها مطلقًا من دون قيدٍ أو شرط[7] ، ولها حالتان[8] :

---

(1) رسائل ابن المعتز : 55 .
(2) زهر الآداب : 599/2 .
(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(4) رسائل ابن المعتز : 66 .
(5) رسائل ابن المعتز : 69 .
(6) المصدر نفسه : 78 .
(7) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 55/3 .
(8) ينظر : الجنى الداني : 320 .

الأولـى : أن يكـون دخولهـا فـي الكـلام كخروجهـا ، وتسـمّى الزائـدة لتوكيـد الاستغراق ، وهي الداخلة على الأسماء الموضوعة للعموم ، وهي كلّ نكرة مختصة بالنفي ، نحو : (ما قامَ من أحدٍ) ، فهي مزيدة هنا لمجرد التوكيد .

الأخـرى : أن تكـون زائـدة لتفيـد التنصـيص علـى العمـوم ، وتسـمّى الزائـدة لاستغراق الجنس ، نحو : (ما في الدار من رجل) محتمل لنفي الجنس على سبيل العموم .

ونلمـح هـذه الزيـادة فـي كتابـات القـرن الثالـث الهجـري قـول أحمـد بـن يوسـف الكاتب في تعزية يقول فيها : " ... فنسأل اللهَ أن يرأبَ هذه الثلمة ، ويَسدّ هذه الخِلّة بأمير المؤمنين أولاً ، وبك ثانيًا ، وأن يُعظم مثوبتك ، ويُحسن عقباك ، ويخلف بك ذا اليمينين ، ويُعمّر بك مكانـه مـن أميـر المـؤمنين ومـن كافـة المسـلمين ... "[1] ، فقوله : (من كافة) جاءت (من) زائدة بالتكرار ؛ لتوكيد معاني التعزية للمُعَزَّى .

وجـاء عـن إبـراهيم بـن العبـاس الصّـولي فـي تحميـد لـه ، قولـه : " أمّـا بعـدُ ، فالحمد لله الأول بـلا أبدٍ يُحصـى ، والآخـر بـلا أمدٍ يُفنـى ... عـالم خفيـات الغيـوب ، وخطرات القلوب ، وما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ، ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ، ولا أدنـى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم ، وما تسقط من ورقةٍ إلاّ يعلمها ، ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتاب مبين "[2] .

فقولـه (من ورقة) وردت (من) هنا زائدة ، حيث وظّف الكاتب الاقتباس في هـذا الـنصّ مـن قولـه تعـالى :**چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ** [المجادلـة : 7] ، وقولـه تعـالى : **چ ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ** [الأنعام : 59] .

---

(1) أمراء البيان : 235/1 .

(2) أمراء البيان : 269/1 – 270 .

* خطل : اضطراب ، ينظر : أساس البلاغة (خطل) .

ونلحظ هذه الزيادة عند الجاحظ في رسالة (مناقب الترك) ، قال فيها : " ... فإنّ السلطان لا يخلو من مُتأوّلٍ ناقم ، ومن محكومٍ عليه ساخط ، ومن معدولٍ عن الحكم زارٍ ، ومن مُتَعَطِّلٍ مُتَصَفح ، ومن مُعجبٍ برأيهِ ذي خَطَلٍ* في بيانه ... ومن محروم قد أضغنه الحرمان ، ومن لئيمٍ قد أفسده الإحسان ، ومن مُستبطِئ قد أخذ أضعاف حقِّهِ ... "[1] ، وردت (من) في هذا النصّ زائدة بالتكرار وذلك في قوله : (من محكوم) و (من معدول) و (من مُتعطِّل) و (من معجبٍ) و (من محروم) و (من لئيم) و (من مستبطئ) ، وجاءت هذه الزيادة للتوكيد على المشقّة والمصاعب التي يحفل بها عمل السلطان ، ولا سيّما أنّ السلطان يحفُّ به الناقمون والساخطون والعائبون والمحرومون الذين ينصبون الحبائل له للإيقاع به والتمكن منه .

زيـــادة (الباء)

و (الباء) الزائدة لها ستة مواضع[2] :

الموضع الأول : المبتدأ إذا كان (حَسْبُ) كقولك : (بِحَسْبِك أن تقومَ) .

الموضع الثاني : خبر (ليس) ، نحو قولك : (ليس زيدٌ بقائمٍ) .

الموضع الثالث : خبر (ما) ، نحو قولك : (ما زيدٌ بقائمٍ) .

الموضع الرابع : فاعل (كفى) ، كقوله تعالى :**چ** □ □ □ **چ** [النساء : 79] ، **چ چ چ چ** [النساء : 81] .

الموضع الخامس : مفعول (كفى) عند بعضهم في الضرورة .

الموضع السادس : الفاعل في الضرورة .

وذهب الزركشي إلى زيادتها مع (إنّ وكأنّ)[3] .

---

(1) رسائل الجاحظ : 6/1 .

(2) ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني : 225 – 226 ، وأصول التفكير النحوي : 272 .

(3) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 56/3 .

وتطبيقات هذه الزيادة كثيرة في كتابات القرن الثالث الهجري ، منها قول الجاحظ في رسالة (تفضيل النطق على الصمت) : " ... ولم أرَ للصمت فضيلةً في معنًى ، ولا للسكوت مَنْقَبةً في شيءٍ إلاّ وفضيلة الكلام فيها أكثر ، ونصيب المنطق عندها أوفر ، واللفظ بها أشهر ، وكفى بالكلام فضلاً ، وبالعقيدة مَنْقَبةً ... "[1] .

فجاءت (الباء) حرفَ جرٍّ زائدًا في قوله : (بالكلام) (وبالعقيدة) ، فهذه الزيادة أعطت الفضيلة للكلام على الصمت ، فلولا الكلام لما كان يُعرف الحقّ ، ولا يُستدلّ على معالم الدين وشرائع الإيمان ، ولا تُعرف كوامن الصدور ، فالكلام هو تُرْجُمان القلوب .

ونظير ذلك قول سعيد بن حميد في كتاب بيعة المنتصر : " ... لا يقبل الله منه إلاّ الوفاء بها ، وهو بريء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ، ولا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عَدْلاً ، والله عليم بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيدًا "[2] ، فقد وردت (الباء) حرف جرٍّ في قوله : (بالله) وهو اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ﴾ ، وجاءت هذه الزيادة لتوكيد الحدث ، وهو أخذ البيعة للمنتصر ، واستخدم الكاتب الأسلوب المؤثر في عرض البيعة ، مما كان له أثرٌ واضح في نفوس المخاطبين ، والذي يقودهم إلى البيعة والدخول فيها طوعًا ورغبةً بذلك .

وقال ابن المعتز : " ... وكفى بمقاساة ذي النقص مذكرًا بأهل التمام ... "[3] ، فيظهر الحسّ الجمالي المتحقق من طبيعة التركيب القائم على الزيادة ، وهي زيادة (الباء) في (بمقاساة) ؛ لتعزيز معنى النصّ ، فالنصّ يشير إلى أنّه لو أردتَ القسوة على أهل النقص – ويقصد النقص في الدين أو الأخلاق – فَعَيِّرهم بأهل التمام ، أي أهل الدين والخلق الحسن .

ونلمس هذه الزيادة في قول عبد الله بن طاهر عندما أهدى إلى المأمون فرسًا : " قد بعثتُ إلى أمير المؤمنين بفرسٍ يلحق الأرانب في الصُّعداء ، ويجاوز الظباء

---

(1) رسائل الجاحظ : 235/4 .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 78 .

(3) الأوراق ، قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 291/2 .

في الاستواء ، ويسبق في الحدور جريَ الماء "[1] ، فقوله : (بفرسٍ) جاءت (الباء) حرفَ جرٍّ زائدٍ ؛ للمبالغة في تعظيم شأن هديته ، وقوّة الصفات التي تتصف هذه الفرس وتفضيلها على غيرها .

ومنه قول إبراهيم بن العباس الصّولي : " وقديمًا غذّت المعصية أبناءَها ، فحلبت عليهم من دُرِّها مرضعة ، وبسطت لهم من أمانيها مطمعة ، ورَكِبَت فيهم مخاطرها موضعة ... وما ربُّك بظلامٍ للعبيد "[2] ، فقوله : (بظلامٍ) الباء حرف جرٍّ زائد ، وهو اقتباس من قوله تعالى :**چ**□ □ □ □**چ** [فصلت : 46] رسم الكاتب في هذا النصّ القيّم صورة استعارية في غاية الجمال ، فقوله : (غذّت المعصية أبناءَها ، فحلبت عليهم من درّها مرضعة) قد قرن رضاعة الأم لأبنائها برضاعة المعصية لأبنائها ، لكن بمسارين متضادّين ، فالأم تُرضع أولادها الحبّ والحنان والأمن والطّاعة والسلام والرحمة ، أمّا المعصية فإنّها ترضع أبناءَها الألم والخوف والطمع وسفك الدماء وإباحة الحرمات ، فإنّ الإنسان إذا أحسن فلنفسه وإذا أساء فعليها .

ونظير تلك الزيادة قول الجاحظ في رسالة (مناقب الترك) : " ... ثمّ أعلمتني أنّك بنفسك بدأت في تعظيم إمامِكَ ... "[3] ، فالكاتب يمدح صاحبه (عبيد الله بن حسان) ، ويؤكّد بأنّه أول من بدأ بطاعة إمامه ، وتدبير شؤونه ، والمحاماة له ونصرته من كلّ عدوّ ناقمٍ أو حاسدٍ حاقدٍ ، وأكّد مدحه لصاحبه بحرف الجرّ الزائد (الباء) في قوله : (بنفسِكَ) .

وقال الكاتب نفسه في رسالة (كتمان السرّ وحفظ اللسان) : " ... والسرّ – أبقاك الله – إذا تجاوز صدرَ صاحبه وأفلتَ من لسانه إلى أُذن واحدة ، فليس حينئذٍ بسرٍّ ، بل ذلك أولى بالإذاعة ، ومفتاح النشر الشهرة ... "[4] ، فقوله : (بسرّ) الباء حرف جرّ زائد ؛ لتوكيد نشر السرّ وإذاعته بين الملأ إذا خرج من صدر صاحبه .

---

(1) زهر الآداب : 357/2 .
(2) أمراء البيان : 266/1 – 267 .
(3) رسائل الجاحظ : 8/1 .
(4) المصدر نفسه : 146/1 .

كما نلمح هذه الزيادة في قول الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... وليس العجب ممّن أفضى بسرِّهِ إلى من ليس له بموضعٍ ، ممن تقدّمت معرفته وزالت الشكوى عنه في أمره , ولكن العجب عين العجب ممن استنام بسرّه إلى من لم تقدم معرفته ومن آنس إليه عن اللِّقاءة واللقاءتين ... "[1] فهذا النص ينطوي على النصيحة في انتقاء من تجد عنده الثقة والأمانة في كتمان السرّ , فالكاتب لا يعجب ممن يضع سرّه عند أخيه أو صديقه من سبقت معرفته بأمانته , ولكنه يعجب ممن يضع سرّه عند شخص لم يسبق له معه سوى لقاء به مرّة أو مرّتين دون معرفة تُسبق , وقد أكّد تعجبه أو عدمه بحرف الجر الزائد (الباء) في قوله (بسرّه) , (بوضع) , (بسرّه) .

ومنه أيضًا قول الجاحظ في رسالة (ذم أخلاق الكُتّاب) : " ... هذا وليس صناعتهما بفاشية في الكُتّاب , ولا بموجودة في العوام , فأغزرهم علمًا أمهنهم , وأقربهم من الخليفة أهونهم ، فكيف بكاتب الخراج الذي علمه ليس بمحظور , وإشراك الناس فيه ليس بممنوع ... "[2] .

فالنص ينطوي على ذم أخلاق كُتّاب الخِراج الذين يأخذون بأبطال السُنن , ويفشون الظلم والضغينة بين الرعيّة , وسلب حقوقهم وإهمال أمورهم , وبالغ في ذمه بحرف الجر الزائد (الباء) في قوله (بفاشية) , (بموجودة) , (بمحظور) , (بممنوع) .

زيـــادة (لا)

وتزاد في المواضع الآتية[3] :

1- أن تكون زائدة من جهة اللفظ فقط , كقولهم جئت بلا زاد , وغضبت من لا شيء , فـ (لا) في ذلك زائدة من جهة اللفظ لوصول عمل ما قبلها إلى ما بعدها , وليست زائدة من جهة المعنى ؛ لأنها تفيد النفي .

2- زائدة بعد النفي بدلالة قول المبرّد (ت285هـ) : " لا المؤكدة تدخل على النفي لمعنى , تقول : ما جاءني زيدٌ ولا عمرو "[1] .

---

(1) المصدر نفسه : 170/1 .

(2) رسائل الجاحظ : 206/2 .

(3) ينظر : الجنى الداني : 306 – 307 , والبرهان في علوم القرآن : 52/3 .

3- أن تكون زائدة , دخوله كخروجها , وهذا مما لا يقاس عليه .

وردت (لا) زائدة في كتابات القرن الثالث الهجري كثيرًا جدًا , من ذلك كتاب أحمد بن يوسف الكاتب في ذمّ بخيل : " فهو لا يصيب إلاّ مخطيًا ، ولا يُحسن إلاّ ناسيًا ، ولا ينفق إلاّ كارهًا ، ولا ينصف إلاّ صاغرًا "[2] ، قوله : (لا يصيب) ، (لا يحسن) ، (لا ينفق) ، (لا يُنصف) ، جاءت (لا) زائدة تفيد القصر ، ويمكن حذف (لا) من دون أن يختل المعنى ، فيكون المعنى : (يصيب مخطئًا ، ويُحسن ناسيًا ، وينفق كارهًا ، وينصف صاغرًا) ، فالنصّ يشير إلى صفات البخيل ، وما تصدر عنه من أعمال حسنة من دون قصد إليها ، أي على وجه الخطأ والنسيان .

وله في رسالة أخرى في ذمّ البخيل أيضًا ، قال فيها : " فلا أعلم للمعروف طريقًا أحزن ولا أوعر من طريقه إليك ، ولا مستودعًا أقلّ زكاءً ، ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عندك ... "[3] ، فقوله : (ولا أوعر) ، (ولا مستودعًا) ، (ولا أبعد) ، وردت (لا) زائدة لتوكيد النفي بـ (لا) ، وعند حذف (لا) المعطوفة يكون الكلام : (فلا أعلم للمعروف طريقًا أحزن وأوعر من طريقه إليك ، ومستودعًا أقلّ زكاءً وأبعد ثمرةً خير من مكانه عندك) ، وهذه من صفات البخلاء .

كما نلمس هذه الزيادة في قول سهل بن هارون : " ... ولو كان ذكر العيوب بَرًّا وفضلاً لرأينا أنّ في أنفسنا عن ذلك شغلاً ، وإنّ من أعظم الشقوة ، وأبعد من السعادة ألاَّ يتذكر زلل المعلمين ، ويتناسى سوء استماع المتعلمين ... "[4] ، فقوله : (ألاَّ يتذكر) وردت (لا) زائدة بعد (أن) للتوكيد ، وقال الزمخشري في فائدة زيادتها : " توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحققه "[5] ، وعند حذف (لا) يكون الكلام : (أن يتذكر زلل المعلمين) ، فيشير الكاتب في هذا النصّ إلى أنّ الاعتراف بالعيب فضيلة ، ويرى تلك الفضيلة في نفسه ، فهو يرى أنّ من الشقاء والابتعاد عن طريق

---

(1) المقتضب : 134/2 – 135 .
(2) أمراء البيان : 233/1 .
(3) أمراء البيان : 237/1 .
(4) البخلاء : 33 .
(5) الكشاف : 145/2 .

السعادة والصواب النظر إلى أخطاء المعلمين الناتجة عن سوء استماع المتعلمين ومدى إدراكهم وفهمهم عمّا يقول المعلمون ، أي يجعل اللوم على المعلم ، بينما يتغاضى عن فهم المتعلّم ومدى إدراكه للأشياء .

وقال سهل في الرسالة نفسها : " ... وليس من أصل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير السادة أن يستوي في نفس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ... "[1] ، فقوله : (ولا في ترتيب) ، (ولا في عادات) ، (ولا في تدبير) ، وردت (لا) زائدة لتوكيد النفي بـ (ليس) وعند حذف (لا) يكون الكلام : (وليس من أصل الأدب ، وفي تدبير الحكم ، وفي عادات القادة ، وفي تدبير السادة) ، وجاءت هذه الزيادة للتوكيد ، فالكاتب يشير إلى أنّه ليس من الصواب الموازنة بين الجيّد من المأكول والمشروب والملبوس والمركوب ، فكلّ صنفٍ له موضع خاصّ عند الإنسان ، فقد يرغب ببعضها بينما يتجنب البعض الآخر ، كما تختلف الرغبات والميول من شخصٍ إلى آخر .

ومن ذلك كتاب عبد الله بن طاهر إلى أحد عمّاله ، حيث قال : " أمّا بعد فإنّه بلغني من قطع الفسقة الطريقَ ما بلغني ، فلا الطريق تحمي ، ولا اللصوص تكفي ، ولا الرعية ترضى ، وتطمع بعد هذا في الزيادة ... "[2] ، فقوله : (ولا اللصوص) ، (ولا الرعية) ، جاءت (لا) زائدة لتوكيد النفي ، وعند حذف (لا) المعطوفة يكون الكلام : (فلا الطريق يحمي ، واللصوص تكفي ، والرعية ترضى) ، فالنصّ يحمل في طيّاته أسلوب التهديد والوعيد بحقّ أحد عمّاله ؛ للتقصير والفوضى في عمله ، فقد كَثُرَ قُطّاع الطرق واللصوص ، والتقصير في واجبات الرعية وحقوقهم ، وبعد هذا كلّه يعجب عبد الله بن طاهر من طمع عامله في الزيادة في المال والمنصب .

ومثل هذه الزيادة قول إبراهيم بن العباس الصّولي : " ووجد أعداء الله زُخرفَ باطلهم ، وتمويه كذبِهِم ... وتشعبت موليَّةً مَذاهبَه وأيقن راجيه وطالبُهُ ، أنْ لا ملاذَ

(1) البخلاء : 34 .

(2) نهاية الأرب : 47/6 ، وينظر : تطور الأساليب النثرية : 142 .

، ولا وَزَرَ ، ولا موردَ ، ولا صدرَ ، ولا من الحرب مفرّ ، هنالك ظهرت عواقب الحقّ مُنْجيةً ، وخواتمُ الباطل مُرديةً ، سُنة الله فيما أزاله وأداله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولا عن قضائه تحويلا "[1] ، فقوله : (لا وَزَرَ) ، (ولا موردَ) ، (ولا صدرَ) ، (ولا من الحرب مفرّ) ، وردت (لا) مزيدة لتوكيد النفي بـ (لا) ، وعند حذفها من النصّ لا يحدث تغيير أو لبس في المعنى ، فتقدير الكلام : (أنْ لا ملاذَ ، ووزرَ ، وموردَ ، وصَدَرَ ، ومن الحرب مفرّ) .

وكذلك وردت مزيدة في قوله : (ولا عن قضائه تحويلاً) ؛ لتأكيد النفي بـ (لن) ، وعند حذف (لا) المزيدة يكون الكلام : (ولن تجدَ لسنة الله تبديلاً ، وعن قضائه تحويلاً) ، فالنصّ يشير إلى الإيمان بالله وبقضائه وشرائعه وسُنته ، وإنّه لا مفرّ أو ملجأ من قضائه تعالى ، وإنّ سفينة الحقّ هي المُنْجية ، وسفينة الباطل هي المُردية ، ولن تجدَ لسُنة الله ولقضائه تبديلاً وتحويلاً .

وورد هذا اللون من الزيادة في رسائل الجاحظ ، منها رسالة (مناقب الترك) : " ... والأتراك قومٌ لا يعرفون المَلَق ، ولا الخِلابة ، ولا النفاق ، ولا السعاية ، ولا التصنع ، ولا النميمة ، ولا الرّياء ... "[2] ، فقوله : (ولا الخِلابة) ، (ولا النفاق) ، (ولا السعاية) ، (ولا التصنع) ، (ولا النميمة) ، (ولا الرياء) ، وردت (لا) مزيدة لتوكيد النفي بـ (لا) ، وعند حذف (لا) المعطوفة يكون الكلام : (والأتراك قومٌ لا يعرفون المَلَق ، والخِلابة ، والنفاق ، والسّعاية ، والتصنع ، والنميمة ، والرياء) فالنصّ يشير إلى مدح الأتراك ، وذكر صفاتهم الحميدة ، فهم أقوامٌ لا يعرفون التملق ، ولا النميمة ، ولا الكذب ، ولا الرياء ، ولم تفسدهم الأهواء .

ووظّف الجاحظ (لا) المزيدة ؛ تأكيدًا لصفات الرسول الأعظم ﷺ ، وذلك في رسالة (حجج النبوة) بدلالة قوله : " ... ولم نسمعْ لأحدٍ قطّ كصَبرِهِ ، ولا كحِلْمِهِ ، ولا كوفائِهِ ، ولا كزُهدِهِ ، ولا كجُودِهِ ، ولا كنجدتِهِ ، ولا كصدقِ لهجتِهِ ، وكرمِ عشرتِهِ ، ولا كتواضعِهِ ، ولا كعِلمِهِ ، ولا كحِفْظِهِ ، ولا كصَمتِهِ إذا صمت ، ولا كقوله

---

(1) معجم الأدباء : 190/1 .

(2) رسائل الجاحظ : 62/1 .

إذا قال ، ولا كعجيبِ منشئِهِ ، ولا كقلّة تلونِهِ ، ولا كعفوِهِ ، ولا كدوام طريقتِهِ ، وقلّة امتنانِهِ ... "[1] ، فقد وردت (لا) المزيدة مكررة في أكثر من موضع ؛ لتأكيد النفي بـ (لم) ، وإذا حُذِفت (لا) المزيدة لم يحدث لبسًا في المعنى ، فيكون الكلام : (ولم نسمعْ لأحدٍ قطّ كصَبرِهِ ، وكحِلْمِهِ ، وكوفائِهِ ، وكزُهدِهِ ، وكجُودِهِ ، وكنجدتِهِ ، وكصدقِ لهجتِهِ ، وكرمِ عشرتِهِ ، وكتواضعِهِ ، وكعِلمِهِ ، وكحِفْظِهِ ، وكصَمتِهِ إذا صمت ، وكقوله إذا قال ، وكعجيبِ منشئِهِ ، وكقلّة تلونِهِ ، وكعفوِهِ ، وكدوام طريقتِهِ ، وقلّة امتنانِهِ) .

فالنصّ يشير إلى شخصية محببة إلى النفس ، وهي شخصية الرسول الأعظم ﷺ وما تتوافر فيها من صفات عظيمة تميزه من باقي الخَلْق ، فليس له مثيل في صبره على الظلم ، وحِلمه في الأمور ، ووفائه لعهد الله تعالى ورعيته ، وزهده ، وجوده ، ونجدته ، وصدقه ، وتواضعه ، وعلمه الغزير ، وحفظه للأمانة ، وليس له مثيل في صمته أو قوله ، وقوّة صولته في الغزو ويشهد له بذلك حتى المنافق والزنديق .

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض الكُتّاب : " بلغني حسنُ مَحْضرِكَ ، فغير بديع من فضلك ، ولا غريب عندي من برّك ، بل قليل اتّصل بكثير ... "[2] ، فقوله : (ولا غريب) وردت هنا (لا) زائدة تفيد توكيد النفي بـ (غير) ، وعند حذف (لا) الزائدة يكون الكلام : (فغير بديع من فضلك ، وغريب عندي من برّك ، بل قليل اتّصل بكثير) ، فالنصّ يضمّ في طيّاته أسلوب مدحٍ لبعض الكُتّاب لحذقهم ونباهتهم في كتاباتهم ، وهذا ليس ببعيد عن بديع إحسانهم وبرّهم ، بل هو غيض من فيضٍ .

وقال سعيد في نصٍّ آخر له : " أنا أتعمدُ في كتبي إليك ما يخفّ ويسهل عليك ، فامسك عن الكتاب أحيانًا بالإبقاء ، وأكتب أحيانًا لئلا يتوهم عليّ الجفاء ... "[3] ، قوله : (لئلا) فاللام حرف جرّ يفيد التعليل ، و (أنْ) مصدرية ناصبة ، و (لا) زائدة لتوكيد الكلام وتحقيقه ، فتقدير النصّ : (لأنْ يتوهم عليَّ الجفاء إذا

---

(1) المصدر نفسه : 280/3 – 281 .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 90 .

(3) المصدر نفسه : 91 .

أمسكتُ الكتابة إليك) ، فالكاتب يتوسط في كتبه بين الكتابة والمنع ، بما يخف ويسهل على صاحبه ، فهو يمسك أحيانًا ويكتب أحيانًا أخرى حتى لا يتوهم عليه الجفاء .

وقال الكاتب نفسه في تحميدٍ له : " الحمدُ لله الحميد المجيد ، الفعّال لما يريد ... ولم يكن له شريك في ملكِهِ فينازعه ، ولا معين على ما خَلَقَ فتلزمه الحاجة إليه ... "[1] ، قوله : (ولا معين) وردت (لا) زائدة لتوكيد النفي بـ (لم) ، وإذا حُذِفت (لا) الزائدة يكون الكلام : (لم يكن له شريك في مُلكِهِ فينازعه ، ومعين على ما خلق فتلزمه الحاجة إليه) ، فالتحميد يشير إلى عِظَم الله تعالى فهو واحدٌ أحدٌ لا شريك له ، وهو القوّي القادر القاهر بلا معين يلزمه ، ولا كفيل ينوبُهُ .

ومثل ذلك قول ابن المعتز في شفاعةٍ لرجل : " ... واجعل حظي من ولايتك قبول اختياري لك هذا الرجل ، واخلطه بأوليائك القايلين في ظلّك ، فقد أفردك رغبته ، وصرف إليك وجهَ رجائه ، وليس فيه فضل للانتظار ، ولا بقيّة للإذكار ، فعجّل إن نويتَ جودًا ، وبادر إن نويتَ صنعًا ... "[2] ، قوله : (ولا بقيّة) وردت (لا) زائدة لتوكيد النفي بـ (ليس) ، وحذف (لا) الزائدة لا يؤثر في المعنى ، فتقدير الكلام عند حذفها : (وليس فيه فضل للانتظار ، وبقية للإذكار) ، فالنصّ ينطوي على التوسل والشفاعة لرجلٍ للعمل في الولاية ، وهو يرجو العجلة في المبادرة بقبول شفاعته من غير وعود أو اعتذار .

وقال الكاتب نفسه في ذكر السلطان : " إفساد الرعية بلا ملكٍ كفساد الجسم بلا روحٍ "[3] ، فقوله : (بلا ملكٍ) ، (بلا روحٍ) وردت (لا) زائدة بعد حرف الجرّ (الباء) ، والزيادة تكون من جهة اللفظ فقط ؛ لوصول عمل ما قبلها إلى ما بعدها ، فقوله : (بلا ملكٍ) اسم مجرور بحرف الجرّ (الباء) ، والشيء نفسه يقال في (بلا روح) ، أمّا من جهة المعنى فهي ليست بزائدة ، أي بها يتمّ المعنى .

---

(1) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 95 .

(2) الأوراق ، قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 293/2 .

(3) رسائل ابن المعتز : 68 .

زيـــادة (اللام)

تجمع لام الابتداء ، ولام (إنّ) ، ولام الجواب :

أ- **لام الابتـداء** : تـدخل علـى المبتـدأ والخبـر وهـي مؤكـدة ، ومانعـة مـا قبلهـا مـن تخطّيها إلى ما بعدها[1] كقوله تعالى : **ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ** [الحشر : 13] ، وقوله تعالى : **ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ** [الضحى : 5] .

ب- **لام (إنّ)** : نحـو قولـك : إنّ زيـدًا لقـائم ، وفـي هـذه الـلام معنـى توكيـد الحـدث وتحقيقه[2] .

ج- **لام الجواب** : وهي على ثلاثة أقسام[3] :

1- تقع في جواب القسم وتدخل على الجملة الاسمية والفعلية نحو قولك : والله لزيدٌ قائمٌ ، وقوله تعالى :**ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ** [الأنبياء : 57] .

2- تقع في جواب (لو) و (لولا) نحو : لولا عبدُ الله لزرتُكَ ، وقوله تعالى : **ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ** [البقـرة : 251] ، وقولــه تعــالى : **ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ** [الواقعة : 65] .

3- الـلام الموطئـة ، وهـي الداخلـة علـى أداة الشـرط ، نحـو : والله لـئن أكرمتنـي لأكرمتـك ، وقولـه تعـالى : **ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ** [الحشـر : 12] ، وقـد تُحـذف نحو قوله تعالى :**ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ** [الأعراف : 23] ، وسُمّيت موطئة ؛ لأنّها وطّأت الجواب .

ومن تطبيقات (الـلام) الزائدة في كتابات القرن الثالث الهجري قول أحمد بن يوسف الكاتب في العدل والإنصاف : " لو لم يكن العدل من شيمتِكَ ، والإنصاف من خليقتِكَ لكان يجب عليك في قدر نعمة الله عندك ، وما رفع إليه من الفضل غايتك ، أن تتخذهما عتادًا ليومِكَ ، وذخرًا لغدِكَ ... "[4] ، قوله : (لكان) اتّصلت

---

(1) ينظر : اللامات : 69 ، والجنى الداني : 164 ، ومغني اللبيب : 246/1 .

(2) ينظر : مغني اللبيب : 247/1 .

(3) ينظر : الجنى الداني : 169 – 170 .

(4) جمهرة رسائل العرب : 375/3 .

اللام الزائدة في جواب (لو) ؛ للتأكيد على أهمية العدل والإنصاف وجعلهما شعارًا للإنسان في معاملاته اليومية ، وهاتان الصفتان ملازمتان للممدوح المخاطَب .

وقال سهل بن هارون في رسالة البخل : " ... ولو كان ذكر العيوب بَرَّا وفضلاً لرأينا أنّ في أنفسنا عن ذلك شُغلاً "[1] ، قوله : (لرأينا) اتّصلت اللام الزائدة المؤكدة في جواب (لو) ؛ لتعظيم شأنه وتنزيهه عن العيب والزلل .

وقال سهل في مدح المأمون : " ... والله إنّه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ... "[2] ، فقد أكّد الكاتب شجاعة المأمون وتفضيله على غيره في أقواله البليغة وأفعاله الجريئة بثلاثة مؤكدات هي : القسم بـ (الله) ، وبـ (إنّ) المؤكدة ثمّ اللام الزائدة المؤكدة المتصلة بـ (ليقول) .

ونظير ذلك قول عمرو بن مسعدة : " إنّ الكريمَ لَيرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة "[3] ، فقد أكّد رعاية الكريم للمعروف بـ (إنّ) المؤكدة ، واللام الزائدة للتوكيد في قوله : (ليرعى) ، وقد شبّه العلاقة بين الكريم والمعرفة بصلة الإنسان ورعايته لأقربائه .

وكتب إبراهيم بن العباس الصّولي إلى محمد بن الحسن الفياض وقد حمل مالاً : " إذا جَزَى الله وليًّا بأداء الفرض عليه ، وتأدية حقّ الشكر عن نفسه خيرًا فأحسن الله جزاءَكَ ، فبالله لئن كُنّا قدّمنا حسنَ الظن بك ، لقد وصلتَ ذلك بكفاية حسنة ، وأثرٍ صالح ، وأمورٍ أقلّ منها يزيد في الثقة بك ، وإنّي لأرجو أن يسرَّكَ الله به إن شاء الله ، ووافت الأموال حاجةً منا إليها ... "[4] ، فقد وظّف الكاتب جملة من المؤكدات ؛ لتأكيد حسن ظنه بالمخاطَب وثقته به في حمل الأموال وحفظها ، منها قوله : (فبالله لئن كنّا قدّمنا حسن الظن بك لقد وصلت) فقد أكّده بالقسم (الله) واللام الزائدة ، وبـ (إنْ) المؤكدة في (لئن) ، واللام الواقعة في جواب القسم (لقد) ، و (قد) التي تفيد التحقيق .

---

(1) البخلاء : 33 .

(2) زهر الآداب : 615/2 .

(3) أمراء البيان : 202/1 .

(4) جمهرة رسائل العرب : 165/4 .

وقوله في النصّ نفسه : (وإنّي لأرجو) فقد أكّد النصّ بـ (إنّ) المؤكدة ، واللام الزائدة المتصلة بضمير (إنّ) في قوله : (لأرجو) .

ونلمس هذه الزيادة في رسائل الجاحظ ، من ذلك قوله في رسالة (التربيع والتدوير) : " ... ولَعَمري إنّ العيون لَتُخطي ، وإنّ الحواسّ لتكذب ... "[1] ، يشير الكاتب هنا إلى خطأ العيون في الرؤية ، وكذب إدراك الحواس ، وابتعادها عن الحكم القاطع ، والاستبانة الصحيحة ، والحُجّة الواضحة ، وأكّد نظرته هذه بثلاثة مؤكدات هي : القسم بـ (لعمري) ، وبـ (إنّ) المؤكدة ، واللام الزائدة الواقعة في خبر (إنّ) في قوله : (لتخطي) ، (لتكذب) .

وقال الجاحظ في رسالة (الأوطان والبلدان) : " ... ولولا ما يجب من تقديم ما قدّم الله ، وتأخير ما أخّر لكان الغالب على النفوس ذِكر الأوطان وموقعها من قلب الإنسان ... "[2] ، قوله : (لكان) اللام زائدة واقعة في جواب (لولا) ؛ للتأكيد والمبالغة في حبّ الوطن ومركزيته في القلب ، فلولا شرائع الخالق لتصدّر الوطن أعمال المسلم وواجباته .

وقال ابن المعتز في رسالة شوق : " إنّي لآسف على كلّ يومٍ فارغ منكَ ... "[3] ، قوله : (لآسف) وردت (اللام) زائدة مؤكدة واقعة في خبر (إنّ) ؛ لتأكيد أسفه لفراق محبوبه ، وابتعاده عنه .

وقال الكاتب نفسه في فِراق : " كأنّ الدهرَ أبخل من أن يُملّيني بكَ ، وأنكد من أن يُسوّغني قُربك ، وإنّي له لصابر إلاّ على فقدِكَ ... "[4] ، قوله : (لصابر) وردت (اللام) زائدة مؤكدة متصلة بخبر (إنّ) ؛ لتأكيد صبره على مرارة الدهر وبخله إلاّ أنّه لا يستطيع الصبر على فقدان محبوبه .

---

(1) التربيع والتدوير : 19 .

(2) رسائل الجاحظ : 110/4 .

(3) الأوراق ، قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 292/2 .

(4) المصدر نفسه : 293/2 .

وقال ابن المعتز أيضًا : " ولئن استبطأنا إجابة دُعائنا ، لقد سددنا طُرقه بذنوبنا "[1] ، قوله : (لئن) اللام زائدة موطئة مُدغمة مع (إنْ) الشرطية ، وقوله : (لقد) اللام زائدة واقعة في جواب (لئن) ، و (قد) حرف تحقيق زائد ؛ للتأكيد على أنّ عدم استجابة الدعاء أحيانًا قد يحمل الإنسان على السلوك الملتوي لتحقيق رغباته .

ب- الزيادة بألفاظ التوكيد المعنوي :

تتحقق هذه الزيادة بذكر ألفاظ مختصّة بعد الاسم المؤكَّد ، وهي : النفس ، والعين ، وكلا ، وكلتا ، وكلّ ، وعامّة ، وكافة ، وجميع ، وأجمعون ، وجمعاء ، على أن يتصل بها ضمير يعود على الموكَّد[2] ، وحذف هذه الألفاظ من النصّ لا يُحدث إخلالاً بالمعنى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها كتاب أحمد بن يوسف الكاتب إلى عبد الله بن طاهر يُعزّيه بأبيه : " ... أحبّ أن لا أفتح تعزيتك برسولٍ ولا كتابٍ دون الشخوص إليك بنفسي لو أمكنني المسير ... "[3] ، قوله : (بنفسي) توكيد معنوي ، و (الياء) ضمير يعود على المتكلم وهو الكاتب ، ويمكن حذف هذا المؤكِّد المعنوي من دون أن يُحدث التباسًا للمعنى ، فيكون الكلام : (أحبّ أن لا أفتح تعزيتك برسولٍ ولا كتابٍ دون الشخوص إليك لو أمكنني المسير) ، أي أنّ عجز الكاتب عن المسير حال بينه وبين إجراء مراسيم العزاء من دون حاجة إلى كتاب أو رسول ؛ لعظمة مصيبة صاحبه ، ولما يحمل له من منزلة رفيعة في نفسه .

كما وردت هذه الزيادة عند ابن الزيات بقوله : " ليس من نعمةٍ يُحدّها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصّة إلاّ اتّصلت برعيته عامّة ، وشَمِلَت المسلمين كافة ، وعَظُمَ بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم شكره عليها ... "[4] ، فورد هنا أكثر من

---

(1) رسائل ابن المعتز : 65 .
(2) ينظر : شرح المفصّل : 42/3 .
(3) جمهرة رسائل العرب : 418/3 .
(4) العقد الفريد : 226/4 .

مؤكِّد معنوي ، فجاء التوكيد في قوله : (عامة) توكيدًا معنويًا أفاد رفع توهم عدم إرادة شمول جميع الرعية بالنعمة ، أمّا قوله : (كافة) فهو توكيد معنوي أفاد شمول جميع المسلمين بهذه النعمة ، وحذف هذه المؤكدات لا يُحدث إرباكًا للمعنى ، فيكون الكلام : (ليس من نعمةٍ يحدّها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصّة إلاّ اتّصلت برعيته ، وشَمِلَت المسلمين ، وعَظُمَ بلاء الله عندهم فيها) .

وكتب إبراهيم بن العباس الصّولي يُعزي طاهر بن عبد الله قائلاً : " ... فليكن الله ﴿ﷻ﴾ ، وما أطعته به ، وقدّمتَ حقّه فيه ، أولى بك في الأمور كلّها ، فإنّك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته ، يُحسن ولايتك في توفيقك لشكر نِعَمه عندك "[1] ، قوله : (كلّها) توكيد معنوي أكّد به قوله : (الأمور) ، وقد أفاد هذا التوكيد العموم والشمول ، أي أنّ الله ﴿ﷻ﴾ هو أولى بطاعتك وعهدك وإخلاصك ، وحبّك وإيمانك ، وفي جميع أمورك ، فإنّك إن شركتَ الله تعالى في السرّاء والضرّاء وجدتَ منه النصر والتوفيق لشكر نِعَمِهِ عندك ، وعند حذف هذا المؤكّد المعنوي – كلّها – يكون الكلام : (فليكن الله ﴿ﷻ﴾ ، وما أطعته به ، وقدّمتَ حقّه فيه ، أولى بك في الأمور ، فإنّك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته ، يُحسن ولايتك) .

وكتب الصّولي في التعزية أيضًا : " ... فاجعل ذلك أولى ما عزّاك عن مصائبك ، وقدّمتَ في الشكر في حقّ الله عنك ، واستصحبْ في أمورِكَ كلّها نيّة الشاكر عند النعمة ، والراضي عند المحنة ... "[2] ، فالكاتب يشير إلى الصبر على الرزية ، والإيمان بقضاء الله وقدره ، والاتّكال على الخالق في جميع الأمور فإنّه إذا شكر المخلوق النعمة ، ورَضِيَ بالمحنة فسيجد الإحسان والتوفيق منه تعالى ، وقد وظّف لفظ التوكيد المعنوي (كلّها) ؛ لإفادة الإحاطة والعموم لـ (أمور) الإنسان ، وعند حذف المؤكد المعنوي ، يكون الكلام : (فاستصحب في أمورِك نيّة الشاكر عند النعمة ، والراضي عند المِحنة) ، وقال الصّولي أيضًا : " أنا والله أحبّ أن يكون الناس جميعًا أخواني ، ولكنّي لا آخذ منهم إلاّ من أُطيق قضاء حقّه "[3] ، قوله :

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 159/4 .

(2) المصدر نفسه : 160/4 .

(3) أمراء البيان : 271/1 .

(جميعًا) توكيد معنوي أكّد به قوله : (الناس) ، وأفاد شمول جميع الناس بمحبته ولكنّه لا يصاحب منهم إلاّ من يستطيع إيفاء حقّه وإلاّ استحالوا أعداء ، وعند حذف هذا المؤكِّد يكون الكلام : (أنا والله أحبّ أن يكون الناس أخواني) .

ونلمس هذه الزيادة في رسائل الجاحظ ، منها قوله في رسالة (مناقب الترك) : " ... ثمّ أعلمتني بذلك أنّك بنفسِكَ بدأتَ في تعظيم إمامِكَ ، والحفظ لمناقب أنصار خليفتِكَ ... "[1] ، قوله : (بنفسِك) توكيد معنوي ، أكّد به المخاطب المتمثل بـ (الكاف) الواقع موقع اسم (أنّ) ، أي هو من بدأ بطاعة إمامه ومؤازرته والنصرة له على أعدائه ، وحذف المؤكّد لا يُربك المعنى ، فيكون الكلام : (ثمّ أعمتني بذلك أنّك بدأتَ بتعظيم إمامِكَ) .

وقال أيضًا في الرسالة نفسها : " ... الصّبر ضروب ، فأكرمها كلّها الصبر على إفشاء السرّ ... "[2] ، فـ (كلّها) توكيد معنوي أفاد شمول جميع أنواع الصبر ، أي أنّ أكرم هذه الأنواع وأعظمها هو الصبر على حفظ السرّ ، وعدم إفشائه للآخرين .

ومثله قول الجاحظ في رسالة (المعاش والمعاد) : " ... وإنّي عرفتُكَ – أكرمك الله – في أيام الحداثة ، وحيث سلطان اللهو المُخْلَق للأعراض أغلب على نُظرائِكَ ، وسُكر الشباب والجِدَّة* المتحيّفين للدين والمروءة مستولٍ على لِدَاتك أنت وهم ببسطة المقدرة ... مع ما تقدّمتهم فيه من الوسامة في الصورة ، والجمال في الهيئة ، وهذه كلّها أسباب توجب الانقياد للهوى ... "[3] ، قوله : (كلّها) توكيد معنوي لاسم الإشارة (هذه) والذي يعني بها الأسباب المتقدّمة الذكر ، وعند حذف هذا المؤكّد يكون الكلام : (وهذه أسباب توجب الانقياد للهوى) ، فالكاتب يشير إلى مرحلة من المراحل التي تمرّ بها دورة حياة الإنسان ، وهي مرحلة الصِّبا ، حيث اللهو وسكرة الشباب ، والمتعة والغِنى ، واستعباد الشهوات ، فهذه الأسباب تحمل

---

(1) رسائل الجاحظ : 8/1 .

(2) المصدر نفسه : 23/1 .

* الجدة : السعة والغنى ، ينظر : لسان العرب (جدى) .

(3) رسائل الجاحظ : 91/1 .

الإنسان على اتّباع هواه وملذاته ، وتحيده عن طريق الصواب ، ومِنْ ثَمَّ الوقوع في المهالك .

وقال الجاحظ في رسالة (فخر السودان على البيضان) : " ... وقد عَلِمنا أنّ الله ﴿ﷻ﴾ بعث نبيه إلى الناس كافة ، وإلى العرب والعجم جميعًا "[1] ، فالنبي ﴿ﷺ﴾ بُعِثَ إلى الناس جميعًا بشيرًا ونذيرًا ، فلم يقتصر على فئة من دون أخرى ، أو طائفة من دون أخرى ، وقد أكّد الكاتب ذلك من خلال التوكيد المعنوي في قوله : (كافة) ، (جميعًا) .

ونظير ذلك قول الكاتب نفسه في رسالة (حجج النبوة) : " ... فسبحانه وتعالى ، ما أحسن ما أبلى وأولى ، وأحكم ما صَنَعَ ، وأتقنَ ما دبّر ؛ لأنّ الناس لو رَغِبُوا كلّهم عار الحياكة لبقينا عُراة ، ولو رغبوا بأجمعهم عن كدِّ البناء لبقينا بالعراء ، ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الأقوات ... "[2] ، يشير الكاتب إلى أنّ الخالق أراد أن يجعل اختلاف الناس في طبائعهم وأشكالهم ورغباتهم سببًا لاتّفاقهم وائتلافهم ، فمثلاً منهم من يريد حياكة الملابس ، ومنهم من يرغب عنها ، ومنهم من يريد ممارسة البناء ، ومنهم من يرغب عنه ، وهناك من يريد ممارسة حرفة الزراعة ، ومنهم من يرغب عنها وهكذا ، فلو رَغِبَ الناس جميعًا عن ممارسة أيّ حِرفة من هذه الحِرف لذهبت عنّا إحدى المستلزمات الحياتية من مأكل أو ملبس أو مسكن ، وجاء التوكيد المعنوي هنا في قوله : (كلّهم) ، (أجمعهم) حيث أفاد توكيد (الناس) .

ونلمس هذه الزيادة في قول ابن المدبّر في (الرسالة العذراء) : " ... والمعاني كلّها متمثلة والكلام مُشبِعًا ولكن سياسته صعبة وتأليفه شديد إلاّ على جهابذته وفرسانه أُمراء الكلام يصرفونه كما شاءوا ... "[3] , قوله (كلها) توكيد معنوي للـ (المعاني) ,أي يشمل جميع المعاني دون الاقتصار على معنى دون آخر , وعند حذفه يكون الكلام : (والمعاني متمثلة والكلام مُشبع ...) , أي أنَّ المعاني متوافرة لدى الكاتب أو الشاعر , والكلام كثيرٌ لديهم , ولكن تأليفه صعب , أي مُشاكلة

---

(1) رسائل الجاحظ : 210/1 .

(2) المصدر نفسه : 243/3 .

(3) الرسالة العذراء : 39 .

اللفظ للمعنى المقصود دون الإخلال به , وقد قصر معرفته على البلغاء الذين يصرفون المعنى كيف شاءوا من اللفظ في حُسنِ منطقٍ وجودة لفظٍ للدلالة على ذلك المعنى , فالكاتب من أنصار اللفظ على المعنى .

وقال الكاتب نفسه في الرسالة نفسها : " ... والدال على المعنى أربعة أصناف : لفظ , وإشارة , وعَقْد , وخط , وذكر ارسطا طاليس خامسًا وهي التي تُسمى النّصْبة ... وأوضح هذه الدلائل صنفان : وهما اللسان والقلم , كلاهما يترجمان ويدلان على القلب , ويستمليان منه , ويؤديان عنه مالا تؤدي هذه الأصناف الباقية ... "[1] , قوله (كلاهما) توكيد معنوي لـ (اللسان والقلم) وعند حذف هذا المؤكّدِ يكون تقدير الكلام : (اللسان والقلم يترجمان ويدلان على المعنى ...) , فقد أشار الكاتب إلى أنَّ الدلالة على المعنى تكون في خمسة أصناف وهي اللفظ , والإشارة , والعقد , والخط , والنّصبة , وجعل أوضح هذه الأصناف في دلالته على المعنى اللسان والقلم – أي اللفظ والخط – فهما يدلان على المعنى , ويكشفان عن مكنون القلب أكثر من باقي الأصناف الأُخرى أي الإشارة والعقد والنّصبة .

وكتب ابن المعتز في رسالة تعزية : " ... فجعل الله الخلف للوزير من الماضي طول عمر الباقي ، وحرسه من المكاره كلّها وكفاه وكفانا فيه "[2] ، فقوله : (كلّها) توكيد معنوي لقوله : (المكاره) ، وحذف هذا المؤكِّد لا يؤثر في المعنى ، فيكون الكلام : (فجعل الله الخلف للوزير من الماضي طول عمر الباقي ، وحرمته من المكاره ، وكفانا وكفاه فيه) ، فالنصّ ينطوي على التعزية والدعاء للوزير بالثواب وطول العمر ، وأن يحرسه من كلّ أنواع المكاره .

---

(1) المصدر نفسه : 40 ، وأصل هذا الكلام يعود للجاحظ ، فالكاتب ذكره من دون الإشارة إلى صاحبه ، ينظر : البيان والتبيين : 70/1 .

(2) رسائل ابن المعتز : 49 .

المبحث الثاني
التَّكرار

يُعدُّ التكرار من السمات الأسلوبية الواضحة التي وظّفها كُتّاب القرن الثالث الهجري ، والتّكرار عند علماء اللغة هو الرجوع ، يقال : كرّرتُ عليه الحديث : إذا رَدَّدتُهُ عليه[1] ، وفي اصطلاح البلاغيين هو : " دلالة اللفظ على المعنى مُردّدًا "[2] ، وأشار إليه السجلماسي بقوله : " هو بِنيةُ مبالغةٍ وتكثير "[3] ، كما حدّه ابن معصوم المدني بقوله : " وهو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة "[4] .

أمّا مفهوم التكرار في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة ، فإنّه يحمل دلالة نفسية قيّمة للكاتب أو الشاعر ، بدلالة قول نازك الملائكة : " يُسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة ، تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ، ويحلل نفسية كاتبه "[5] .

ونظير هذا الرأي قول الدكتور نعمة رحيم العزاوي : " فَهِمَ النقاد المحدثون التكرار ، وعدّوه مفتاحًا للفكرة المتسلطة على المنشئ ، أو أحد الأضواء التي تنير لنا جانبًا من أعماقه ، فعنوا به وصرفوا إليه اهتمامهم ، فخرجوا من درسه بنتائج مهمة يتعلّق بعضها بالفن ، وبعضها بالمنشئ "[6] .

أمّا علي الجندي فأشار إلى التكرار بأنّه ترديد صيغ لفظية وأساليب لغوية معينة لأكثر من مرّة في سياق النصّ ، بهدف خلق تناسقٍ موسيقي يجذب المتلقي

---

(1) ينظر : لسان العرب (كرر) .
(2) المثل السائر : 345/2 ، وينظر : الجامع الكبير : 204 .
(3) المنزع البديع : 476 .
(4) أنوار الربيع في أنواع البديع : 345/5 .
(5) قضايا الشعر المعاصر : 276 .
(6) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري : 266 .

ويعجبه على أن يكون له ارتباط وثيق بالمعنى ، فيكون له دور في الإيقاع والدلالة ؛ لتأكيد غرض من أغراض الكلام ، أو المبالغة فيه[1] .

وقد ذهب الدكتور ماهر مهدي هلال إلى هذا المعنى بقوله : " تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير ، بحيث تشكل نغمًا موسيقيًا يتقصده الناظم في شعره أو نثره "[2] .

أمّا الدكتور غانم جواد فيرى أنّ التكرار "هو أحد أساليب التعبير المهمة ، والذي يمكن أن يُثري المعنى ويُغنيه ويرفعه إلى أعلى درجات التأثير والإمتاع والأصالة ، ولكي يحقق التكرار وظيفته الفنية في النصّ الأدبي ، ويسمو به إلى مرتبة الإبداع والحذق الفني ، لا بدَّ من أن يستخدمه الأديب الفنان في موضعه المناسب من النصّ "[3] .

وأكدت الدراسات النقدية الحديثة أنّ التكرار هو من أبرز الظواهر الخالقة لشعرية الصوت ؛ لما يمتلكه من تنغيم مزدوج داخلي وخارجي ، ذي تأثير واضح في نفسية المتلقي ؛ ولما يُفصح عنه من (تركز دال) على أهمية (المكرّر) وفاعليته الإيحائية[4] ، وفي النثر الفني للقرن الثالث الهجري يلقي التكرار هذه الأهمية والعناية الظاهرة .

وقد أدرك النقاد والبلاغيون العرب القيمة البيانية للتكرار ، وعبروا عن ذلك بوضوح ، وألمحوا إلى أنّها من دقائق التعبير التي لا تَسلم قيادها إلى كلّ أحدٍ إلاّ من كان له ذوق أدبي رفيع ، ومعايشة لطرائق العرب في التعبير ودربة بها[5] .

وقد شاع هذا اللون من أساليب التعبير كثيرًا في كتابات القرن الثالث ؛ نظرًا لثقافتهم العالية ، وعلمهم بأسرار العربية ، والعناية بديباج كتاباتهم ، فيعمدون إلى

---

(1) ينظر : البلاغة الفنية : 201 – 217 .

(2) جرس الألفاظ ودلالاتها : 239 .

(3) الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة : 437 .

(4) ينظر : المستويات الجمالية في نهج البلاغة : 64 .

(5) ينظر : دراسات أسلوبية وبلاغية : 10 .

تكرار حرف معين ، أو اسم ، أو فعل ، أو جملة ، وعلى هذا يمكن تقسيم التكرار عندهم على النحو الآتي :

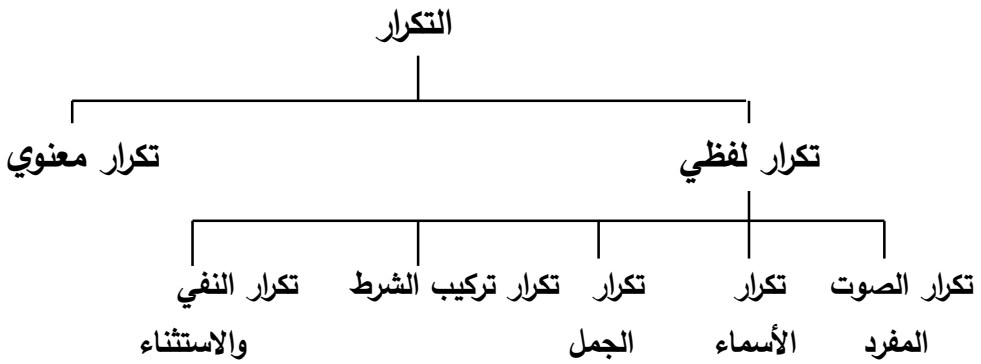

أ- التكرار اللفظي

للتكرار اللفظي في الجملة أو النصّ قيمة صوتية عالية ؛ لأنّه يتصل بالإطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية الدنيا ، وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية[1] ، ويترك التكرار الصوتي أثرًا جماليًا نابعًا من فنية تكرار الألفاظ على نسق تعبيري مُعيّن ، ويتخذ من الاتّكاء على تكرار المقاطع المكونة لبِنية اللفظة أساسًا لإحداث هذا الإيقاع ، وإدراك بِنية التكرار كوحدة متلاحمة الأجزاء ذات بناء نسيجي موحد[2] .

ووظّف كُتّاب القرن الثالث التكرار اللفظي ؛ لخلق الجوّ الموحي المؤثر ، إذ إنّ أهمّ بواعث التكرار هو الباعث النفسي[3] ، حيث تلح دلالة كلمة من الكلمات على فكر الكاتب وقلمه لتتكور داخل النصّ مُسْبِغة عليه دلالات وتأكيدات[4] ، وجيء بالتكرار لإحداث تأثير معين لدى المتلقي عِبر طرق كثيرة :

---

(1) ينظر : خصائص الأسلوب في الشوقيات : 73 .
(2) ينظر : جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم : 385 .
(3) ينظر : جرس الألفاظ ودلالاتها : 240 .
(4) ينظر : كتاب الإشارات الإلهية ، لأبي حيان التوحيدي ، دراسة أسلوبية : 21 .

1- تكرار الصوت المفرد

إنّ الاتّكاء على تكرار حرف معيّن إنّما تنعقد مقصديته على سياقات دلالية يؤديها هذا الحرف فيما يُسمى (التداعي الصوتي) الذي يتمثل في الاتّكاء على حرف بعينه ؛ ليتردد بصفة منتظمة في مجموعة الدوال المُتجاورة ؛ ليحكم علاقتها صوتيًا[1] ، فتردد بعض الحروف يُكسب النصّ الأدبي لونًا من الموسيقى تستريح فيه الآذان ، وتُقبل عليه ، وهذا ما يحدث في الموسيقى حيث تتردد فيها أنغام بعينها في مواضع خاصّة من اللحن ، فيزيدها هذا التردد جمالاً وحسنًا[2] .

فالتكرار هنا يؤدي إلى التوضيح وكسب السامع وجذبه لتقرير المعاني التي يثيرها النصّ في المتلقي[3] ، إذن فتكرار صوت معيّن له دلالات نفسية مرتبطة بخلجات الكاتب من ألمٍ وحزنٍ وحلاوة ومرارة ، أي يُعبر عن حالاته الشعورية ، ويكشف عن انفعالاته ، والتنظيم الصوتي للنثر يحتلّ مكانًا لا يقلّ أهمية عن التنظيم الصوتي للشعر[4] .

ومن نماذج هذا (التداعي الصوتي) ما نلمسه في قول سهل بن هارون : " بلغني خبر الفترة في إلمامها وانحسارها ، والشكاة في حلولها وارتحالها ، فكاد يشغل القلق بأوّله عن السكون لآخره ، وتذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه ، وكان تغيّري في الحالين بقدرهما : ارتياعًا للأولى ، وارتياحًا للأخرى "[5] .

إنّ البِنية اللغوية للنصّ تكشف عن هيمنة واضحة لصوتي : (الراء والهاء) فصوت (الراء) تكرر (إحدى عشرة مرّة) ، أمّا صوت (الهاء) فتكرّر (عشر مرات) يتميز صوت (الراء) بالشدّة فهو صوت لثوي مجهور ، أمّا صوت (الهاء) فهو

---

(1) ينظر : جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم : 382 .
(2) ينظر : موسيقى الشعر : 41 .
(3) ينظر : عبد الملك بن مروان ناقدًا : 100 .
(4) ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي : 74 .
(5) سرح العيون : 245 .

صوت حَنْجَري مهموس[1] ، فهذا يوحي بحالة الكاتب غير المستقرة ، فهو تارةً يشعر بالحيرة والحزن لضيق صاحبه ، وتارةً أخرى يشعر بالارتياح لسكونه .

ونظير هذا التكرار قول عمرو بن مسعدة في تهنئة بمولود : " فإنّ هبة الله لك هبةٌ لأمير المؤمنين ، وزيادته إيّاك في عددِكَ زيادةٌ له في عددِهِ ؛ لمَحَلِّكَ عنده ، ومكانِكَ من دولته ، وقد بلغ أمير المؤمنين أنّ الله وهب لك غلامًا سَريًّا ، فبارك الله لك فيه ، وجعله بارًّا تقيًّا ، مباركًا سعيدًا زكيًّا "[2] ، يمكن أن نلحظ في هذا النصّ القصير تكرارًا مميزًا لصوتي : (الهاء والكاف) فصوت (الهاء) تكرر (اثنتي عشرة مرّة) ، وصوت (الكاف) تكرر (إحدى عشرة مرّة) ، وكلاهما صوت مهموس[3] ، وهذا يعبر عن ارتياح الكاتب وسروره بالمولود الجديد .

وجاء هذا اللون من التكرار عند الجاحظ في رسالة (حجج النبوة) ، إذ قال فيها : " ... أنّا لم نرَ ولم نسمع لأحدٍ قطّ كصَبرِهِ ، ولا كحِلمِهِ ، ولا كوفائِهِ ، ولا كزُهدِهِ ، ولا كجودِهِ ، ولا كنجدتِهِ ، ولا كصدق لهجتِهِ ، وكرم عشرتِهِ ، ولا كتواضعِهِ ، ولا كعِلْمِهِ ، ولا كحِفظِهِ ، ولا كصمتِهِ إذا صمت ، ولا كقولِهِ إذا قال ، ولا كعجيب منشئِهِ ، ولا كقلّة تلونِهِ ، ولا كعفوِهِ ، ولا كدوامِ طريقتِهِ ... "[4] .

فقد كرّر صوت (اللام) هنا (ستًا وعشرين مرّة) ، وهو صوت لثوي مجهور[5] ، وكرّر الكاف أكثر من (سبع عشر مرّة) ، وهو من الأحرف المهموسة الشديدة الانفجارية[6] ، وهذا تعبير عن مدى انبهار الكاتب وتعجبه من الصفات العظيمة التي يتمتع بها رسولنا الأعظم ﷺ ، والتي تميزه من سائر الخلق ، فالكاتب يجهر بصوته للملأ جميعًا بأنّه ليس كمثله شيء سواءً في صبره ، أم في حِلمه ، أم وفائه ، أم زهده ، أم جوده ، أم نجدته ، وصدق لهجته ، وكرم عشرته ، ولا أحد يشبهه في

---

(1) ينظر : علم الأصوات اللغوية : 72 ، 88 ، ودراسة الصوت اللغوي : 324 .

(2) جمهرة رسائل العرب : 429/3 .

(3) ينظر : موسيقى الشعر : 31 .

(4) رسائل الجاحظ : 280/3 – 281 .

(5) ينظر : جرس الألفاظ ودلالاتها : 136 .

(6) ينظر : المصدر نفسه : 137 .

تواضعه ، أو حفظه ، أو صمته ، أو قوله ، أو عجيب منشئه ، أو قلّة تلونه ، أو عفوه ، أو دوام طريقته .

وكتب سعيد بن حميد في رسالة تعزية : " ليس المُعزِّي على سلوك السبيل التي سلكها الناس قبله ، والمُضي على السّنة التي سنّها صالحو السّلف ... "[1] ، تكرر صوت (السين) في هذا النصّ (إحدى عشرة مرة) ، وهو صوت صفيري يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان ، فينحصر الصوت مولدًا ذلك الصفير ، مع كونه صوتًا مهموسًا رخوًا[2] ، فقد أسهم هذا الصوت في خلق إيقاعٍ متميّز في النصّ ، وكشف عن إحساس الكاتب ، وما يحمله من مشاعر الألم والحزن للمعزّى .

ويظهر أيضًا هذا (التداعي الصوتي) في قول ابن المعتز في ذمّ : " ذكرتَ حاجةَ فلان ، لا فَصَّلها الله بالنجاح ، ولا يسّر بابها الانفتاح ، ووصفتَ عذرًا له ، نصح به غير نفسِهِ ، وما نصح عنها ، ولكنّه نصح عليها ، وأنا والله أصوّبك عنه ، وأنصح لك فيه ، فإنّه خبيث النيّة ... "[3] ، فكرّر الكاتب هنا صوت (الصاد) (ثماني مرات) ، فهو صوت أسناني لثوي ، مهموس مُفَخم[4] ، فنلحظ الخفاء في أمرين : الأول : الحاجة لم يُصرّح لها ، والآخر : فلأنّ لم يسمّه صراحة ، فناسب الخفاء باستعمال صوت مهموس ، وأراد أن يجعل ذمّه مهولاً جاء بصوت مُفخم فكان صوت (الصاد) الذي يجمع الصفتين ، وعمد إلى تكراره ليحقق مبدأ التراكم الموحي ، فالكاتب يُطبق أسنانه ويُفَخِّم صوته للتعبير عن حالة غضبه وانفعاله إزاء من يذمّه ، فموقع الصوت له ارتباط وثيق بدلالة النصّ ، سواء أكان سرورًا أم حزنًا أم غضبًا أم تعجبًا .

2- تكرار الأسماء

حَظِيَ هذا اللون من التكرار بحضور متميز في كتابات القرن الثالث الهجري ؛ لما له من فائدة في تعزيز معنى النصّ وتأكيده .

---

(1) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 94 .

(2) ينظر : موسيقى الشعر : 30 .

(3) الأوراق قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 291/2 .

(4) ينظر : علم الأصوات اللغوية : 68 .

ومن نماذجه قول إبراهيم بن العباس الصولي لغلامٍ يكتب بين يديه : " ليكن قلمُكَ صلبًا بين الدقة والغلظ ، ولا تبره عند عقده ، ولا تجعلنّ في أنبوبه أنبوبةً ، ولا /تكتبنّ بقلمٍ ملتوٍ ، ولا ذي شقٍّ غير مستوٍ ، واختر من الأقلام ما يضرب إلى السُّمرة ، وأحدَّ سكينَكَ ، ولا تستعملها لغير قلمك ، وتعده بالإصلاح يصلح ، وليكن مقطّك صلبًا ليمضي الخطّ مستويًا لا مستطيلاً ، وأبر قلمَكَ بين التحريف والاستواء ، وإذا كتبت الدقيق فأمل قلمَكَ إلى إقامة الحروف لإشباع الخط ، وإذا جللت فإلى التحريف ، واعلم أنّ تبطين القلم شؤم ، وتحريفه حرف ، وهام دمار الخطّ ، واعلم أنّ وزن الخطّ مثل وزن القراءة ، فأجود الخطّ أبينُهُ ، كما أنّ أحمد القراءة أبينها "[1] .

فالكاتب يوصي غلامَهُ بإصلاح الخط وآلته ، فقد كرر آلة الخطّ (القلم) (سبع مرات) ؛ لأهميته فهو موضوع الرسالة ، وهو أساس الخطّ السليم والقراءة الصحيحة ، كما كرّر لفظ (الخطّ) (خمس مرات) ؛ للأهمية القصوى التي يتمتع بها ، وهو الناتج الأول عن الآلة (القلم) ، فحسن الخطّ يؤدي إلى حسن البيان ، كما أنّ حسن الخط أحيانًا يدعو الناظر إلى أن يقرأه حتى وإن اشتمل على لفظ مرذول ، ومعنى مجهول[2] ؛ ولهذا جاء تكرار لفظة (التحريف) (ثلاث مرات) ، فقد يشتمل التحريف على حسن الخطّ ، وجودة البيان ، مما قد يجذب المتلقي نحوه ، وجاء تكرار لفظة (القراءة) (مرتين) في النصّ ، فقد أعطاها الكاتب أهمية مثل أهمية الخطّ ، فجودة الخطّ تكون ببيانه ووضوحه ، كذلك فإنّ القراءة الجيدة تكون ببيانها ووضوح مخارج أصواتها وإعطاء كلّ حرفٍ حقّه في النطق .

وكتب الصولي أيضًا كتاب تعزية إلى طاهر بن عبد الله ، قال فيه : " ... وأمير المؤمنين يُعزّي نفسه عن إسحاق بما سبق من اختيار الله له في مثله من أوليائه وذوي إخائه ، ثمّ يُعزيك عنه إذا كانت مصيبتك به أوْلَى مصائبك بان تُرْمِضَكَ* جلالةً وموقعًا ، وأولى مصائبك بأن يُعزيك فيها إذ كنت منها بين ثواب الله ورضا خليفته ، ولو استغنى ذو نازلة ومصيبةٍ عند أمير المؤمنين عن تعزيته

(1) أدب الكتاب : 47/1 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 32/1 .

بفضل ما جعله الله عنده ، كنتَ بما منحك الله من ذلك غنيًا ، ولولا أنّ أمير المؤمنين أوجب لك حقّ التعزية لكان في علمِهِ ما أغناه عن تناولك بها ... "[1] .

فقد كرّر الكاتب لفظة (المصيبة) (أربع مرات) ؛ لتقوية دلالة الألم والحزن في النصّ والإلحاح عليها ، فإنّ المقام هو مقام تعزية في مُصيبة ، فجاء تكرار هذه اللفظة لتأكيد هذا المقام ، فيتمحور النصّ حول هذه الفاجعة ، وما تركتْهُ من شجنٍ في نفس المُعَزَّى والمُعَزّي .

ونظير هذا اللون من التكرار نلمسه في رسائل الجاحظ ، ومنها رسالة (التربيع والتدوير) التي قال فيها : " ... وكيف يُعرف السّبب من يجهل المُسبب ، وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل ، بل كيف يعرف الحجة من الشبهة ، والعذر من الحيلة ، والواجب من الممكن ... "[2] ، كرّر اسم الاستفهام (كيف) ثلاث مرات بصورة متناسقة ، فكان له الأثر في إحداث إيقاع صوتي متوازن داخل النصّ ، ومِنْ ثَمَّ أحدث أثرًا في نفس متلقيه ، وأشعر بقوّة التعجب والسخرية التي وجهها الكاتب إلى المخاطب .

فهذا تكرار مقصود من الكاتب لنعت المخاطب (أحمد بن عبد الوهاب) بالجهل وعدم إدراكه لطبيعة الأمور .

وقال الجاحظ في رسالة (حجج النبوة) : " ... وكيف يُشكر من لا يُقصد ، وكيف يُلام من لا يتعمّد ، وكيف يُقصد من لا يعلم ... "[3] ، جاء تكرار اسم الاستفهام (كيف) ؛ لإفادة التعجب من جهة ، ومتضمّنًا معنى النفي من جهة أخرى ، أي أنّه لا يُشكر من لا يَقصد أحدًا ، ولا يُلام من لا يتعمّد الأخطاءَ ، ولا يُقصد من لا علمَ له .

---

* أرمضه : أوجعه وأحرقه ، ينظر : أساس البلاغة (رَمَض) .

(1) جمهرة رسائل العرب : 162/4 .

(2) التربيع والتدوير : 16 .

(3) رسائل الجاحظ : 236/3 .

وقال الكاتب نفسه في الرسالة نفسها : " ... وإنّ سرور الجاهل لا يَحسنُ في جنب سرور العالم ، وإنّ لذة البهائم لا تَعشر * لذة الحكيم العالم ... "[1] ، فقد منح الكاتب اللفظة المكررة دلالة جديدة تختلف عن دلالته الأولى ، فلفظة (سرور) الأولى (أي سرور الجاهل) دلّت على الخطأ والمشقة والخذلان ، بينما دلّت الثانية (أي سرور العالم) على العزّ والرياسة والمعرفة وصواب الرأي ، وكذلك تكرار لفظة (لذّة) فدلالتها في قوله : (لذة البهائم) تشير إلى اللاعقل والوحشية والقسوة ، بينما دلالة (لذة الحكيم العالم) تشير إلى العقل والمعرفة والبحث والتفكّر .

3- تكرار الجمل

يُعدُّ هذا النمط من التكرار أكثر رونقًا في النصّ من أنماط التكرار الأخرى فهو يحقق الفائدة المعنوية ، والقيمة الجمالية الأسلوبية التي تُضفي على النصّ إيقاعًا متميّزًا ، كما أنّه يعمل على ترسيخ المراد في ذهن المتلقي من خلال الجرس المنبعث من تلك الجمل[2] .

فمن أمثلة هذا النوع التي وردت لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري قول سهل بن هارون في (البخل) : " ... عبتموني بقولي لخادمي أجيدي عجنَهُ خميرًا كما أجدتِهِ فطيرًا ... وعِبتم عليَّ قولي : من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص ، لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي ، وعبتموني حين ختمتُ على سدّ عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ، ومن رطبة غريبة ... وعبتموني حين قلت للغلام ... وعبتموني بخصف النعال ، وبتصدير القميص ... "[3] ، فقد قسّم الكاتب رسالتَهُ هذه على إحدى عشرة فقرة ، ناسب بينها من حيث الازدواج بين المقدمة والخاتمة لكلّ فقرة ، فيبدأ بتوازيه التركيبي من المفتتح (بالتكرار) ، عبتموني بقولي ، عبتم عليّ قولي ، عبتموني حين ، عبتموني بخصف ، عبتموني بأن قلتُ ، وهذه المقاطع مبنية على تعادل في الفقرات المزدوجة في تلازم موسيقي معتدل

---

* لا تعشر : لا تعادل ، ينظر : لسان العرب (عَثَر) .

(1) رسائل الجاحظ : 237/3 .

(2) ينظر : المظاهر البديعية في خطب الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ : 37 .

(3) البخلاء : 33 – 35 .

تمهيدًا للدخول إلى المحتوى[1] ، ويتخلل هذه الفقرات تكرار جمل القول في : قال ، قيل ، قلتُ ، ويقول ، فيبغي الكاتب من وراء هذا التكرار تحقيق غايتين : الأولى : صوتية متمثلة بتحقيق إيقاع موسيقي متوازٍ داخل النصّ ، والأخرى : دلالية ، أي تأكيد عتابه من خلال أسلوب احتجاجي جميل ردّ به على أبناء عمّه الذين ذمّوا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامَهُ في الكتب مع تقديمه الحجة القاطعة التي تؤيد مذهبه هذا .

ونلمس هذا التكرار في رسائل الجاحظ ، كقوله في رسالة (مناقب الترك) : " ... إنّ السيف إلى أنْ يتقلّدهُ مُتَقلِّد ، أو يضربُ به ضاربٌ قد مرَّ على أيدٍ كثيرة ، وعلى طبقات من الصُنَّاع كلّ واحدٍ منهم لا يعمل عملَ صاحبِهِ ، ولا يُحسنه ، ولا يُدّعيه ، ولا يُتكلّفه ؛ لأنّ الذي يُذيب حديد السيف ويُميعُهُ ، ويُصفّيه ويُهذبُهُ ، غير الذي يمدّهُ ويمطلُهُ ، والذي يمدّهُ ويمطلُهُ غير الذي يُطيعه ويُسوّي متنَهُ ويُقيم خَشِيبته ، والذي يُطيعُهُ ويسوّي متنَهُ غير الذي يسقيه ويُرهفه ، والذي يرهفه غير الذي يُركّب قبيعتَهُ ويستوثق من سِيلانِهِ ، والذي يعمل مسامير السّيلان وشارِبَي القبيعة ونصل السيف غير الذي ينحت خَشَبَ غمدِهِ ، والذي ينحت خشب غمدِهِ غير الذي يَدبغ جلدَهُ ، والذي يدبغ جلدَهُ غير الذي يُحلّيه ، والذي يُحلّيه ويُركّب نصلَهُ غير الذي يخرز صمائلَهُ ... "[2] ، فقد تكررت في النصّ طائفة من الجمل الفعلية في قوله : (يمدّه) ، (يمطله) ، (يطيعه) ، (يسوّي متنه) ، (يرهفه) ، (ينحت خشبَ غمدِهِ) ، (يدبغ جلدَهُ) ، (يُحلّيه) ، (يُركّب نصله) ، وتهدف القيمة البيانية لهذا التكرار إلى إقامة موازنة بين هذه المراحل التي تمرّ بها صناعة السيف ، فلكلّ مرحلة من هذه المراحل صُنّاعُها المختصون بها ، ولا تتعد إمكاناتهم وقدراتهم إلى غيرها .

وقال الجاحظ في رسالة (التربيع والتدوير) : " ... وقد عَلِمتُ أنّ عتابَكَ أشدّ من الصريمة ، وأنّ تأنيبَكَ أغلظ من العقوبة ، وأنّ منعَكَ إذا منعتَ في وزن إعطائكَ إذا أعطيتَ ، وأنّ عقابَكَ على حسب ثوابك ، وأنّ جزعي من حِرمانك في وزن

(1) ينظر : الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري : 51 .
(2) رسائل الجاحظ : 1/71 – 72 .

سروري بفوائدك ، وأنّ شين غضبك كزين رضاك ، وأنّ موت ذكري بانقطاع سببي منك كحياة ذكري مع اتّصال سببي بك ... "[1] ، فكرّر هنا الجملة الاسمية المسبوقة بـ (أنّ) ولم يكرر الجملة ذاتها .

أنَّ	اسمها	خبرها
أنَّ	عِتابَكَ	أشدُّ
أنَّ	تأنيبَكَ	أغلظُ
أنَّ	منعَكَ	في وزن
أنّ	عِقابَكَ	على حَسْب
أنَّ	جزعي	في وزن
أنَّ	شين	كزين
أنَّ	موتَ	كحياة

إنّ تكرار هذه الصيغة يمنح النصّ إيقاعًا داخليًا ، ومِنْ ثَمَّ يؤثر في إيقاعِهِ الخارجي ، فيمنح النصّ النثري جمالاً وروعةً يرجعان إلى قدرة الكاتب على الإبداع ، وقيمة التكرار البيانية في هذا النصّ تكمن في الاستهزاء والسخرية من المخاطب وهو (أحمد بن عبد الوهاب) .

وتكرر أيضًا هذا التركيب عند الكاتب نفسه في رسالة (الجدّ والهزل) ، قال فيها : " ... ثمَّ زَعمتَ أنّ حقَّك لا يؤدي إلى شُكْره ، وأنّ حقّي لا يُلزم حكمه ، وأنّ إحساني إساءَة ، وأنّ الصغير من ذنوبي كبيرٌ ، وأنّ اللّمم مني إصرارٌ ، وأنّ خطأي عمدٌ ، وأنّ عمدي كلّه كفرٌ ، وأنّ كفري يوجبُ القمع ... "[2] .

أنَّ	اسمها	خبرها

(1) التربيع والتدوير : 54 – 55 .

(2) رسائل الجاحظ : 274/1 – 275 .

أنَّ	حقّك	يؤدي
أنَّ	حقّي	يُلزم
أنَّ	إحساني	إساءة
أنَّ	الصغيرَ	كبيرٌ
أنَّ	اللّممَ	إصرارٌ
أنَّ	خطأي	عمدٌ
أنَّ	عمدي	كُفرٌ
أنَّ	كفري	يُوجب

فتكرار هذه الصيغة منح النصّ إيقاعًا متوازيًا يؤثر في نفس مُتلقّيه ، وقد ورد التكرار هنا في معرض التوجّع والألم من صاحبه ، والتعبير عن شدّة غضبه منه ، فقد أنكر حقّه ، ونعته بأنّ إحسانه إساءة ، وإنّ خطأه عمدٌ ، وعمدَهُ كفرٌ يوجب الإزالة .

4- تكرار تركيب الشرط

يُعدُّ الشرط ملمحًا أساسيًا من ملامح ترابط الجمل بعضها مع بعض ضمن السياق ، وذلك باعتماده على السبب والنتيجة يربطهما أحد قرائنها التي تحقّق الشرط[1] ، وتكرار الشرط ظاهرة بارزة لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري ، ويمكن أن نلمس هذا التكرار في قول إبراهيم بن العباس الصولي في (الإخاء) : " وليس ينبغي لك أن تؤاخي إلاّ الكريمَ الأخوة ... إنْ لَقِيَ صديقَكَ استزادَ لك في مودتِهِ ، وإن لَقِيَ عدوَّكَ كفَّ عنكَ من عاديتِهِ ، وإن رأيته ابتهجتَ ، وإن أتيته استرحتَ "[2] ، فتكررت هنا صيغة أسلوب الشرط على النحو الآتي :

---

(1) ينظر : معاني النحو : 45/4 – 46 .

(2) جمهرة رسائل العرب : 381/3 .

أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
إنْ	لَقِيَ	استزاد
إنْ	لَقِيَ	كفَّ
إنْ	رأيتَهُ	ابتهجتَ
إنْ	أتيتَهُ	استرحتَ

إنّ صيغة الشرط هنا قد أدّت دورًا بارزًا في الربط بين عناصر النصّ ، وإضفاء إيقاع موسيقي متناسق فضلاً عن تعزيز دلالة النصّ التي تنطوي على النصيحة في انتقاء الأخ الصادق الأخوّة ذلك الذي في رؤيته بهجة ، إذ يزيدك من مودتِهِ ويحفظ عهدَكَ في حضورِكَ وغيابِكَ ، ويكفّ يد العدو عنك ، فمن كانت هذه صفاته فهو أولى بأنْ يُتخذ أخًا مُقرّبًا .

ويبدو هذا التكرار واضحًا في كتابات الجاحظ ، منها قوله في رسالة (مناقب الترك) : " ... لو أنّ يأجوج ومأجوج كاثروا من وراء النهر منّا لظهروا عليهم بالعدد ... ولو أنّ خيول الأرض وفرسان جميع الأطراف جُمِعوا في حلبة واحدة لكُنّا أكثر في العيون ، وأهول في الصدور ... "[1] ، جاء تكرار الشرط على النحو الآتي :

أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
لو	أنّ يأجوج ومأجوج كاثروا	لظهروا
لو	إنّ خيول الأرض وفرسان جميع الأطراف جُمِعوا	لكُنّا أكثر في العيون

فقد أضفى التكرار هنا الحيوية والبهجة على النصّ من خلال خلق إيقاع متوازن داخل النصّ ، فضلاً عن استكمال فكرة النصّ في تعظيم شأن العرب وتفضيلهم على الأتراك ، ذلك أنّ العرب أكثر منهم في المادة وفي العدد والعُدّة ،

(1) رسائل الجاحظ : 1/18 – 19 .

وهم أكثر منهم قوّة ورباطة جأش ، فقوله : (لو أنّ يأجوج ومأجوج كاثروا من وراء النهر منّا لظهروا عليهم بالعدد) ، أي أنّ قوتهم تفوق قوّة يأجوج ومأجوج (وهما رمز للقوّة والجبروت) ، أمّا قوله : (ولو أنّ خيول الأرض وفرسان جميع الأطراف جُمِعوا في حلبة واحدة لكُنّا أكثر في العيون) ، أي أنّ عددهم يفوق عدد خيول الأرض وفرسان جميع الأطراف .

وقال الجاحظ في رسالة (حجج النبوة) : " ... إنّ الناس لو استغنوا عن التكرير ... لقلَّ اعتبارهم ، ومن قلَّ اعتباره قلَّ علمُهُ ، ومن قلَّ علمُهُ قلَّ فضلُهُ ، ومن قلَّ علمُهُ وفضله وكَثُرَ نقصُهُ لم يُحسد على خيرٍ أتاه ، ولا يُذمّ على شرٍّ جناه ، ولم يجد طعمَ العزِّ ... "[1] ، فجاء تكرار صيغة الشرط هنا على النحو الآتي :

أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
لو	استغنوا	لقلَّ
مَنْ	قلَّ	قلَّ
مَنْ	قلَّ	قلَّ
مَنْ	قلَّ	كَثُرَ
مَنْ	قلَّ	لم يُحمد

نلحظ في هذه الصيغة تكرار أداة الشرط (مَنْ) فضلاً عن ورود أداة الشرط (لو) مرّة واحدة ، كما نلمح في جملة فعل الشرط تكرار الفعل الماضي (قلَّ) في فقراته المختلفة باستثناء جملة (استغنوا) فقد وردت مرّة واحدة ، أمّا جملة جواب الشرط فقد تكرر الفعل الماضي (قلَّ) أكثر من مرّة ، مع ورود الفعل الماضي (كَثُرَ) مرّة واحدة ، كما ورد في النصّ الجواب المنفي في قوله : (لم يُحمد) فقد أفاد التنوع في إيقاع النصّ ، فجاءت القيمة البيانية لهذا التكرار في تقرير حال الإنسان وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة دونها ، ذلك أنّ انقطاع الإنسان عن استماع الأخبار ، وعن البحث والتفكر في تصحيح الآثار ، يقلل اعتباره ومقامه بين الناس ، والذي يقل

(1) رسائل الجاحظ : 236/3 .

اعتباره يقل علمه ومعرفته بالأشياء ، ومن قلّ علمه قلّ فضله ثمّ كَثُرَ نقصه ، ومن يكثر نقصه لا يجد شيئًا يُحمد له ، ولا يجد طعم العزّ والسرور وراحة النفس وهكذا ، فإنّ توقف الطالب عن البحث في الفنون والمعارف المختلفة ينقله من مرحلة إلى مرحلة أسوأ منها .

ووصف ابن المعتز بلاغة القرآن بقوله : " ... إنْ أوجز كان كافيًا ، وإن أكثرَ كان مذكِّرًا ، وإنْ أومأ كان مُقنعًا ، وإنْ أطالَ كان مُفهِمًا ، وإنْ أمرَ فناصحًا ، وإن حكم فعادلاً ، وإن أخبر فصادقًا ، وإنْ بيَّنَ فشافيًا ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ... "[1] ، فجاء تكرار صيغة الشرط بصورة متناسقة في النصّ ، مما يُعطي نغمًا متقطّعًا متوازيًا يجذب القارئ والسامع ، فجاءت صيغة التكرار على النحو الآتي :

أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
إنْ	أوجزَ	كان كافيًا
إنْ	أكثرَ	كان مُذكّرًا
إنْ	أومأ	كان مُقنعًا
إنْ	أطال	كان مُفهمًا
إنْ	أمرَ	فناصحًا
إنْ	حَكَمَ	فعادلاً
إنْ	أخبرَ	فصادقًا
إنْ	بيَّنَ	فشافيًا

(1) زهر الآداب : 140/1 .

وقد أفاد هذا التكرار تعظيم شأن القرآن وبلاغته وفصاحته ، فهو مُعْجزٌ في نظمِهِ ، وهو سهلٌ ممتنعٌ على متعاطيه ، وهو معجز في إيجازه وإطنابه ، فإن أوجز لفظه وَفَّى معناه ، وإن أطال لفظه كان مُذكرًا ومُفهمًا لقصص الغابرين ، وإنْ أومأ بإشارةٍ أو رمزٍ كان مقنعًا في أداء المعنى ، وحكمه عادل ، وعلمه يقين ، وخبره صادق لا يقبل الكذب مع بيانه ووضوحه ، والذي يؤكد دلالة النصّ هو أداة الشرط (إن) التي تفيد التوكيد بأنّ هذه الصفات هي صفاتٌ خالصة لكلام القرآن الكريم والتي تميزه من سائر الكلام .

يبدو مما تقدّم أنّ تركيب أسلوب الشرط (أداة الشرط + فعل الشرط + جواب الشرط) يُسهم إسهامًا فاعلاً في خلق إيقاع متوازٍ داخل النصّ مما قد يُثير مُتلقيه ويشدّ انتباههم ، فضلاً عن استكمال فكرة النصّ من جميع جوانبها ، وقد تحدّث عبد القاهر الجرجاني عن ذلك بقوله : " وينبغي أن يُجعل ما يُصنع في الشرط والجزاء من هذا المعنى أصلاً يُعتبر به ، وذاك أنّك ترى متى شئت جملتين قد عطفتَ إحداهما على الأخرى ، ثمّ جعلنا مجموعهما شرطًا ... الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كلّ واحدة منهما على الانفراد ... وإذا جعلناهما شرطين اقتضينا جزآءين وليس معنا إلاّ جزاء واحد ، وإن قلنا إنّه في واحدة منهما دون الأخرى لَزِمَ منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط وذلك ما لا يخفى فساده "[1] .

5- تكرار أسلوب النفي والاستثناء

هو من الوسائل التعبيرية المهمة التي تؤدي دورًا فاعلاً في النصوص النثرية من خلال تقوية الإيقاع وتعزيز معنى النصّ ، وجذب الانتباه إليه ، وصيغة (النفي والاستثناء) من أكثر الصيغ قوةً من الناحية الدلالية ، إذ إنّ المتلقي يستقبل النفي أولاً ، وبعد أن يستقر في ذهنِهِ يَعقبه بالاستثناء الذي يقطع النفي ليُظهر المستثنى ويبرزه ويؤكده[2] .

---

(1) دلائل الإعجاز : 189 – 190 .

(2) ينظر : كتاب الإشارات الإلهية ، لأبي حيان التوحيدي ، دراسة أسلوبية : 93 .

ووظّف الجاحظ هذه الصيغة في رسائله بأسلوب جميل مُشوّق ، من ذلك قوله في رسالة (حجج النبوة) : " ... ثمَّ العلم بالله وحدَهُ ، وأنّك بعرض ولايته والجاه عنده ، وأنّه الذي يرعاك ويكفيك ... ولا يُفتيك إلاّ ليُبقيك ، ولا يُميتك إلاّ ليُحييك ، ولا يمنعك إلاّ ليُعطيك ... وهذا كلّه لا يُنال إلاّ بغريزة العقل ... "[1] .

نلحظ أنّ الجاحظ في هذا النصّ كرّر (النفي والاستثناء) أربع مرات ؛ لتحقيق القيمة البيانية في النصّ وهي الاستعذاب والتشويق للقائه تعالى والتمتع بنعيمه الأبدي ، فيشير الكاتب بأنّ الحياة الدنيا فانية مؤقتة ، وأنّ هناك بقاءً أبديًا في الآخرة ، وبعد موت الإنسان وانقطاع عمله في الحياة الدنيا يُحييه الله تعالى مَرّة أخرى في الحياة الآخرة , وما حرّم الخالق على الإنسان من ملذات الدنيا المحدودة إلاّ للتمتع بنعيم الآخرة الذي لا يُعد ولا يُحصى , وهذا كلّه لا يُدرك إلاّ بعقل سليم راجح مُدّبر , يحرك حواسه في النظر والتفكير والبحث والتقصي والتصفح لهذه الأمور .

وقال سعيد بن حميد في رسالة تحميد له في فتح : " ... فالحمدُ لله الحميد المجيد الفعّال لما يريد ... فليس يتصرف عباده في حالٍ إلاّ كانت دليلاً عليه , ولا تقع الإبصار على شيء إلاّ كان شاهدًا له بما وَسَمَ به عن آثار صُنعه ... ولا يزدادون عنه إلاّ حسورًا* وعجزًا , ولا تزداد حجّة الله عليهم إلاّ تظاهرًا وعلوًا ... "[2] , فكرر الكاتب الفعل المضارع المنفي (أربع مرات) , ثم تتبعه بأداة الاستثناء التي تفيد القصر والحصر لتعظيم الخالق في خلقه لعباده وتصويرهم , وفي نظم القرآن وتأليفه بما يُدهش السّامع والناظر , فقد قَصَرَ دليل عظمة الله على تصرف عباده في أحوالهم , وقصر الشاهد على وقع الأبصار والتفكر بالصانع , كما قصر ضعف العباد وانقطاعهم وعجزهم على أن يأتوا بمثل القرآن في تأليفه ونظمه , وقصر العلو والعظمة والبيان على حجّة الله عليهم وهو القرآن الكريم .

وكتب سعيد بن حميد عن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد رسالة يصف فيها أحدى المعارك التي دارت في بغداد , يقول فيها : " ... لا يجتازون بعامر إلاّ

---

(1) رسائل الجاحظ : 237/3 .

* الحسور : الكلال والانقطاع ، ينظر : لسان العرب (حَسَرَ) .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 95 – 96 .

أخربوه , ولا بحريم لمسلم ولا غيره إلاّ أباحوه ولا بمسلمٍ يعجز عنهم إلاّ قتلوه , ولا بمال لمسلمٍ ولا ذميّ إلاّ أخذوه ... ولا يمرون بغني إلاّ خلعوا عنه لباس الغنى , ولا بمستورٍ إلاّ هتكوا عن الذرية والنساء سترة ... "[1] .

كرر الكاتب (النفي والاستثناء) في هذا النص (ستُ مرات) ؛ لخلق إيقاع متناسب مع إيقاع الدلالة في النص , فقد اتخذ الكاتب من تكرار هذه الصيغة وسيلة إيحائية للتعبير عن مدى توجعّه وألمه بما أصاب أهل بغداد من الدمار والخراب وهتك الأعراض إثر غارات العدو عليهم , فقد قَصر الخراب على العامر , وقصر الإباحة على حريم المسلم , وقصر القتل على المسلم العاجز , وقصر الأخذ على مال المسلم , وقصر الخلع على لباس الغني , وقصر الهتك على السّتر .

ب- التكرار المعنوي (الدلالي)

وهو تكرار المعنى بوساطة رَديف لغوي أو جملة معينة , أو بوساطة سيل دافق من الجمل والعبارات التي تؤكد المعنى نفسهُ لكن بطريقة غير مباشرة مما قد يجعل القارئ لا يشعر بذلك التكرار , والكاتب في هذا اللون يقوم بشرح أفكاره التي يجدها جديدة على الألفاظ والتعابير العربية[2] .

فإنّ التكرار الذي يحصل في المعنى وإن كانت هناك صياغات لفظية جديدة لا يقدح في المعنى أو يغض منه دلالةً وإيضاحًا وإفهامًا ؛ لأنّ إخراج المعاني بلباس جديد يعطيها من الطرافة والجدة شيئًا كثيرًا ، كما أنّه يكون سببًا لتقبّل المتلقي للمعنى في حلّتِهِ الجديدة ويجعله متشوقًا لسماعه[3] ، وقد نبّه ابن قتيبة (ت276هـ) على هذا النوع من التكرار بقوله : " وأمّا تكرار المعنى بلفظين مختلفين فلإشباع المعنى ، والاتّساع في الألفاظ ، وذلك كقول القائل : آمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر ، والأمر بالوفاء هو النهي عن الغدر "[4] .

---

(1) المصدر نفسه : 111 – 112 .

(2) ينظر : خطب الجهاد في عصر صدر الإسلام : 243 ، وفن الرسائل عند الجاحظ : 125 .

(3) ينظر : الخطاب في نهج البلاغة – بنيته وأنماطه ومستوياته : 255 .

(4) تأويل مشكل القرآن : 254 .

ونلمس ذلك أيضًا عند الجاحظ في رسالته الطويلة في تربيع وتدوير صاحبه (أحمد بن عبد الوهاب) التي بناها على فكرة موجزة هي أنّ ابن عبد الوهاب يدّعي الجمال والعلم ، بينما هو قبيح وجاهل[1] ، فراح الجاحظ يولّد المعاني حول هذه الفكرة ، ويُفلسف موجهات الجمال ومقاييسه مُشكّكًا فيها تارةً ، وجاعلاً لصاحبه أنواعًا مختلفة من الهيئات والصور المتناقضة ، وهو في ذلك يكرر المعنى نفسه الذي انطلق منه في البداية ، وهو أنّ أحمد بن عبد الوهاب يدّعي الجمال وهو قبيح ، ويتخلّق بصفات العالم وهو جاهل[2] ، انظر إليه كيف يؤكّد لنا هذه الخصيصة في هذا النصّ من رسالته : " ... فأنت والله يا أخي تعلم علم الاضطرار ، وعلم الاختيار ، وعلم الأخبار ، وإنّي أظهر منك حزمًا ، وألطف كيدًا ، وأكثر علمًا ، وأوزن حِلمًا ، وأخفّ روحًا ، وأكرم عينًا ، وأقلّ غثًّا ... وأجمل وجهًا ، وأنصع ظرفًا ، وأكثر ملحًا ... "[3] ، هذا ما يسمّى ذمًّا في معرض المدح .

أراد به الكاتب التهكم والسخرية من (أحمد بن عبد الوهاب) ، أي أنّه يتمتع بصفات معاكسة للصفات المذكورة ، فقد أشار الكاتب في بداية رسالته إلى أنّه يدّعي الجمال والعلم لكنّه قبيح وجاهل بدلالة قوله : " كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، ويدّعي أنّه مفرط الطول ... وكان جعد الأطراف ، قصير الأصابع ، وهو في ذلك يدّعي البساطة والرشاقة ، وأنّه عتيق الوجه ، أخمص البطن ، معتدل القامة ... وكان طويل الظهر ، قصير عظم الفخذ ، وهو مع قصر عظم ساقه يدّعي أنّه طويل الباد ، رفيع العِماد ، عاديّ القامة ، عظيم الهامة ، وقد أُعطي البسطة في الجسم ، والسّعة في العلم ... وكان إدّعاؤه لأصناف العلم على قدر جهلِهِ بها ، وتكلّفه للإبانة عنها على قدر غباوته عنها ... "[4] .

---

(1) ينظر : التربيع والتدوير : 9 – 10 .

(2) ينظر : فن الرسائل عند الجاحظ : 126 .

(3) رسائل الجاحظ : 71 .

(4) المصدر نفسه : 9 – 10 .

وقال الجاحظ في رسالة (الجدّ والهزل) : " ... فلمّا أخذت بقولك ، وصرتُ إلى مشورتِكَ ، وأكثرتُ حمدَ الله على إفادتِكَ من العلم ... "[1] ، فقوله : (وصرت إلى مشورتك) تكرار معنوي لقوله : (أخذت بقولك) ، كتب الجاحظ هذه الرسالة إلى (محمد بن عبد الملك الزيات) حيث يؤكّد الكاتب فيها من خلال هذا التكرار المعنوي بأنّه قد أخذ بنصيحة ابن الزيات في الاهتمام بالعلم والمعارف المختلفة .

وقال ابن المدبّر في الرسالة نفسها : " ... من كمال آلة الكاتب أن يكون بهي الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ... ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ... عظيم الهامة ، فإنّهم زعموا أنّ هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة ... "[2] ، ورد التكرار المعنوي في هذا النصّ في قوله : (رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك) فهو تكرار معنوي لقوله : (حسن البيان) ، وقوله : (ولا يكون متفاوت الأجزاء ، ولا عظيم الهامة) ، هو تكرار معنوي لقوله : (ولا يكون فضفاض الجثة) .

ونظير هذا اللون من التكرار هو قول ابن المعتز في الفِراق : " كأنّ الدهر أبخل من أن يُمليني بكَ ، وأنكد من أن يُسوغني قربك ، وإنّي له لصابر إلاّ على فقدِكَ ، وراضٍ إلاّ ببعدِكَ "[3] ، جاء قوله : (أنكد من أن يسوغني قربك) هو تكرار معنوي لقوله : (أبخل من أن يمليني بك) ، وقوله : (وراضٍ إلاّ ببعدك) تكرار معنوي لقوله : (وإنّي لصابر إلاّ على فقدِكَ) ، فقد حَشَدَ الكاتب في هذا اللون من التكرار كلَّ معاني الأسى والحُزن لفراق محبوبه .

إذن فالتكرار المعنوي هو دليل على ثقافة الكاتب وثرائه اللغوي ، أي أنّه يتمتع بخزين لغوي هائل يُمكنه من عرض المعنى بأكثر من صورة لغوية .

---

(1) المصدر نفسه : 248/1 .

(2) الرسالة العذراء : 9 .

(3) الأوراق ، قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 293/2 .

وتكمن القيمة البيانية للتكرار فيما يأتي[1] :

1- التهديد والتخويف .
2- إطالة الكلام .
3- زيادة التوكيد .
4- الاستهزاء والسخرية .
5- الاستمرارية .
6- الاستسلام والخضوع .
7- المقارنة والموازنة .
8- الحيرة والتردد .
9- الاستغراب .
10- الاستذكار .
11- التشويق والاستعذاب .
12- التقرير .
13- التعظيم .
14- في معرض التوجع .

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء : 177/1 ، 234/2 ، 287/3 ، والإتقان في علوم القرآن : 199/3 – 206 .

المبحث الثالث
الاعتراض

من السمات الأسلوبية النثرية لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري شيوع الجمل الاعتراضية ، وتشكل هذه الجمل نمطًا خاصًّا من أنماط الجملة العربية المستقلة ، حيث يُجْمِع البلاغيون على أنّ الاعتراض يعتمد على تحريك الألفاظ من أماكنها الأصلية ؛ لكي تفسح المجال لعنصر جديد مفرد أو مركب أن يأخذ مكانًا له في السياق ، ومِنْ ثَمَّ يكون له دور في تعميق الدلالة ، وتوسيع المعنى[1] .

قال ابن المعتز : " ومن محاسن الكلام أيضًا والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمّ معناه ، ثمّ يعود إليه فيُتممهُ في بيتٍ واحد "[2] ، وعرّفه ابن الأثير بقوله : " كلّ كلام أُدخل فيه لفظ مفرد أو مركب ، لو أُسقط لَبَقِيَ الأول على حاله "[3] ، أمّا القزويني فقد عرّفه بقوله : " يؤتى في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنًى ، بجملة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب لنكتة "[4] .

أمّا مفهومه عند المحدثين فهو : " جملة صغرى تقع في جملة كبرى دون أن ترتبط الجملتان بعلاقة عمل ظاهرة ، فالارتباط المعنوي بينهما لا يستلزم ارتباطًا في العمل "[5] ، والاعتراض ينقسم على قسمين : " أحدهما : لا يأتي في الكلام إلاّ لفائدة وهو جارٍ مجرى التوكيد ، والآخر : يأتي في الكلام لغير فائدة ، فأمّا أن يكون

---

(1) ينظر : نثر أبي الفضل بن العميد ، دراسة أسلوبية : 97 .
(2) البديع : 59 .
(3) المثل السائر : 283/2 .
(4) الإيضاح : 206/1 .
(5) الجمل التي لا محل من الإعراب في القرآن الكريم : 93 .

دخوله فيه كخروجه منه ، وأمّا أن يؤثر في تأليفه نقصًا وفي معناه فسادًا "[1] ، وهذا يعني أنّ الاعتراض يأتي في أثناء الكلام بحيث أنّه لو أُسقِطَ من الكلام لما تغير المعنى ، وإنّما يلجأ الأديب أو المتكلم لبسط فكرته ، والإسهاب في عرض معانيه وتفريعها ؛ لغرض أو فائدة يتوخاها في كلامِهِ أو أدبِهِ[2] .

تعدّ الجملة الاعتراضية حاجزًا بين متتاليين في سياق واحد ، ونجد أنّ مهمة الاعتراض تنشقّ من موقعه في السياق ، حيث تتجلى وظيفته في توجيه المعنى الأول وتثبيته في صيغ متعددة ؛ ليعبر عن معانٍ مختلفة ، والاعتراض يؤكّد دلالة السابق ، ويحقق التواصل مع اللاحق ، فالجملة المعترضة في كلّ أحوالها أجنبية عن مجرى السياق النحوي ، فلا صلة لها بغيرها ، ولا محلّ لها من الإعراب ، وإنّما هي تعبير عن خاطر طارئ من دعاء ، أو قسم ، أو شرط ، أو نفي ، أو وعد ، أو أمر ، أو نهي ، أو تنبيه يلي ما يريد المتكلم أن يُلفت إليه انتباه السامع في جملة تتمتع باستقلالية ذاتية عن غيرها في إطارها التركيبي ، وبحيز دلالي متكامل في أصوله الجزئية ، ودلالته الصغرى ضمن بؤرة دلالية أوسع[3] .

والاعتراض من الظواهر التركيبية يعتمد على تحويل أحد عناصر التركيب من منزلته ، وإقحامه بين عناصر من خواصها التسلسل والترابط ، ويسلمنا إلى عملية تحريك للصياغة شبيهة بعملية التقديم والتأخير[4] ، والاعتراض يرمي عادةً لتحقيق دلالة معينة لها خصوصية يُلتفت إليها ؛ لتكون عدولاً عن السياق ، والتفاتًا إلى دلالة مخصوصة[5] ، وإنّ احتفال كُتّاب القرن الثالث بتلوين أساليبهم ، ورفع طاقتهم البلاغية فقد عبروا عنه بوسائل مختلفة ، ومن هذه الوسائل إحسانهم استعمال الجمل الاعتراضية الدعائية ، أو غير الدعائية ؛ لغرض بلاغي يَقصد إليه الكاتب في توكيد فكرة من الأفكار التي ينمو إليها ، ويؤتى بالجمل الاعتراضية

---

(1) المثل السائر : 284/2 .

(2) ينظر : الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع : 494 .

(3) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم : 202 – 204 .

(4) ينظر : جدلية الإفراد والتركيب : 165 ، والمستويات الجمالية في نهج البلاغة : 140 .

(5) ينظر : حضور النص ، قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب : 89 .

لغرض الدعاء ، أو الاحتراس ، أو التنزيه ، أو التحسين ، أو التقبيح ، أو التوكيد ، أو التفسير ، أو استراحة الطرفين : الكاتب والقارئ فيما إذا كان هناك سيل متدفق من الكلام يريد به معرفة تمام المعنى من خلال التركيب[1] ويمكن تقسيم الجمل الاعتراضية على ما يأتي[2] :

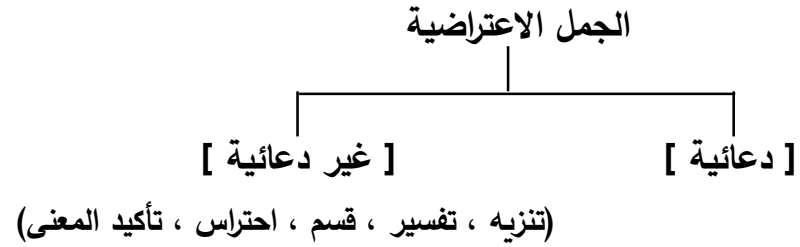

ونلحظ من خلال دراستنا أنّ الجمل الدعائية عند كُتّاب القرن الثالث الهجري تأخذ حيزًا أكبر من الجمل غير الدعائية وبشكل واضح ، إمّا لدواعي الاستعطاف والتودد والتقرب كما في الرسائل السياسية في مخاطبة الأمراء والوزراء ، وإمّا بدواعي الودّ والمجاملات في الرسائل الاجتماعية الأخرى .

أ- الجمل الاعتراضية الدعائية

وهي ظاهرة ملفتة للنظر شاعت في هذه الحقبة بين الكُتّاب في بعضٍ من أشكال كتاباتهم المتمثلة بالعبارات الخارجة عن مضمون النصّ ، كجمل الدعاء بدوام العزّ والسؤدد والسعادة ، أو طول العمر ، أو امتداد السلطان ، وزيادة القوّة ، وما إلى ذلك من معاني الدعاء[3] .

---

(1) ينظر : الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دراسة أسلوبية : 131 – 132 .

(2) المصدر نفسه : 132 .

(3) ينظر : الفكاهة في النثر العباسي : 227 .

واختلفت هذه الجمل طولاً وقُصرًا بحسب المدعو له ، وبحسب الكاتب ، لكنّها في الغالب تميل إلى القصر ، فلا تزيد عن كلمتين أو أربع كلمات ، لا سيّما أنّ أحد النقاد يرى في إطالة هذه الجمل ضعف مادة الكاتب وصناعته[1] .

ويبدو أنّ هذا الرأي فيه نظر ؛ لأنّ الجاحظ مثلاً كانت اعتراضاته طويلة ، ولم يهتم بالإطالة السلبية أبدًا ، فالمهم نوع هذه المادة التي شكلت الإطالة وقيمتها البلاغية والأدبية[2] .

ومن نماذج هذا اللون من الاعتراضات التي وردت في مكاتبات هذا القرن ما جاء في رسالة شكر على لسان أحمد بن يوسف الكاتب إلى الخليفة المأمون ، قال فيها : " ... الحمدُ لله الذي قفَّى على آثار المرسلين ، والأئمة الراشدين ، الهادي التقيّ ، الطاهر الزكيّ ، الإمام المأمون أمير المؤمنين – أعزَّ الله نصرَهُ – فسدَّ ثُلمتَهُم ، ورأبَ صدعَهم* ، وقلّدهُ خلافتَهم ... ووفاءهُ بما أكّد الله به عليه من عهد أمير المؤمنين – أيَّده الله – في اعتيامه* من آزرهُ وآساهُ مما شفع رأيه ، وأنفذ تدبيره حين همَّ لاستصلاح ما استرعاه الله من أمور عباده ، لما انتضى* القائم بدعوته ، ورئيس شريعته ، الأمير ذي الرياستين – رحمه الله – فاتخذ مكانفًا ظهيرًا ووزيرًا دون من سواه فاتّبع منهاج أمير المؤمنين – أيّده الله – وسار بسيرته شرقًا وغربًا ... "[3] .

تراكمت الجمل الاعتراضية الدعائية في هذا النصّ ، منها ما يكون بالدعاء بالعزّة والنصرة والتأييد والحفظ ، من ذلك قوله : (أعزّ الله نصرَهُ) ، (حفظه الله) ، (أيّده الله) ، وفي حال المدعو له متوفي كما في وفاة (ذي الرياستين) يعترض له بالدعاء بقوله : (رحمه الله) ، وهذه الصيغ الاعتراضية من محسنات الأسلوب ،

---

(1) ينظر : إحكام صنعة الكلام : 81 .

(2) ينظر : الرسائل السلطانية في عصر بني الأحمر ، دراسة بلاغية : 125 .

* رأب صدعهم : أصلح شقّهم ، ينظر : لسان العرب (صدع) و (رأب) .

* اعتيامه : اختياره ، ينظر : المصدر نفسه (عتم) .

* انتضى : تقدّم ، ينظر : أساس البلاغة (نضو) .

(3) جمهرة رسائل العرب : 3/346 – 347 .

وسمة من سمات التواضع في القول وبخاصة إذا كان الخطاب موجهًا إلى من هو في منزلة ورتبة أعلى من مقام المتكلم كالأمير والقاضي[1] .

وللكاتب نفسه كتاب في حاجةٍ ، قال فيه : " ... وكان إتياني إيّاك – أعزّك الله – في حوائجي بعد أن طال بغيرك تشاغلي "[2] ، قوله : (أعزّك الله) جملة اعتراضية جِيءَ بها لتعظيم شأن الأمير أو الوالي ، ومِنْ ثمَّ تلبية حاجة الكاتب .

ومن الجمل الاعتراضية الدعائية التي وردت في رسائل عمرو بن مسعدة رسالته إلى الفضل بن سهل ، قال فيها : " ... لا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ، ويقنعني منك في كلّ شهر كتاب ، وإن تلزم نفسك في البرّ قليلاً إلاّ ألزمت نفسي عنه كثيرًا ، وإن كنت لا استكثر شيئًا منك – أدام الله مودتَكَ وثبت إخاءَكَ واستماح لي منك – فرأيك في متابعة الكتب ومحادثتي فيها بخبرك موفقًا إن شاء الله "[3] ، قوله : (أدام الله مودتَكَ ، وثبت إخاءَك ، واستماح لي منك) ثلاث جمل اعتراضية تضمنت الدعاء بديمومة مودته وإخائه ، وهذه الجملة تُسهم في تعضيد معنى النصّ الذي يتحدث عن المواصلة والمراسلة بين الأصدقاء والابتعاد عن الجفاء .

ونلمس هذه الاعتراضات الدعائية في قول ابن الزيات : " أمر – أبقاك الله – أمير المؤمنين – أطال الله بقاءَهُ – أن يكون الرسم الذي يجري به ذكره ... "[4] ، قوله : (أبقاك الله) جملة اعتراضية دعائية للمرسل إليه وهو من بإمرته ، أمّا قوله : (أطال الله بقاءَهُ) فهي جملة دعائية لأمير المؤمنين (المتوكل) ، فهذه الجمل تُسهم في تعظيم شأن المتوكل وشأن المرسل إليه ، وهذا أسلوب تواضع جميل من ابن الزيات .

وكتب إبراهيم بن العباس الصّولي كتابَ تعزية عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله : " ... وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مَوْلَى أمير المؤمنين – عفا الله عنه – قضاءَهُ السابق والمتوقع ، وفي ثواب الله ورضا أمير

---

(1) ينظر : الفكاهة في النثر العباسي : 228 .
(2) جمهرة رسائل العرب : 380/3 .
(3) أمراء البيان : 204/1 .
(4) تاريخ الطبري : 155/9 .

المؤمنين – أدام الله عزّه – وتقديم ما يُقدّم مثله أهل الحِجَى والفهم ... "[1] ، قوله : (عفا الله عنه) جملة اعتراضية دعائية كون المدعو له متوفى ، فهو يدعو له بالرحمة والإعفاء عن ذنوبه ، أمّا قوله : (أدام الله عزّه) جملة اعتراضية تضمّنت الدعاء بالعزّة والقوّة للمتوكل ؛ لأنّ العزّة والقوّة هي من أهم مقومات الأمراء والملوك .

وكتب الصولي إلى طاهر بن عبد الله في وفاة إسحاق بن إبراهيم : " ... وإنّ إسحاق بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين – أبقاه الله وأحسنَ سعيَهُ وعملَهُ – كان عبدًا من عباد الله ... "[2] ، قوله : (أبقاه الله وأحسنَ سعيَهُ وعملَهُ) جملة اعتراضية دعائية جيءَ بها لتعضيد المعنى ، وتأدبًا من الكاتب مع طاهر بن عبد الله وهو يذكر وفاة إسحاق بن إبراهيم فكأنّه يستدرك بالدعاء لسيّده بطول العمر وحسن السعي والعمل .

وتعدُّ الجمل الاعتراضية الدعائية من الملامح الأسلوبية المهمة التي عني بها الجاحظ بتوظيفها في كتاباته والتي أخذت حيّزًا كبيرًا مهمًا ، من ذلك قوله في رسالة (التربيع والتدوير) : " ... قد علمت – حفظك الله – أنّك لا تُحسد على شيء حسدك على حسن القامة ، وضُخم الهامة ، وعلى حور العين ... "[3] ، قوله : (حفظك الله) جملة اعتراضية دعائية ، لكنّها وردت بأسلوب السخرية من (أحمد بن عبد الوهاب) الذي وصفه بحسن القامة ، وضخامة البدن ، وسعة العين ، وهو يعلم أنّه على عكس هذه الصفات ، أي أنّه قصير القامة ، هزيل الجسد ، ضامر العينين .

وقال الجاحظ في كتاب فصل ما بين العداوة والحسد : " ... هذا كتاب – أطال الله بقاءَكَ – نبيل بارع ، فُصِلَ به ما بين الحسد والعداوة ... "[4] ، قوله : (أطال الله بقاءك) جملة اعتراضية تضمّنت الدعاء بطول العمر للمرسل إليه وهو وزير المتوكل (أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان) .

ونظير ذلك قول الجاحظ في صدر كتاب له في (الشارب والمشروب) : " سألت – أكرم الله وجهَكَ ، وأدام رُشدَكَ ، ولطاعته توفيقك ، حتى تبلغ من مصالح

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 159/4 .
(2) المصدر نفسه : 161/4 .
(3) التربيع والتدوير : 15 .
(4) رسائل الجاحظ : 337/1 .

دينك ودُنياك منازلَ ذوي الألباب ، ودرجات أهل الثواب – أن أكتب لك صفات الشارب والمشروب ... "[1] ، فجاء هنا جملة اعتراضية دعائية طويلة ، وهذه من مميزات كتابات الجاحظ .

ومن نماذج الجمل الاعتراضية الدعائية التي وردت في رسائل سعيد بن حميد ، الرسالة التي كتبها إلى بعض إخوانه يهنئه بعزلة من عمله : " ... إنّ من سعادة الوالي – حفظك الله – وأعظم ما يخصّ به في عمله وولايته ، السلامة من بوائق* الإثم ، ونوائب الدنيا وشرّها ، والعاقبة مما يُخاف منها ... "[2] قوله : (حفظك الله) جملة اعتراضية دعائية قصيرة تضمّنت الدعاء للمرسل إليه بالحفظ ودوام النعمة عليه ، فهذه الجمل تساعد على توكيد المعنى وتقويته ، ومِنْ ثَمَّ تبث الحيوية في النصّ .

وللكاتب نفسه رسالة تعزية بعث بها إلى محمد بن عبد الله بن طاهر عن بعض أوليائه ، قال فيها : " ورد عليَّ الخبر – أعزّ الله الأمير – بحادث قضاء الله في الوالي الناصح ، المطيع الشاكر ، فلان – رحمه الله – فكان وقع المصاب به على حسب علمي بمحله ... "[3] ، فجاءت الجملة الاعتراضية الدعائية (أعزّ الله الأمير) بحقّ الأمير (محمد بن عبد الله بن طاهر) ، أمّا الاعتراض الدعائي في قوله : (رحمه الله) لكون المدعو له متوفى ، فهذا من باب التواضع للأحياء والأموات .

ولسعيد بن حميد رسالة أخرى بعث بها إلى سعيد بن عبد الملك ، قال فيها : " وصل كتابك – أكرمك الله تعالى – الحاضر سروره ، اللطيف موقعه ... ونحن – أعزك الله – نجعل جزاءك حسن الاعتراف بفضلك ... "[4] ، فقوله : (أكرمك الله

---

(1) رسائل الجاحظ : 261/4 .

* بوائق : الشرور أو الذنوب ، ينظر : أساس البلاغة (بوق) .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 83 .

(3) المصدر نفسه : 92 .

(4) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 98 .

تعالى) ، (أعزك الله) جمل اعتراضية دعائية تخللت النصّ ؛ للتودد وكسب ثقة المرسل إليه .

ونلحظ هذا الضرب من الاعتراض في رسائل ابن المعتز ، منها رسالة التهنئة التي كتبها إلى الوزير عبيد الله بن سليمان في يوم عيد : " أخرتني العلّة عن الوزير – أعزّه الله – فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ... "[1] ، قوله : (أعزّه الله) جملة اعتراضية دعائية وردت في أثناء نصّ الكاتب ؛ لتعزيز معنى النصّ في تهنئة الوزير .

وقال الكاتب نفسه في رسالة عن المحامد والشرف : " لن تكسب – أعزك الله – المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلاّ بالحمل على النفس والحال ... "[2] ، فجاء الاعتراض الدعائي في قوله : (أعزّك الله) ، وهكذا فإنّ هذه الصيغ هي من كماليات الأسلوب ، وسمة من سمات التواضع في القول ، ولا سيّما إذا كان الخطاب موجهًا إلى من هو في منزلة ورتبة أعلى من مقام المتكلم كالأمير والقاضي[3] .

ب- الجمل الاعتراضية غير الدعائية

لم يقتصر الاعتراض على الجمل الدعائية ، بل هناك جمل تحمل دلالات غير الدعاء ، لكنّها أقلّ حضورًا منها لسببين : الأول : إنّ النثر يحفل بالدعاء لا سيّما في الرسائل ، والآخر : إنّ الجمل غير الدعائية يصعب إدخالها جملاً اعتراضية في حين يسهل الأمر في الجمل الدعائية ، حيث يمكن رصد سياقات جديدة بحسب الغرض الذي يهدف إليه المنشئ ، ويحاول طرحه ، وارتكز عليها الكاتب كثيرًا في إنجاز الحوار الذي يحاول الكُتّاب صنعه ، والذي يُضفي قدرًا عاليًا من الحيوية على النصّ[4] ، ونحاول هنا الوقوف على أبرز الأغراض التي حققتها هذه الجمل :

---

(1) زهر الآداب : 226/1 .

(2) رسائل ابن المعتز : 56 .

(3) ينظر : الفكاهة في النثر العباسي : 228 .

(4) ينظر : الرسائل السلطانية في عصر بني الأحمر ، دراسة بلاغية : 125 .

1- تأكيد المعنى :

في هذا اللون من الاعتراض يظهر بجلاء حشو الألفاظ ، وزيادتها على المعنى ؛ لإيضاحه وتأكيده ، ولشعور المتكلم بأهمية كلامه وخطورته ، ومن نماذج هذا اللون قول عمرو بن مسعدة في ذمٍ : " إنّه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزياديّة وخَلْعِكَ إياها إذ كان من قريش ، فمتى تحاكمت إليك العرب ... ومتى وكّلتْكَ قريش – يا ابن اللّخناء – بأنْ تُلصق بها من ليس منها ... "[1] ، فقوله : (يا ابن اللخناء) جملة اعتراضية ؛ للتأكيد والمبالغة في تنكيل المُخاطَب ؛ لأنّ المقام هنا مقام ذمٍ .

ومنه أيضًا قول إبراهيم بن العباس الصولي في كتاب تعزية : " فقد جرى من قضاء الله في وفاة يحيى بن خاقان – على أحسن ما يُتوفى عليه ذو طاعة ونصيحة وقيام بحقّ إمامه وسلطانه ورعيته – ما جرى على الأولين ، وهو جارٍ على الآخرين ... "[2] ، جاءت الجملة الاعتراضية في هذا النصّ ؛ لتأكيد معنى التعزية ورثاء المُتوفّى بذكر مناقبه ؛ ليخفف عن ذوي الميّت ما يشعرون به من حزن وألم ؛ لأنّ مثل هذه الصفات مما يهوّن على ذويه مصابهم .

وقال الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... فاللواتي يعضدنّك : تسليط العدل ، وإنفاذ الحكومة – وفي ذلك صلاحٌ للرعية – وإثابة المحسنين ... "[3] ، قوله : (وفي ذلك صلاح للرعية) هو ترجيح لإنفاذ الحكومة وتوكيد لها ؛ لأنّها من الأهمية بمكان .

وقال الجاحظ في رسالة (الأوطان والبلدان) : " ... وتركتْ قريشٌ الغزوَ بتةً ، فكانوا – مع طول ترك الغزو – إذا غَزَوا كالأسود على براثنها ، مع الرأي الأصيل ،

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 434/3 .

(2) المصدر نفسه : 163/4 .

(3) المصدر نفسه : 133/1 .

والبصيرة النافذة ... "[1] ، فجاء قوله : (مع طول ترك الغزو) جملة اعتراضية أفادت تأكيد معنى النصّ ، وهو مدح قريش لشجاعتهم وفطنتهم .

وقال الكاتب نفسه في رسالة (تفضيل البطن على الظهر) : " ... فإنّك ما علمتُ – وأتقلّد في ذلك أمانة القول – ممن أحبّ موافقته ومُخالطته ، وأن يكون في فضله مُقدّمًا ... "[2] ، قوله : (وأتقلّد في ذلك أمانة القول) جملة اعتراضية أفادت تأكيد معنى الذمّ للمخاطَب .

ونظير هذا الضرب من الاعتراض قول سعيد بن حميد : " ... وقد خصّك الله منها – بمَنِّهِ وطوله – ما نرجو أن يكون سببًا لك إلى نيل ما تستحقّ من المراتب ... "[3] ، قوله : (بمنّه وطوله) جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد نِعَم الله على المخاطب .

وكتب سعيد بن حميد معتذرًا : " ومَثَّل خادمك بين يديه ما يملك فلم يجد شيئًا يفي بحقّك ، ورأى أنّ تقريظك بما يبلغه اللسان – وإن كان مُقصرًا عن حقِّك – أبلغ في أداء ما يجب عليك "[4] ، قوله : (وإن كان مقصرًا عن حقّك) جملة اعتراضية أعطت فائدة المبالغة والتأكيد في الاعتذار ، أي أنّ اللسان وإن نطق معتذرًا فإنّه مُقصر عن أداء الاعتذار جيء به ؛ للسؤدد واستماح العذر من المخاطب .

وقال سعيد أيضًا في محبوبته (فضل) الشاعرة : " أصبحتُ والله من أمر فضل في غرور ، أخادع نفسي بتكذيب العيان ، وأمنّيها ما قد حيل دونه ، والله إنّ إرسالي إليها – بعدما قد لاح من تغيرها – لذلٌّ ، وإنّ عدولي عنها – وفي أمرها شبهة* – لعجزٌ ، وإنّ تصبري عنها لمن دواعي التلف ... "[5] ، فقوله : (بعدما لاح من تغيرها) و (وفي أمرها شبهة) جمل اعتراضية أكّدت معنى النصّ وهو جفاء

---

(1) رسائل الجاحظ : 127/4 .

(2) المصدر نفسه : 157/4 .

(3) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 83 .

(4) المصدر نفسه : 99 – 100 .

* شبهة : الالتباس ، ينظر : أساس البلاغة (شبه) .

(5) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 104 .

محبوبته عنه ، وتغيّر حالها حيث مالت محبوبته (فضل) الشاعرة إلى غيره فكتب هذا النصّ معبرًا عن حزنِهِ وألمِهِ .

وقال الكاتب نفسه في الاعتذار أيضًا : " ... فإنّ قديمَ الحُرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة ، وإنّ أيام القدرة – وإن طالت – قصيرة ، والمتعة بها – وإن كَثُرَت – قليلة – والمعروف – وإن أُسدِيَ عودًا على بدء إلى من يكفره – مشكور على كلّ حال بلسان غيره "[1] ، قوله : (وإن طالت) ، (وإن كَثُرَت) ، (وإن أُسديَ عودًا على بدء إلى من يكفره) جمل اعتراضية أكّدت معنى الندم والاعتذار من صاحبه .

وقال سعيد بن حميد أيضًا : " ... ولله عند أمير المؤمنين – في رئيس دعوته ، وسيف دولته ، والمحامي عن سلطانه ، ومحل ثقته ، والمتقد في طاعته ونصيحته لأوليائه ، والذابّ عن حقّه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ، محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين – نعمة يرغب إلى الله في إتمامها ، والتوفيق لشكرها ... "[2] فجاءت هنا جملة اعتراضية طويلة في ذكر صفات الممدوح ؛ للتأكيد والمبالغة في مدحه ومطالبته بالمزيد من الإنجاز .

2- الاحتراس :

وهو من المقاصد التي يخرج إليها الاعتراض ، ويُقصد به : " أن يُؤتى في كلام يُوهم خلاف المقصود مما يدفعه "[3] ، ومن نماذج هذا اللون من الاعتراض التي وردت في مكاتبات القرن الثالث الهجري .

قال أحمد بن يوسف الكاتب في (رسالة الخميس) : " ... فتمهَّدوا – معشر شيعة أمير المؤمنين – أنفسكم بتذكر ما سهّل الله لكم ... وقد استشرفكم – معشر شيعة أمير المؤمنين – أهل الشنآن ... واحذروا – معشر شيعة أمير المؤمنين – من استمهال الطّاءة* ... "[4] ، قوله : (معشر شيعة أمير المؤمنين) جملة اعتراضية

---

(1) صبح الأعشى : 358/2 .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 108 .

(3) الإيضاح : 202/1 ، وينظر : الطراز : 453 .

(4) جمهرة رسائل العرب : 327/3 – 328 .

أفادت الاحتراس من أنّ الرسالة قد وُجِّهت إلى خصوم أمير المؤمنين ، لكن إلى شيعته .

ومثله قول الجاحظ في رسالة (المعاش والمعاد) : " ... فأعجزُ الناس رأيًا وأخطؤهم تدبيرًا ، وأجهلهم بموارد الأمور ومصادرها ، من أَمَّلَ أو ظنَّ أو رجا أنّ أحدًا من الخلق – فوقه أو دونه أو من نظرائه – يصلح له ضميره ... "[1] ، قوله : (فوقه أو دونه أو من نظرائه) جملة اعتراضية جيء بها للاحتراس من أنّ الحديث موجّه إلى طبقةٍ معينة من الخَلْق .

وقال الجاحظ في رسالة (كتمان السرّ وحفظ اللسان) : " ... واعلم يقينًا أنّ الصمت سرمدًا أبدًا ، أسهل مرامًا – على ما فيه من المشقة – من إطلاق اللسان بالقول ... "[2] ، قوله : (على ما فيه من مشقة) احتراس من كون الصمت خاليًا من المشقة .

ونلمس هذا اللون أيضًا في قول سعيد بن حميد : " ... فإنّك بفضل حِذقِك أردتَ أن تجفوني بحجة ، وتقصر في برّك ببرهان قاطع يقوم عند الجاهل – غيرك – مقام المقبول من الأمر ... "[3] ، قوله : (غيرك) احتراس من كون المخاطب من الجهلاء .

وكتب أبو العيناء إلى بعض الرؤساء ، وقد وعده بشيء فلم يُنجزه : " ثقتي بك تمنعني من استبطائك ، وعلمي بشُغلك يدعوني إلى إذكارك ، ولست آمن – مع استحكام ثقتي بطَوْلك ، والمعرفة بعلوِّ همّتك – اخترام* الآجل ... "[4] ، قوله : (مع استحكام ثقتي بطَوْلك ، والمعرفة بعلوِّ همّتك) احتراس من فقدان الثقة به في إنجاز الوعد ، فالكاتب يدعوه إلى إنجاز وعده ، والإسراع في تحقيقه وعدم تأخيره إلى وقتٍ لاحقٍ .

---

(1) رسائل الجاحظ : 105/1 .

(2) المصدر نفسه : 143/1 .

(3) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 51 – 52 .

* اختزام : اختراق ، ينظر : أساس البلاغة (خَرَم) .

(4) وفيات الأعيان : 505/1 .

3- التنزيه :

وهو ما يدرجه الكُتّاب في رسائلهم بعد ذكر لفظ الجلالة ، وذكر الرسول وآل بيته (عليهم السلام)[1] ، من ذلك مثلاً ما كتبه عمرو بن مسعدة في رسالة بديعة إلى بعض الرؤساء وقد تزوجت أمُّهُ ، فكُتِبت هذه الرسالة تسليةً له : " ... ووسّع في البلوى صبرَكَ ، وألهمَكَ من التسليم لمشيئتِهِ ، والرضا بقضيتِهِ ، ما وفَّقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك ، ومن عظَّم حقّه عليك ، وجعل الله – تعالى جدُّهُ – ما تجرعتَهُ من أنفٍ ... وجعل – تعالى جدُّهُ – ما يُنْعِم عليه بعدها من نعمة ، مُعَرَّى من نقمة ... فأحكام الله – تعالى جدُّهُ ، وتقدّست أسماؤه – جارية على غير مراد المخلوقين ... "[2] ، قوله : (تعالى جدّه) ، (تعالى جدّه ، وتقدست أسماؤه) جمل اعتراضية ؛ لغرض تنزيه لفظ الجلالة ، وتعظيم شأنه تعالى ، وتقديس أسمائه .

وقال الجاحظ في رسالة (مناقب الترك) : " ... وما الذي قَسَمَ الله – عزَّ اسمُهُ – بين الناس من ذلك ، إلاّ كما صنع في طينة الأرض ... "[3] ، قوله : (عزّ اسمه) جملة اعتراضية جيء بها بعد لفظ الجلالة (الله) ؛ لتقديس اسمه تعالى .

ومن نماذجه أيضًا قول الجاحظ في رسالة (المسائل والجوابات في المعرفة) : " ... أنّ الله – جلَّ ذكرُهُ – لا يكلف أحدًا فعل شيءٍ ولا تركه إلاّ وهو مقطوع العذر ، زائل الحجة ... "[4] ، قوله : (جلّ ذكره) جملة اعتراضية لتعظيم اسمه تعالى .

وقال ابن المدبّر في (الرسالة العذراء) : " ... لأنّ الله سبحانه وتعالى إنْ خاطب بالقرآن أقوامًا فُصحاء فهموا عنه – جلّ ثناؤه – أمره ونهيه ومراده ... "[5] ، قوله : (جلّ ثناؤه) جملة اعتراضية في تعظيم شأنه تعالى ، فقد أضاء القرآن بلغة فصيحة ، خاطب به أقوامًا فصحاء ، فأتقنوا ما به من أمر ونهي وموعظة .

---

(1) ينظر : الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة : 443 .

(2) جمهرة رسائل العرب : 432/3 – 433 .

(3) رسائل الجاحظ : 33/1 .

(4) رسائل الجاحظ : 57/4 .

(5) الرسالة العذراء : 18 .

4- التفسير :

وقد تأتي الجمل الاعتراضية لغرض التفسير ، من ذلك قول أحمد بن يوسف الكاتب إلى عبد الله بن طاهر يعزيه بأبيه : " فإنّه قد حدث من الرُّزءِ العظيم – وفاة ذي اليمينين – ما إلى الله جلَّ وعزَّ فيه المفزع والمَرْجِع ... "[1] ، فقد فسّر (الرزء العظيم) بـ (وفاة ذي اليمينين) .

وقال الجاحظ في رسالة (المعاش والمعاد) : " ... ولله ابتلاءان في خلقه – الابتلاء هو الاختبار – ابتلاء بنعمة ، وابتلاء بمصيبة ... "[2] ، فسّر قوله : (الابتلاء) بأنّه (الاختبار) ، وقال الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... حكّمتَ وكيل الله عندك – وهو عقلك – على هواك ... "[3] ، فسّر (الوكيل) بـ (العقل) .

5- القَسَم :

وهو أقلّ الأغراض السابقة ورودًا لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري ، فقد ورد مرّة واحدة في رسالة (التربيع والتدوير) للجاحظ ، قال فيها : " ... قد – والله – عافانا الله بك ... "[4] .

وعلى هذا فإنّ الاعتراض شكّل جزءًا مهمًا في كتابات القرن الثالث الهجري ، وعكس في بعض مواضعه مقدرة الكاتب على اقتحام الجمل والعبارات في نصوصهم ، مما يسهم في تعميق الأثر الدلالي لهذه النصوص ، والأثر الدلالي الأشمل وراء الاعتراض يتمثل في حركة الصياغة بهدف إفساح المجال لما يعترض به ليس أمرًا متوقعًا[5] ، فتكون الإثارة " مثل الحسنة تأتيك من حيث لم ترتضيها "[6] .

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 417/3 .
(2) رسائل الجاحظ : 100/1 .
(3) رسائل الجاحظ : 70/4 .
(4) التربيع والتدوير : 45 .
(5) ينظر : نثر أبي الفضل بن العميد ، دراسة أسلوبية : 99 .
(6) أسرار البلاغة : 19 .

الباب الثاني

(الإطناب)

الفصل الثاني : أنماط الإطناب الفرعية

أ – الإيضاح بعد الإبهام

ب – التَّذييل

ج – التَّوشيع

د - ذكر الخاصّ بعد العام و (ذكر العام بعد الخاصّ)

هـ – التّتميم

الفصل الثاني
أنماط الإطناب الفرعية

هناك أنماط من الإطناب كانت أقلّ استعمالاً لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري من الأنماط الرئيسة ، هذه الأنماط أطلقنا عليها تسمية (أنماط الإطناب الفرعية) ، ويمكن ترتيبها بحسب كثرة ورودها لدى الكُتّاب على النحو الآتي :

أ- الإيضاح بعد الإبهام .

ب- التذييل .

ج- التوشيع .

د - ذكر الخاص بعد العام و (ذكر العام بعد الخاص) .

هـ - التتميم .

أ – الإيضاح بعد الإبهام

الإيضاح من وَضَحَ الشيء وضوحًا ، أي : اتّضح وبانَ ، وتوضّح : ظهر[1] ، أمّا في المعنى الاصطلاحي فيؤتى به ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين , فإنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التّفصيل والإيضاح , فتتوجه إلى ما يردُ بعد ذلك , فإن أُلقيَ كذلك تمكّن فيها فضلَ تمكُّنٍ , وكان شعورها به أتمَّ , أو لتكمل اللذّة بالعلم به ؛ فإنَّ الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعةً واحدة لم يتقدّمْ حصول اللذة به ألمُ , وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النّفس إلى العلم بالمجهول , فيحصل لها بسبب المعلوم لَذَّةُ , وبسبب حرمانها عن الباقي ألم , ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذّة أخرى , واللذّة عقيبَ الألم أقوى من اللذّة التي يتقدمها ألم[2] , هذا يعني أنَّ الكلام إذا جاء مبهمًا أول الأمر ثُمَّ توضّح بعد ذلك , تولّد عنه نوع من اللّذة لدى المُتلقي , بحيث أنَّهُ يتعطش لمعرفة المزيد ؛ لأنَّ النفس البشرية تتوق دائمًا إلى الأمر الصعب المنال الذي يحتاج إلى جهد للوصول إليه فالمُتلقي يمر بثلاث مراحل عندما يلقى

---

(1) ينظر : أساس البلاغة : (وَضَحَ) , ولسان العرب المادة نفسها .

(2) ينظر : الإيضاح : 195/1 ، والتلخيص : 221 0 222 ، وأنوار الربيع في أنواع البديع : 31/6 .

اليه خبرٌ ما , فقبل سماعه للخبر يكون جاهلاً بالموضوع , وعندما يأتيه الخبر مبهمًا ينتقل إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة التّلهف إلى معرفة المزيد , وتُعدُ هذه المرحلة من أهم المراحل ، فمن خلالها نحكم على بلاغة الأديب ، فنجاح الأديب في إيصال المتلقي إلى هذه المرحلة يدلّ على تمكنه من اللغة والبلاغة ، ويكون هذا عن طريق إيراد المعنى بشكل مبهم وغير صريح ، أمّا المرحلة الأخيرة فهي مرحلة الفهم ، وتكون عن طريق إيضاح المعنى المُبهم ، فيعرف المتلقي القصد من الخبر والغرض منه[1] .

والإيضاح بعد الإبهام من ظواهر الإطناب المهمة التي تعمل على صعيد التركيب الجُملي ، إذ تقوم على أساس عرض المعنى بشكل تفصيلي توضيحي ، تُهيّئ ذهن المتلقي وتعطي للمعنى مدلولاً أوليًا ، ترتبط بالاستعداد الذهني لعملية الفهم ، فهي عملية تقوم على تلافي المفاجأة وحدوث انصراف في مسار المعنى ، وخروجه عن المقام[2] .

ويتضح هذا اللون من الإطناب في كتابات أحمد بن يوسف الكاتب ، منها قوله بين يدي المأمون : " الحمدُ لله يا أمير المؤمنين الذي استخصّك فيما استحفظك من دينه ، وقلّدك من خلافته ، بسوابغ نِعَمِهِ وفضائل قِسَمِهِ* ، وعرّفك من تيسير كلّ عسير جَاولك* عليه متمرّد حتى ذلّ ما جعله تكملة لما حباك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، حدًّا ناميًا زائدًا لا ينقطع أولاه ، ولا ينقضي أخراه ... "[3] ، فالقارئ يرى في قول الكاتب : (استخصّك فيما استحفظك من دينه ، وقلّدك من خلافته) كلامًا خفيًّا في الحكم ، نلحظ فيه غزارة الدلالة ، وتعدد المعاني ، فيردفه بكلام يوضّح ويُفسّر المراد ، ويكشف المستور من أمور الدين والخلافة بدلالة قوله : (بسوابغ نِعَمِهِ وفضائل قِسَمِهِ ، وعرّفك من تيسير كلّ عسير جَاولك عليه متمرّد حتى

---

(1) ينظر : الإطناب في روايات طه حسين ، دراسة أسلوبية : 24 .

(2) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم ، أنماطه ودلالاته : 83 .

* القِسَم : النصيب ، ينظر : أساس البلاغة (قسم) .

* جاولك : كان حولك ، ينظر : لسان العرب (جول) .

(3) أمراء البيان : 222/1 .

ذلّ) وهكذا ، فهذه الأمور هي كثرة النِّعَم ، والنصيب الأوفر ، والنظرة الحكيمة ، والنصر وغلبة الأعداء ، وعزّ البلاد وجمع الألفة بينهم .

ومنه أيضًا قول أحمد بن يوسف الكاتب مُخاطبًا المأمون : " فيا أيّها الإمام المنصور المهدي الرشيد ، حُزْتَ فضائل الآباء ، واهتديت بهدي الأنبياء ، أنشكرك على الإسلام ، فأنت القائم به الداعي له ، والناصر لحقّه ، أم نشكرك عن الأمصار ، فأنت المفتتح لممتنعها عنوةً ، والمتطوّل على أهلها بالرحمة ، والمتعطف عليهم بحسن الفائدة ، بعدما هيجت منك سَوْرة الغضب ، فأطفأتَ نارَها وأخمدتَ لهبها ، عُدت على من سَفِهَ وأضاع حقّه ، أم نشكرك على المساجد ، فأنت الذي أسستها على التقوى ، وعمّرتها بتلاوة القرآن ، وطهرت المنابر وركبتها ، تعلوها صائمًا ، وتنطق عليها صادقًا ، وتدعو إلى الرشد عليها ناصحًا ... أم نشكرك على البيت العتيق ، والركن والمقام والحجر وزمزم ومشاعر الحجّ ، وأنت ذَبَبْتَ عنها ، وأعدتَ إليها عهدها في مبعث نبيها ، فأمِنْتَ النازع إليها من كلّ فجٍّ عميق ... أم نشكرك عن رسول الله فيما حَفِظتَ فيه من عترته ... أم نشكرك عن العوام فقد ألبستَ المسلمين ثوب الأمن وأذقتهم طعم السِّعة والرفاهية ... أم نشكرك عن الملوك والقوّاد والأجناد ، فأنت الذي رفعتَ منازلهم ووفرتَ عددهم ... "[1] .

فقول الكاتب : (حُزْتَ فضائل الآباء ، واهتديت بهدي الأنبياء) قولٌ فيه إبهام على المتلقي ، فكأنّه يسأل : ما هي فضائل الآباء التي حازها المأمون ؟ وما هو هدي الأنبياء الذي اهتدى به المأمون ؟ ، فأردفه بقوله : (فأنت القائم به الداعي له ، والناصر لحقّه ، فأنت المفتتح لممتنعها عنوةً ، والمتطوّل على أهلها بالرحمة ، فأنت الذي أسستها على التقوى ، وعمّرتها بتلاوة القرآن ، والركن والمقام والحجر وزمزم ومشاعر الحجّ ، وأنت ذبّيت عنها) ، وهكذا بقية النصّ ، فهو إيضاح وتفسير لفضائل الآباء وهدي الأنبياء ، فقد وصف المأمون بأنّه الناصر لحقّ الإسلام والمسلمين ، وهو الناشر للرحمة والطمأنينة بين الأنصار ، وهو المعمّر للمساجد بالتقوى ، وقراءة القرآن ، وهو يعلو منابرها صائمًا بالخطبة البليغة التي تصغي لها

(1) جمهرة رسائل العرب : 3/353 – 354 .

الأسماع ، وتلين لها القلوب ، وهو الحامي والذابّ عن البيت العتيق والركن والمقام والحجر وزمزم ، ومشاعر الحجّ ، ووفّر الأمن للحجاج الذين يأتون من كلّ أنحاء العالم ، وهو الحافظ للرسول ﷺ ، وعترة أهل بيته (عليهم السلام) ، وهو الناشر للحقّ والعدل والرفاهية بين صفوف العوام من الناس ، وهو المُعزّ للقوّاد والجنود في رفع منازلهم ، وتوفير أرزاقهم ، وهو الذي شرّع الأحكام والسُّنن ، وفرضها بين الناس .

وبعد أن قُتِلَ الأمين كتب أحمد بن يوسف الكاتب إلى المأمون قائلاً : " ... كتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعدِهِ ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقِّهِ ، الكائد له فيما خان عهده ، ونَقْضَ عقده ... وقد وجهتُ إلى أمير المؤمنين بالدنيا وهو رأس المخلوع ، والآخرة وهي البردة والقضيب ... "[1] ، فجاء الإيضاح بعد الإبهام في قوله : (بالدنيا وهو رأس المخلوع ، والآخرة وهي البردة والقضيب) ، فقوله : (رأس المخلوع) هو إيضاح لمعنى (الدنيا) ، وكذلك قوله : (البردة والقضيب) هو إيضاح لمعنى (الآخرة) ، أي أنّ الدنيا هي رأس الأمين ، والآخرة هي الخلافة التي أصبحت من حقّ المأمون .

ونظير هذا اللون من الإطناب نجده في رسائل إبراهيم بن العباس الصولي منها قوله : " مثل الأصدقاء كالنار ، قليلها متاع ، وكثيرها بوار "[2] ، فقوله : (الأصدقاء كالنار) كلامٌ مبهمٌ حتى أردفه بتوضيح علاقة المشابهة بين الأصدقاء والنار ، بدلالة قوله : (قليلها متاع ، وكثيرها بوار) ، أي أنّ حسن اختيار الأصدقاء على قلتهم وقضاء حقهم يكون أنفع للإنسان من كثرة الأصدقاء ، الذين قد يتحولون إلى أعداء ، وهو ما عبّر عنه بقوله : (كثيرها بوار) .

وقال الصولي أيضًا في رسالة له إلى أهل حِمْص الخارجين عن خلافة المتوكل ، والداعين إلى العَصَبية : " أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين يرى من حقّ الله عليه ، مما قوّم به من أَوَدَ* ، وعدّل به من زَيْغَ ، ولَمَّ به من مُنْتَشِر ، استعمال

---

(1) أمراء البيان : 220/1 – 221 .

(2) المصدر نفسه : 271/1 .

ثلاث يُقدِّم بعضهنّ على بعض ، أولاهنّ ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثمّ ما يستظهر* به من تحذير وتخويف ، ثمّ التي لا يقع بحَسْم الداء غيرها ... "[1] ، فقوله : (فإنّ أمير المؤمنين يرى من حقّ الله عليه ، استعمال ثلاث يقدّم بعضهنّ على بعض) ، فهذه عبارة فيها إبهام وغموض ، فالقارئ يسأل : ما هي الأمور الثلاثة التي حقّ الله على المتوكل استعمالها ، والتي يقدّم بعضها على بعض ؟ فجواب هذا السؤال العبارة التي تليها ، بدلالة قوله : (أولاهنّ ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثمّ ما يستظهر به من تحذير وتخويف ، ثمّ التي لا يقع بحَسْم الداء غيرها) ، أي التنبيه ، ثمّ التخويف ، ثمّ القتل .

ونلمس هذا اللون من الإطناب أيضًا في رسائل الجاحظ ، منها قوله في رسالة (مناقب الترك) : " ... ومحبّة الوطن شيءٌ شامل لجميع الناس ، وغالب على جميع الجِيرة* ، ولكن ذاك في الترك أغلب ، وفيها أرسخ ؛ لما معها من خاصّة المشاكلة والمناسبة ، واستواء الشبه ، وتكافئ التراكيب ... "[2] ، فنجد قوله : (ومحبّة الوطن شيءٌ شامل لجميع الناس ، وغالب على جميع الجِيرة ، ولكن ذاك في الترك أغلب ، وفيها أرسخ) قولاً مبهمًا ، فكأنّ المتلقي يسأل : لِمَ محبة الترك للوطن أكثر من جميع الناس والنواحي ؟ فلكي يجيب على هذا السؤال ويزيل هذا الإبهام عنه أردفه موضحًا ذلك بقوله : (لما معها من خاصّة المشاكلة والمناسبة ، واستواء الشبه ، وتكافئ التراكيب) .

وقال الجاحظ في رسالة (المعاش والمعاد) : " ... واعلم أنّك ستصحب من الناس أجناسًا متفرقة حالاتُهُم ، متفاوتةً منازلُهُم ، وكلّهم بكَ إليه حاجة ، وكلّ طائفة تسدّ عنك كثيرًا من المنافع لا يقوم بها من فوقها ... فمنهم من تريد منه الرأي والمشورة ، ومنهم من تريده للحفظ والأمانة ، ومنهم من تريده للشدّة والغلظة ، ومنهم

---

* الأود : الاعوجاج ، ينظر : أساس البلاغة (أوَدَ) .

* يستظهر : يستعين ، ينظر : المصدر نفسه (ظهر) .

(1) معجم الأدباء : 187/1 ، وينظر : وفيات الأعيان : 10/1 .

* الجِيرة : الناحية ، ينظر : لسان العرب (جَوَرَ) .

(2) رسائل الجاحظ : 64/1 .

من تريده للمِهنة ... "[1] ، نلحظ في هذا المثال أنّ الجاحظ يرى أنّ الإنسان يصحب في حياته أناسًا مختلفة أجناسهم وألوانهم ومنازلهم ، وكلٌّ تتحقق من خلاله حاجة تعود على الإنسان بمنفعة ، بدلالة قوله : (وكلّهم بك إليه حاجة) ، ولكن في هذه المقولة إبهامًا ولبسًا على المتلقي في ماهية الحاجة من أولئك الأناس المتفرقة أجناسهم وألوانهم ومنازلهم ، لكن الكاتب أردفه بتفصيل هذه الحاجات ، فمنهم من يعود عليه بالرأي السديد والمشورة الحكيمة ، ومنهم من يحتاجه لحفظ أسراره ، ومنهم من يحتاجه لأيام العُسْر والضيق ، ومنهم من يحتاجهم لأداء وظيفة أو مُهمة معينة ، فهذا هو توضيحٌ وتفصيلٌ ؛ لكي تتضح في ذهن المتلقي طبيعة هذه الحاجات .

ومثله أيضًا قول الجاحظ في رسالة (كتاب القيان) : " ... وأنا مُبيّن لك الحسن ، هو التمام والاعتدال ، ولست أعني بالتمام تجاوز مقدار الاعتدال كالزيادة في طول القامة ، وكدقّة الجسم أو عِظَم الجارحة من الجوارح ، أو سعة العين أو الفم ... فإنّ هذه الزيادة متى كانت فهي نقصان من الحسن ... فكلّ شيء خرج عن الحدِّ في خُلُق ، حتى في الدّين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور ، فهو قبيحٌ مذموم ، وأمّا الاعتدال فهو وزن الشيء لا الكميّة ... "[2] ، نلحظ أنّ الجاحظ حصر الحسن بـ (التّمام والاعتدال) ، ثمّ وضّح مفهومي : (التمام والاعتدال) بأنّ التمام عدم خروج الشيء عن الحدّ المعقول ، سواءً في الطول ، أو العرض ، أو سعة العين ، أو الضم ، وحتى في الدين والحكمة ، فإنّ ذلك يُعدّ قبيحًا مذمومًا ، أمّا الاعتدال فهو وزن الشيء لا كميته .

ومنه قول الجاحظ في رسالة (المعلمين) : " ... أنّ العلمَ هو الأصل ، والأدب هو الفرع ، والأدب إمّا خُلُق وإمّا رواية ، وقد أطلقوا له اسم المؤدِّب على العموم ، والعلم أصلٌ لكلِّ خيرٍ ، وبه ينفصل الكرم من اللُّؤم ، والحلال من الحرام ، والفضلُ من الموازنة بين أفضل الخيرين ، والمقابلة بين أنقص الشرّين ... "[3] ،

---

(1) رسائل الجاحظ : 117/1 .

(2) المصدر نفسه : 162/2 .

(3) رسائل الجاحظ : 34/3 – 35 .

* يَغبُّ : يمكث ، ينظر : لسان العرب (غَبَبَ) .

الكاتب هنا جعل العلم هو الأصل ، والأدب هو الفرع ، ثمّ وضّح أصلية العلم وفرعية الأدب ، بأنّ الأدب يُطلق على الخُلُق ورواية الشعر والنثر ، أمّا العلم فهو أصل لكلّ خير ، فهو يفصل الخير عن الشرّ ، والحلال عن الحرام ، والكرم عن اللؤم .

وقال الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... وسماع الألفاظ ضارٌّ ونافعٌ ، فالوجه النافع : أن يدور في مسامعه ، ويغبُّ* في قلبه ، ويختمر في صدرِهِ ... والوجه الضارّ : أن يَتَحَفَّظ* ألفاظًا بعينها من كتاب بعينِهِ ، أو من لفظ رجل ، ثمّ يريد أن يعدّ لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ، فهذا لا يكون إلاّ بخيلاً فقيرًا ... "[1] نلحظ أنّ الجاحظ قسّم سماع الألفاظ على : ضارّ ونافع ، ثم أردفه بتوضيح هذين الوجهين بأنّ الوجه النافع هو أن تكون الألفاظ بليغة فصيحة ، تَعْلَق بالأذهان ، وتمكث في القلوب ، وتتآلف الألفاظ والمعاني فتخرج منها ثمرة طيّبة ، أمّا الوجه الضارّ فهو حفظ الألفاظ من كتاب أو من شاعر أو أديب معيّن ، والإصرار على استعمالها بعينها حتى تكون المعاني مرهونة بها ، وتصل إلى حدّ التكلف والمبالغة وهذا مذموم .

وقال ابن المدبّر في (الرسالة العذراء) : " ... واعلم أنّه لا يجوز في الرسائل ما أتى في آي القرآن من الاقتصار والحذف ، ومخاطبة الخاصّ بالعام ، والعام بالخاصّ ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى إنّما خاطب بالقرآن أقوامًا فصحاء فهموا عنه جلَّ ثناؤه أمرَهُ ونهيه ومرادَهُ ، والرسائل إنّما يُخاطب بها قومٌ دُخلاء على اللغة لا علمَ لهم بلسان العرب ... وكذلك لا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر ؛ لأنّ الشعر موضع اضطرار فاغتفروا فيه الإعراب ، وسوء النظم ، والتقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ... "[2] ، فبيّن ابن المُدبّر في هذا النصّ أنّه لا يجوز لكُتّاب الرسائل استعمال ما جاء في كتاب الله الجليل ، من الاختصار والحذف ، ومخاطبة العام بالخاصّ أو العكس ، موضحًا ذلك بأنّ القرآن يُخاطب الفُصحاء من العرب

---

* تحفظ الكتاب : استظهره شيئًا بعد شيء ، ينظر : المصدر نفسه (حفظ) .

(1) رسائل الجاحظ : 3/41 – 42 .

(2) الرسالة العذراء : 18 – 19 .

وأهل العقول ، الذين يفهمون أوامره ونواهيه ، بينما الرسائل يُخاطب بها أقوامٌ أجانب لا علمَ لهم بلسان العرب ، وبيّن أيضًا بأنّه لا يجوز لكُتّاب الرسائل استعمال ما أتى به الشعراء في أشعارهم من صرف ما لا ينصرف ، وحذف ما لا يُحذف ، والإضمار في موضع الإظهار وغيره ، موضحًا سبب ذلك بأنّ الشاعر مُضطر ، والشعر مُقيّد بوزن وقافية ، وهذا لا نجده في الرسائل .

ونظير ذلك رسالة أبي العيناء ، قال فيها : " ... إنّ الكريم المنكوب أجرأ على الأحرار من اللئيم الموفور ؛ لأنّ اللئيم يزيد مع النعمة لؤمًا ، والكريم لا يزيد مع المحنة إلاّ كرمًا ، وهذا مُتكل على رازقِهِ ، وهذا يُسيء الظنّ بخالقِهِ ... "[1] أشار الكاتب في هذا النصّ إلى أنّ الإنسان الكريم المنكوب وإن فقدَ ماله وداره يَظلُّ أهدى إلى طريق الصواب من الإنسان اللئيم الموفور النّعمة ، موضحًا ذلك بأنّ الكريم يزداد مع المِحَن كرمًا ، بينما يزداد اللئيم مع النعمة لؤمًا وطمعًا ، والكريم المنكوب يتوجّه إلى خالقِهِ في جميع أموره ، أمّا اللئيم فيسيء الظنّ به .

كما نلمس هذا اللون من الإطناب عند ابن المعتز في قوله عن (القرآن وبلاغته) : " وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفي ... وهو المبلِّغ الذي لا يُملّ ، والجديد الذي لا يُخلقُ ، والحقّ الصادع ، والنور الساطع ، والماحي لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي للكذب ، ونذيرٌ قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعي الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المُخلدة ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة ، إن أوجز كان كافيًا ، وإن أكثر كان مذكرًا ، وإن أومأ كان مُقنعًا ، وإن أطال كان مُفهمًا ، وإن أمر فناصحًا ، وإن حكم فعادلاً ... "[2] .

بيّن ابن المعتز أنّ فضل القرآن يكون على سائر الكلام وهذا معروف غير مجهول ، موضحًا هذا التفضيل من خلال ذكر الصفات العظيمة التي يتصف بها القرآن ، فهو مبلغ رسالة الإسلام من دون ملل ، ويتصف بالحق والنور الذي يستضيء به الناس ، والماحي للضلالة ، والداعي للخير ، ومبشر بالآخرة ،

---

(1) زهر الآداب : 324/1 .

(2) رسائل ابن المعتز : 63 .

ويتصف بالعدل والصدق ، والحجة البليغة المقنعة ، والشافي ، وهو السهل الممتنع ، ويتميّز ببلاغة الإيجاز والإطناب ، وهو غذاء العقول وشفاء الصدور .

ب – التّذييل

التذييل في اللغة : هو آخر كلّ شيء من الأزرار والثوب وما جُرَّ ، وتذيّل في كلامه : تبسّط فيه[1] ، أمّا المعنى الاصطلاحي فيكاد ينبثق من هذا المعنى ، فقد عرّفه العسكري بقوله : " فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتوكّد عند من فهمه ، وهو ضدّ الإشارة والتعريض ، وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ؛ لأنّ تلك المواطن تجمع البطيء الفهم ، والبعيد الذهن ، والثاقب القريحة ، والجيّد الخاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكّد عند الذهن اللّقن ، ووضح للكليل البليد "[2] .

أمّا ابن أبي الأصبع المصري (ت654هـ) فقد عرّفه بقوله : " التذييل هو أن يُذيّل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام ، وتلك الجملة على قسمين : قسم لا يزيد على المعنى الأول ، وإنّما يؤتى به للتوكيد والتحقيق ، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله "[3] .

وذهب الخطيب القزويني (ت739هـ) إلى أنّ التذييل هو : " تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد ، وهو ضربان : ضربٌ لا يخرج مخرج المثل ؛ لعدم استقلاله بإفادة المراد ، وتوقفه على ما قبله ... وضربٌ يخرج مخرج المثل "[4] .

وقال يحيى بن حمزة العلوي (ت749هـ) : " وهو عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام ؛ لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام ، وذلك التحقيق قد

---

(1) ينظر : أساس البلاغة (ذيل) ، ولسان العرب (ذيل) .
(2) كتاب الصناعتين : 387 .
(3) تحرير التحبير : 387 .
(4) الإيضاح : 200/1 – 202 .

يكون لمنطوق الكلام ، وتارةً يكون لمفهومه "[1] وشروطه استنادًا إلى هذه التعريفات هي :

1- أن يكون في أثناء الكلام وفي آخره .

2- لا يكون إلاّ بجملة .

3- لا يكون إلاّ للتوكيد والتوضيح .

وجميل هذا اللون من الإطناب نلمسه في قول أحمد بن يوسف الكاتب في رسالة شكر : " ... الحمد لله الذي اصطفى محمدًا ﴿ﷺ﴾ نبيًا لرسالته ، وائتمنه على وحيه ، وأنزل عليه كتابه العزيز ... وجمع الألفة بعد الفرقة ، وأوضح الهدى بعد الدروس* ، ومعالم الرشد بعد الطموس ، وكان بالمؤمنين رحيمًا ... "[2] ، فجاء قوله : (وكان بالمؤمنين رحيمًا) تذييلاً من النوع الذي لم يجرِ مجرى المثل ، فهو تأكيد وتقرير للمعنى المتقدّم ، بأنّه ﴿ﷺ﴾ رَحِمَ المؤمنين برسالته العظيمة ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وبشرهم بالجنة ، وجمع الألفة بينهم ، وأوضح لهم معالم الهدى والرشد ، وفرّق بين الخير والشرّ ، والحلال والحرام .

ومثله قول أحمد بن يوسف الكاتب في السّلامة : " وقد أفادني الله بما ورد عليَّ من كتاب أمير المؤمنين سرورًا وابتهاجًا ، أيام أظلّ ما أظلّ من بركات اقترابه ، وشارف من اليُمن والسعادة في رؤيته ، واحتدت بذلك فيمن قبلي ، فكلّ سُرّ واستبشر ودعا وتشكر "[3] ، فإنّ قوله : (فكلّ سُرّ واستبشر ودعا وتشكر) تذييل لم يجرِ مجرى المثل ، أفاد به الكاتب تأكيد المعنى المتقدّم ، وهو الفرح والسرور بسلامة أمير المؤمنين .

وقال الكاتب نفسه إلى رجلٍ يحثه على استتمام صنائعه عنده : " مستتمُّ الصنيعة من صابرها ، فعدّل زيغَها ، وأقام أودَها ؛ صيانةً لمعروفِهِ ، ونُصرةً لرأيه ،

---

(1) الطراز : 453 ، وللمزيد ، ينظر : التذييل في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية .

* الدروس : الإمحاء ، ينظر : لسان العرب (دَرَسَ) .

(2) جمهرة رسائل العرب : 346/3 .

(3) جمهرة رسائل العرب : 377/3 .

فإنّ أول المعروف مستخفٌّ ، وآخره مستثقل ، تكاد أوائله تكون للهوى ، وأواخره تكون للرأي ، ربّ الصنيعة أشدّ من ابتدائها "[1] .

نلحظ في هذا النصّ نوعين من التذييل : الأول قوله : (تكاد أوائله تكون للهوى ، وأواخره تكون للرأي) وهو نوع من التذييل الذي لم يجرِ مجرى المثل ، حيث أراد به توكيد قوله : (فإنّ أول المعروف مستخفٌّ ، وآخره مستثقل) ، أمّا النوع الآخر من التذييل فهو قوله : (ربّ الصنيعة أشدّ من ابتدائها) وهو تذييل جارٍ مجرى المثل ، فإنّه أفاد التوكيد والتقوية للمعنى المُقدّم ذكره ، وهو استتمام صنائعه عنده .

وجاء هذا الإطناب عند سهل بن هارون ، وذلك بعد أن فرغ المأمون من مخاطبة الناس ، قال سهل : " ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتعجبون ولا تصغون ، أَمَا والله إنّه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدّهر الطويل ... لكن كيف يشعر بالدواء من لا يعرف الداء "[2] ، فجاء التذييل في قوله : (كيف يشعر بالدواء من لا يعرف الداء) وهو جارٍ مجرى المثل ، وقد أفاد هنا التأكيد على بلاغة المأمون ، وذمّ بلاهة المخاطب .

وكتب إبراهيم بن العباس الصولي قوله : " ... وأمير المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه ، أن يصلي على محمدٍ عبده ورسوله صلّى الله عليه وملائكته ، وأن يحفظه ويكرمه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولّى ما ولاّه مما لا يبلغ حقّه فيه إلاّ بعونه ... إنّه كريمٌ رحيمٌ "[3] ، وهو تذييلٌ من النوع الذي لم يجرِ مجرى المثل ، أراد به تأكيد معنى قوله : (أن يحفظه ويكرمه فيما استخلفه عليه من أمر دينه) .

وقال الكاتب نفسه في تحميدٍ له : " الحمد لله الغالب ذي القدرة ، والقاهر ذي العزّة ، الذي لم يقابل بالحقّ باطلاً في موطن من مواطن التحاكم بين عباده ، إلاّ جعل أولياء الحقّ منهم حِزْبَه وجندهُ ، وجعل الباطل بهم فَلاًّ* منكوبًا ، ودحيضًا زهوقًا ... وعادة الله وإرادته في الفئة المنصورة أن تعزّ فلا تُرام وأن يُمكّن لها في

---

(1) المصدر نفسه : 395/4 .

(2) العقد الفريد : 109/2 .

(3) جمهرة رسائل العرب : 153/4 .

* فَلَّ : انهزم ، ينظر : لسان العرب (فلل) .

الأرض كما مكّن للذين من قبلها ... والله عزيزٌ حكيمٌ "[1] ، وجاء التذييل في قوله : (والله عزيزٌ حكيمٌ) ، وهو من النوع الذي لم يجرِ مجرى المثل ، وقد جيء به لتأكيد قوله : (والقاهر ذي العزّة) ، وقوله : (أنْ تعزّ فلا ترام) .

ونظير هذا الإطناب في رسائل الجاحظ ، قوله في رسالة (كتمان السرّ وحفظ اللسان) : " ... فإنّ الله تبارك وتعالى لم يَخْلُق مذاقًا أحلى من العدل ، ولا أروحَ على القلوب من الإنصاف ، ولا أمرَّ من الظلم ، ولا أبشعَ من الجَور ... إنّما يَعرفُ الظلمَ من حُكِمَ به عليه ... "[2] ، فقوله : (إنّما يَعرفُ الظلمَ من حُكِمَ به عليه) تذييل جارٍ مجرى المثل ، وقد أفاد تأكيد المعنى وتقريره ، أي أنّه لا يعرف مرارة الظلم إلاّ من حُكِمَ عليه جورًا .

وقال الجاحظ في رسالة (الجدّ والهزل) : " ... ومما يدلّ من فضل الكلام على الصمت أنّك بالكلام تُخْبر عن الصمت وفضله ، ولا تُخبر بالصمت عن فضل الكلام ... فجعل حظّ السكوت السلامة وحدها ، وجعل حظّ القول الجمع بين الغنيمة والسلامة ، وقد يَسلم من لا يَغنم ، ولا يَغنم إلاّ من قد سَلِمَ ... "[3] .

وجاء التذييل في قوله : (قد يَسلم من لا يَغنم ، ولا يَغنم إلاّ من قد سَلِمَ) ، وهو جارٍ مجرى المثل ، أي أنّ في الصمت السلامة فقط ، أمّا الكلام فيجمع بين السلامة والغنيمة .

وقال الجاحظ في رسالة (نفي التشبيه) : " ... وذلك أنّ للشباب سكرةً وطماحًا وقِراعًا وصَولةً ، والهرم داخل على جميع الأعضاء ... على قدر ما نقص من قُوى جسمه ، وتُنتقص من قُوى شهوته ، ويخفّ عليه مخالفة هواه ومحاربة نوازعه ، ومن حمل على نفسه في كمال شبابه ، وأيام سكرته ، وفي سلطان جدّته وكمال قوّته ... كان أبرز طاعةً ، إذ كان أحمل للمشقة ، وعلى قدر المشقة تكون المثوبة ، وتُعَظَّم عند الله المنزلة ... "[4] . فجاء قوله : (وعلى قدر المشقة تكون

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 155/4 .

(2) رسائل الجاحظ : 161/1 .

(3) رسائل الجاحظ : 258/1 – 259 .

(4) المصدر نفسه : 294/1 – 295 .

المثوبة) تذييلاً جاريًا مجرى المثل ، أي كلما حَفِظَ الإنسان لسانه ويده عن أخيه الإنسان زادت مثوبته وأجره ، وعَظُمَت منزلته عند الله تعالى ، وزادت محبته في قلوب الناس ، فجاء التذييل هنا مؤكدًا ومقررًا للمعنى .

ومثله قول الكاتب نفسه في رسالة (ذمّ أخلاق الكُتّاب) : " ... فإن ألفيتَ عليهم الإخلاص وجدتَهم كالزَّبد يذهب جُفاءً ، وكنَبْتة الربيع يحرقها الهيف من الرياح* ، لا يستندون من العلم إلى وثيقة ، ولا يدينون بحقيقة أخْفر* الخلق لأماناتهم ، وأشراهم بالثمن الخسيس لعهودهم ، الويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويلٌ لهم مما يكسبون ... "[1] ، فجاء التذييل في قوله : (ويلٌ لهم مما يكسبون) ، وهو من النوع الذي لم يجرِ مجرى المثل ، جيء به لتأكيد التحذير والوعيد في قوله : (الويل لهم مما كتبت أيديهم) . وقال الكاتب نفسه في الرسالة نفسها : " ... لا أعلم أهل صناعةٍ إلاّ وهم يَجْرُون في ذلك إلى غاية محمودة ، ويأتون منه آيةً مذكورةً إلاّ الكُتّاب ، فإنّ أحدهم يتحاذق عند نظرائه بالاستقصاء على مثله ، أو يسترجح رأيه إذا بلغ في نكاية رجلٍ من أهل صناعته ... هم كالهَرِمة من الكلاب في مرابضها ، يمرّ بها أصناف الناس فلا تَحَرَّك ، وإن مرَّ بها كلبٌ مثلها نهضت إليه بأجمعها حتى تقتله ... "[2] ، فجاء التذييل في قوله : (هم كالهَرِمة من الكلاب في مرابضها ، يمرّ بها أصناف الناس فلا تَحَرَّك ، وإن مرَّ بها كلبٌ مثلها نهضت إليه بأجمعها حتى تقتله) ؛ لبيان تحاذق الكُتّاب على نظرائهم ، فإنّهم كالكلاب الكبيرة السنّ العاجزة ، فهي لا تقوم على أصناف الكلاب الأخرى الأقوى منها جأشًا ، وإنّما تقتل من هو نظيرها في العَجْز وكِبر السنّ ، ولم يجرِ التذييل هنا مجرى المثل ، ولكنّه جاء بصيغة التشبيه .

---

* الهيف من الرياح : ريح حارة تأتي من اليَمن ، ينظر : لسان العرب (هَيَف) .

* أخفر : نقض العهد ، ينظر : أساس البلاغة (خَفَرَ) .

(1) رسائل الجاحظ : 199/2 .

(2) رسائل الجاحظ : 200/2 .

* أولاد علاّت ، أي من نساء شَتّى ، ينظر : أساس البلاغة (عَلَلَ) .

* حَنَق : غيظ وحقد ، ينظر : المصدر نفسه (حنق) .

وقال الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... ثمّ كأنّكم أولاد عَلاّت* ، وضرائر أمهات ، في عداوة بعضكم بعضًا ، وحنقِ* بعضكم على بعض ، أُفٍ لكم ولأخلاقكم ... "[1] ، فقوله : (أفٍ لكم ولأخلاقكم) تذييل لم يجرِ مجرى المثل ، جيء به لتأكيد ذمّ طبائع الكُتّاب وأخلاقهم .

ونلمس هذا الإطناب في قول سعيد بن حميد : " ... فهزم بالقليل من عدوّهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب بضعفائهم أهل القوّة وممن ناوأهم* ، ففلَّ* بهم حَدّهم ، وفضَّ جموعهم وأفتح حصونهم وحريز* معاقلهم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق وعده لهم فيهم ، والله لا يخلف الميعاد "[2] ، فالتذييل هنا جاء في قوله : (والله لا يخلف الميعاد) ، وهو لم يجرِ مجرى المثل ، أفاد به تأكيد قوله : (وأنجز سابق وعده لهم وفيهم) ، ففيه تنزيه الله ﴿ﷻ﴾ مخالفة وعده لرسوله ﴿ﷺ﴾ بنصره وغلبة أعدائه .

وكتب أبو العيناء إلى أبي نوح يهنئه بإسلامه : " لقد عَظُمَت نعمة الله عليك في منابذة* أهل الذّلة والصغار ، والكفر والإصرار ... فهَنّأك الله بما انعم به عليك ... "[3] ، فقوله : (فهنّأك الله بما أنعم به عليك) تذييل لم يجرِ مجرى المثل ، وإنّما جيء به لتوكيد قوله : (لقد عَظُمَت نعمة الله عليك) .

ومن نصوص ابن المعتز التي تتضمن هذا اللون من الإطناب قوله في دعوة بالشفاء : " آذَنَ الله في شفائك ، وتلقّى داءَك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجّه وافد السلامة إليك ، وجعل علّتك ماحيةً لذنوبك ، مُضاعفةً لثوابك "[4] ،

---

(1) رسائل الجاحظ : 201/2 .

* ناوأهم : عاداهم ، ينظر : أساس البلاغة (نَوَأ) .

* فلَّ : ثلم ، ينظر : لسان العرب (فلل) .

* الحريز : المنيع والحصين ، ينظر : المصدر نفسه (حرز) .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 97 .

* منابذة : مخالفة ، ينظر : لسان العرب (نَبَذَ) .

(3) جمهرة رسائل العرب : 138/4 .

(4) زهر الآداب : 226/1 .

فالتذييل في قوله : (ومسح بيد العافية عليك ، ووجّه وافد السلامة إليك) ، وهو من النوع الذي لم يجرِ مجرى المثل ، لكنّه جيء به لتوكيد قوله : (وتلقّى داءَك بدوائك) .

وقال ابن المعتز أيضًا في السلطان وصحبته : " ... ومن شارك السلطان في عزّ الدنيا قاربه في ذلّ الآخرة ، كما أنّ أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقًا ، وما أحلى تلقّي النعمة وأمرّ عاقبة الفراق ... ومن لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم يقع سيف حينه إلاّ على مقاتله ... "[1] ، فالتذييل في قوله : (من لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم يقع سيف حينه إلاّ على مقاتله) وهو جارٍ مجرى المثل ؛ تأكيدًا وتقريرًا للمعنى المقصود .

ج – التَّوشيع

التوشيع في اللغة : هو لفّ القطن بعد ندفِهِ[2] ، وفي اصطلاح البلاغيين هو أن يؤتى في عَجُز الكلام – نظمًا كان أو نثرًا – بمثنى مُفسّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر[3] ، نحو قول الرسول ﷺ : (يَشبّ ابن آدم وتشبّ فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل)[4] .

ويدرج البلاغيون هذا اللون من الإطناب تحت مفهوم الإيضاح بعد الإبهام ، وقد آثرنا هنا دراسته بصورة مستقلة ؛ لأنّه يقوم على علاقة دلاليّة – نحوية بين اسمين معطوفين أحدهما على الآخر ، في حين أنّ مفهوم الإيضاح بعد الإبهام يأخذ مجالاً أوسع من ذلك ، فهو يخرج إلى التفصيل والتعليل .

ومن نماذج التوشيع في مكاتبات القرن الثالث الهجري ، ما جاء في رسالة أحمد بن يوسف الكاتب في العتاب ، والتي قال فيها : " لا تجوز قطيعةُ الصديق ؛

---

(1) الأوراق ، قسم أسفار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 287/2 – 288 .

(2) ينظر : لسان العرب (وشع) .

(3) ينظر : تحرير التحبير : 316 ، وحسن التوسل : 274 ، وجوهر الكنز : 281 ، والمطول : 493 ، والأطول : 69/1 ، والبلاغة الاصطلاحية : 275 .

(4) البداية والنهاية : 353/13 .

لأنّها لا تخلو من أحد وجهين : إمّا ضعف في نفس الاختيار ، وإمّا ملل ، وكلاهما لا حجة فيه "[1] ، فقوله : (وجهين) هو المثنى ، وقد فسّره باسمين أحدهما معطوف على الآخر ، وهو قوله : (الضعف والملل) . ومن نماذج هذا اللون أيضًا ما ورد في رسائل سهل بن هارون ، منها رسالته التي كتبها إلى صديقٍ له ، قال فيها : " بلغني خبر الفَتْرة في إلمامها وانحسارها ، والشكاة في حلولها وارتحالها ، فكاد يشغل القلق بأوّله عن السكون لآخره ... وكان تغيّري في الحالين بقدرهما : ارتياعًا للأولى ، وارتياحًا للأخرى "[2] ، فقوله : (الحالين) هو المثنى ، وقد فسّره باسمين معطوفين : (ارتياعًا ، وارتياحًا) .

وجاء في قول إبراهيم بن العباس الصّولي في تحميدٍ له : " الحمد لله الغالب ذي القدرة ، والقاهر ذي العزّة ، والذي لم يقابل بالحقّ باطلاً في موطِن التحاكم بين عبادِهِ ، إلاّ جعل أولياء الحقّ منهم حِزبه وجُنده ... حتى يكون الحقّ الطالب الأعزّ ، والباطل المطلوب الأذلّ ، وأولياء الحقّ الأعْلَين يَدًا وأيْدًا* ، وأشياع الضلال الأحسرين أعمالاً وكيدًا ... "[3] ، يلاحظ على الرسالة أنّها تضمنت تحميد الله ﷻ وقدرته وحكمه العادل بين عباده ، فقد نصر أولياء الحقّ ، واتخذهم جنده ، وجعلهم الأعلين في الكرم والقوّة ، وذلّ أهل الباطل وجعلهم الأخسرين في أعمالهم ومكرهم ، وجاء التوشيع في قوله : (الأَعْلَين) ، وهو المثنى المُفسّر باسمين معطوفين هما : (يَدًا وأيْدًا) ، وكذلك قوله : (الأخسرين) ، وهو المثنى المُفسّر باسمين معطوفين هما : (أعمالاً وكَيْدًا) .

ولا تخلو رسائل الجاحظ من هذا اللون – التوشيع – فقد قال في رسالة (مناقب الترك) : " ... والأنصار أنصاران : الأوس والخزرج نصروا النبيَّ ﷺ في أوّل الزمان ، وأهل خُراسان نصروا ورثتَهُ في آخر الزمان ... "[4] ، فقوله :

---

(1) العقد الفريد : 214/4 .

(2) شرح العيون : 245 .

* الأيْد : القوّة ، ينظر : لسان العرب (أيد) .

(3) جمهرة رسائل العرب : 155/4 .

(4) رسائل الجاحظ : 15/1 .

(أنصاران) هو مثنى مفسّر باسمين معطوفين هما : (الأوس والخزرج) ، وهؤلاء نصروا النبيَّ ﷺ أوّل الدعوة ، ثمّ (أهل خراسان) الذين نصروا أولياءَهُ آخر الزمان .

وقال الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... وطُلاّب الطوائل رجلان : سجستانّي ، وأعرابي ، وهل أكثر النقباء إلاّ من صميم العرب ، ومن صليبة هذا النسب ... "[1] ، وقع التوشيع في قوله : (رجلان) ، وهو مثنى مفسّر باسمين معطوفين (سجستاني وأعرابي) ، وهما من طُلاب التفاخر والتنازع في الشرف والرفعة ، ثمّ فضَّلَ الأعرابي على السجستانيّ في مأثره ومخابره .

وقال الكاتب نفسه في الرسالة نفسها : " ... والعرب بعد هذا صنفان : عدنان وقحطان ... "[2] ، فالكاتب يتفاخر بأنساب العرب ، وهما عدنان وقحطان وهذه أنسابٌ عالية الهِمَّة ، والفطنة البصيرة النافذة ، وقد آثرهم على الأتراك ، فالتوشيع في قوله : (صنفان) وهو مثنى مفسّر باسمين معطوفين (عدنان وقحطان) .

وقال الجاحظ في رسالة (المعاش والمعاد) : " ... ولله ابتلاءان في خَلْقِهِ – والابتلاء هو الاختبار – ابتلاء بنعمة ، وابتلاء بمصيبة ، وبقدر عظمها يجب التكليف من الله عليها ... "[3] ، فالكاتب يُشير في هذا النصّ إلى أنّ الله تعالى يختبر عبدَهُ اختبارين : الأول اختبار الغِنى والقوّة والرفاهيّة ، والآخر الاختبار بالمصيبة والمِحنة وضنكة العيش ؛ لمعرفة مدى صبره ، وشكره ، ويحصي سعيه ، ثمّ يُوفّيه أجره أو عِقابه ، فالتوشيع يقع في قوله : (ابتلاءان) ، وهو مثنى مفسّر باسمين معطوفين (ابتلاء بنعمة ، وابتلاء بمصيبة) .

وقال الجاحظ في الرسالة نفسها : " ... فإنّ الأثرةَ على الهوى توجب السخطة ، وتوجب استصغار عظيم النِّعمة ، ويُمحق بها الإفضال ، وتفسد عليها طائفتان : من آثرتَ ، ومن آثرتَ عليه ... "[4] ، نلحظ في هذا النصّ أنّ الكاتب يذمّ اتّباع

---

(1) المصدر نفسه : 22/1 .

(2) رسائل الجاحظ : 74/1 .

(3) المصدر نفسه : 100/1 .

(4) رسائل الجاحظ : 106/1 .

الهوى أو الميل في الحكم ؛ لتحقيق غاية شخصية أو مصلحة ، فهذا سبيل إلى الفساد والطّعن بالآخرين ، فيقع ضرره على المرء الذي تقدّمه ، أو تفضله على غيره من دون استحقاق بل لغاية ، أو مصلحة شخصيّة تنتهي علاقته به بعد انتهاء مصلحته ، فيبقى المرء الذي فضلته في حالة ترقب في أن تنتقل مصلحته إلى غيره ، وكذلك يقع الضرر على المرء الذي آثرتَ عليه ؛ لسلبه حقّه من دون إنصاف أمره ، فإنّه ينصب لك العداء والبغضاء ، فقد ألزمته الحجة عليك ، فالتوشيع في هذا النصّ في قوله : (طائفتان) ، وقد فسرهما الكاتب باسمين معطوفين هما : (مَنْ آثرتَ ، ومَن آثرتَ عليه) .

وقال الجاحظ في رسالة (النساء) : " ... ورجلان من الناس لا يعشقان عِشْق الإعراب : أحدهما الفقير المُدقع* ، فإنّ قلبه يُشغل عن التوغل فيه وبلوغ أقصاه ، والملك الضخم الشأن ؛ لأنّ في الرياسة الكبرى ، وفي جواز الأمر ونفاذ النَّهي ، وفي مِلْك رقاب الأمم ، ما يشغل شَطْرَ قوى العقل عن التوغل في الحبّ ... "[1] ، فالتوشيع في قوله : (رجلان) وهو مثنى مفسر باسمين معطوفين هما : (الفقير ، والمَلِك) ، وهما اللذان لا يعشقان عشق الأعراب ، وعشق الأعراب عشق يتميّز بأنّه أبلغ غايات الحبّ ، ففيه يحترق الحبيب من شدّة عشقه وشوقه لمحبوبه ، فالإنسان الفقير لا يصل إلى تلك الدرجة من العِشق ؛ لأنّه مُنْشغِل بكسب قوّته لسدِّ رَمَقه .

أمّا الملك الضخم فهو صاحب الرياسة العليا في الدّولة ، وهو مسؤول عن رعيته وحقوقهم وحاجاتهم ، وعن تنظيم شؤون الدولة ، فإنّ العقل لا ينشغل بالتوغل في (الحبّ) والاحتراق في العشق .

وقال الكاتب نفسه في رسالة (حجج النبوة) : " ... والحجة حجتان : عِيانٌ ظاهرٌ ، وخبرٌ قاهرٌ ... "[2] ، فقد قسّم الكاتب الحجة أو الدليل على نوعين : الأول هو شاهد عيان يدلّ على من تقوم عليه الحجّة ، والآخر مجيء خبر يدلّ على

---

* المُدقع : هو شديد الفقر ، ينظر : أساس البلاغة (دقع) .

(1) رسائل الجاحظ : 154/3 .

(2) المصدر نفسه : 225/3 .

صدق ، فالتوشيع في قوله : (حجتان) وهو مثنى مفسر باسمين معطوفين : (عيانٌ ظاهرٌ وخبرٌ قاهرٌ) .

وقال الجاحظ في رسالة (المودّة والخُلطة) : " ... والأدب أدبان : أدبُ خُلُقٍ ، وأدبُ روايةٍ ، ولا تكتمل أمور صاحب الأدب إلاّ بهما ... "[1] ، فنلحظ التوشيع في قوله : (أدبان) ، وهو مثنى وقد فسّره الكاتب باسمين معطوفين هما : (أدبُ خُلُق وأدب رواية) ، فالأول (أدبُ خُلُق) يقصد به الأخلاق الحسنة والكرم والشجاعة ، أمّا الآخر (أدب رواية) فيقصد به رواية الشعر والنثر ، فهاتان خصلتان لا يكتمل الأديب إلاّ بهما ، وبهما ترتقي الأمم وتزدهر الشعوب .

ومثله قول ابن المدبّر في (الرسالة العذراء) : " ... والدالّ على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعَقْد ، وخط ، وذكر أرسطاليس خامسًا وهو النّصبة ... وأوضح هذه الدلائل صنفان : اللسان والقلم ، وكلاهما يترجمان ويدلاّن على القلب ... "[2] ، فقد صنّف الكاتب الدال على المعنى أربعة أصناف هي : اللفظ ، والإشارة ، والعَقْد ، والخطّ ، وأضاف أرسطاليس صنفًا خامسًا ، وهو النّصبة ، وقد آثر الكاتب (اللسان والقلم) أي (اللفظ والخط) على الأصناف الأخرى ؛ لوضوحهما ودلالتهما على المعنى ، فهما يترجمان ويدلان عن مكنون القلب ، ويؤديان ما لا تؤديه الأصناف الأخرى ، فيقع التوشيع في قوله : (صنفان) وهو مثنى وقد فسره الكاتب باسمين معطوفين : (اللسان والقلم) .

د- ذكر الخاصّ بعد العام ، و(ذكر العام بعد الخاصّ)

ويُذكر " للتنبيه على فضله ، حتى كأنّه ليس من جنسِهِ ؛ تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات "[3] ، أي أنّ فائدة (ذكر الخاصّ بعد العام) التنبيه على فضل الخاص ، حتّى كأنّه لفضلِهِ ورفعتِهِ جزء آخر مغاير لما قبله ، أمّا (ذكر

---

(1) المصدر نفسه : 195/4 .

(2) الرسالة العذراء : 40 ، وأصل هذا الكلام يعود للجاحظ ، ينظر : البيان والتبيين : 70/1 .

(3) الإيضاح : 197/1 ، وينظر : التلخيص : 223 .

العام بعد الخاصّ) فإنّ فائدته شمول بقية الأفراد ، والاهتمام بالخاصّ لذكره ثانيًا في عنوان عام ، بعد ذكره أولاً في عنوان خاصّ[1] .

ومن جميل ما وقع في هذا اللون من الإطناب في (رسالة الخميس) لأحمد بن يوسف الكاتب من قوله : " ... فالحمدُ لله القادر القاهر ، الباعثِ الوارث ، ذي العزّة والسلطان ، والنور والبرهان ، فاطر السموات والأرض وما بينهما ... "[2] حيث جاء هنا ذكر الخاص بعد العام ، حيث ذكر ألفاظًا خاصّة مثل : (القهر ، والبعث ، والوراثة ، والعزّ ، والسلطان ، والنور ، والبرهان ، وخلق السموات والأرض) بعد أن ذكر لفظًا عامًا يشمل هذه الألفاظ الخاصّة ، وهو قوله : (قادر) أي الله ﴿ﷻ﴾ قادر على كلّ شيء ، أي قادر على القهر ، والبعث ، والوراثة ، وعزّ الإنسان ، وسلطانه ، وذلّه ، وبعث النور والبراهين القاطعة ، وله ﴿ﷻ﴾ القدرة على خلق السموات والأرض ، وغيرها من الصفات التي شَمِلَت قدرته تعالى ، فقد نبّه على أهمية هذه الألفاظ الخاصّة بعد أن ذكرها تحت لفظ عام يشملها .

ومثله قول عمرو بن مسعدة في وصف وزير : " إنّي التمستُ لأمري رجلاً جامعًا لخصال الخير ، ذا لطفٍ في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، إن ائتمنها على الأسرار كتمها ، وإن قُلِّد مهمات الأمور نهض بها ، يُسكته الحِلم ، ويُنطِقُهُ العلم ، تكفيه اللحظة ، وتُغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء ، وفِهم الأدباء ، يسترق قلوب الرجال بحلاوة كلامه ، ويُعجز الفضلاء بفصاحة لسانه ، وحُسن بيانه ، ويودّع محبته القلوب بلطائف إحسانه ، إن أُحسِنَ إليه شكر ، وإن أُبتلي بالإساءة صبر وانتظر ... "[3] .

بعد تأمل النصّ نلحظ بأنّ عمرو بن مسعدة جاء بذكر الخاصّ بعد العام ، فالخاص هو (لطف الخلائق ، واستقامة الطرائق ، والتهذيب ، والحكمة ، والموعظة ، وكتمان السرّ ، والحلم ، والعلم ، والفصاحة ، والبلاغة ، والشكر ، والصبر) ، بعد

---

(1) ينظر : جواهر البلاغة : 191 .

(2) جمهرة رسائل العرب : 318/3 .

(3) تحفة الوزراء : 57 .

أن ذكر العام وهو (خصال الخير) حيث أنّ خصال الخير لفظٌ عام يشمل الأمور الخاصة ، فقد جاء التنبيه هنا على هذه الألفاظ الخاصّة ، بعد أن ذكرها تحت لفظٍ عامٍ يشملها .

ونلمس هذا الإطناب أيضًا في قول ابن الزيات : " ... فالحمد لله أعزَّ دينَهُ ، وأظهر حجّتَهُ ، ونصر أولياءَهُ ، وأهلك أعداءَهُ ... "[1] ، فقد ذكر ابن الزيات هنا أمورًا خاصّة مثل : (إظهار الحجّة ، ونصر الأولياء ، وهلاك الأعداء) بعد أن ذكر لفظًا عامًا يشملها وهو قوله : (أعزّ دينه) ، حيث إنّ عزّة الدين تشمل : إظهار الحجّة ، ونصر الأولياء ، وهلاك الأعداء .

ونلحظ هذا اللون من الإطناب في رسائل الجاحظ ، منها رسالة (كتاب الحجاب) بدلالة قوله : " ... ونحن نعوذ بالله من المطامع الدنيّة ، والهمّة القصيرة ، ومن ابتذال الحرية ، فإنّ نفسي أبيّة ، ما سقطت وراء همّة ، ولا خذلها ناصرٌ عند نازلة ، ولا استرقّها طمعٌ ، ولا طُبِعَت على طبعٍ ... "[2] ، نلحظ في هذا النصّ أنّ الكاتب ذكر لفظًا عامًا وهو قوله : (نفسي أبيّة) ، ثمّ ذكر ألفاظًا خاصّة في قوله : (ما سقطت وراء همّة) ، (ولا خذلها ناصرٌ عند نازلة) ، (ولا استرقّها طمعٌ) ، (ولا طُبِعَت على طبعٍ) .

ومثله قول الجاحظ في رسالة (ذمّ أخلاق الكُتّاب) : " ... وليست صناعتهما بفاشية في الكتّاب ، ولا بموجودة في العوام ، فأغزرهم علمًا أمهنهم وأقربهم من الخليفة أهونهم ، فكيف بكاتب الخراج الذي علمه ليس بمحظور ، وإشراك الناس فيه ليس بممنوع ... "[3] ، جاء الكاتب هنا بذكر الخاص بعد العام ، فالخاصّ هو قوله : (كاتب الخراج) بعد أن ذكر العام وهو قوله (الكُتّاب) ، فقدّم (كاتب الخراج) ؛ لخصوصيته عنده ؛ ولأنّ الموضوع يخصّه هو .

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 42/4 .

(2) رسائل الجاحظ : 44/2 .

(3) المصدر نفسه : 206/2 .

وقال ابن المُدبّر في (الرسالة العذراء) : " ... إنّ الله سبحانه رفع درجة اللسان فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده ... "[1] ، ابن المدبّر هنا ذكر (العام بعد الخاصّ) ، فالخاصّ قوله : (اللسان) ، والعام (الجوارح) ، وفائدته الاهتمام بالخاصّ (اللسان) ؛ لذكره ثانيًا في عنوان عامّ (الجوارح) .

وقال ابن المعتز أيضًا من خلال كلامه على (القرآن وبلاغته) : " ... نزل به على محمد خاتم النبيين ، صلّى الله عليه وآله ... "[2] ، فقد جاء ذكر العام بعد (الخاص) بقوله : (محمد خاتم النبيين) ، فالخاصّ هو قوله : (محمد) ، والعام (النبيين) ؛ للتنبيه على فضله (عليه الصلاة والسلام) على سائر الأنبياء .

هـ – التتميم

وهو : " أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنُكتة كالمبالغة في قوله تعالى :ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [الإنسان : 8] ، أي : مع حبّه "[3] ، وهو على ضربين[4] : ضربٌ في المعاني وهو تتميم المعنى ، وضربٌ في الألفاظ وهو تتميم الوزن ، أي الذي يؤتى به لإقامة الوزن بحيث لو طرحت الكلمة استثقل معنى البيت من دونها ، والذي يعنينا في دراستنا هذه هو الضرب الأول ؛ لأنّ الثاني مخصوص بالشعر ، ونستنبط من هذا الكلام أنّ شروط التتميم هي :

1- يؤتى به في أثناء الكلام وفي آخره .
2- لا يوهم خلاف المقصود .
3- أن يكون فضلة تفيد نكتة كالمبالغة .
4- أن يفيد المعنى أو يفيد الوزن في الشعر ، وقد تجتمع الفائدتان في الشعر ، أي المعنى والوزن .

---

(1) الرسالة العذراء : 41 .
(2) رسائل ابن المعتز : 63 .
(3) الإيضاح : 205/1 ، وينظر : التلخيص : 231 .
(4) ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب : 294/2 .
* تخلق : أي تَبلى ، ينظر : أساس البلاغة (خلق) .

ومن جميل التتميم قول أحمد بن يوسف الكاتب إلى رجلٍ غَصَبَ رجلاً على ضَيْعَةٍ ، وكان غائبًا فاستغلّها سنين ، وقَدِمَ الرجل فطالبه فقال : الضيعة لي وفي يدي ، فقال أحمد بن يوسف : " الحقّ لا تَخْلَقُ* جِدّته وإن تطاولت بالباطل مدّته ، فإن أنطقتَ حُجتك بإفصاح ، وأزلتَ مُشكلها بإيضاح ... وفّر حقّك عليك ، وسِيقَ بلا كدٍّ إليك ... "[1] ، فجاء التتميم في قوله : (بإفصاح) و (بإيضاح) حيث أفاد قصد المبالغة في الإفصاح عن الحجة وإيضاحها حتى يرجع الحقّ إلى صاحبه ، وترجع الضيعة إلى الرجل الذي اغتُصبت منه .

وقال الكاتب نفسه إلى رجلٍ استماحه : " وَددتُ لو ملكتُ بغيتَكَ ؛ لبلّغتُك أمنيتك ، ولكنّي في عملٍ قصدتُ فيه اتخاذ المحامد ، وعدلت عن اقتناء الفوائد ، فَخَسَّ نصيبي من الوَفْر* ، ووفر حظي من الشكر ، وقد أمرتُ لك بما يجلّ عنه قدرُك غير مخنارٍ له ، بل مضطرًا إليه ، فليكن منك عذرٌ فيه ، وشكرٌ عليه "[2] .

فجاء التتميم في قوله : (بل مضطرًا إليه) أتمَّ به معنى قوله : (غير مختارٍ له) ؛ للمبالغة في الاستماحة والاعتذار من الرجل ؛ لعدم تحقيق مطلبه .

وقال أحمد أيضًا في الذمّ : " أمّا بعدُ ، فإنّي لا أعرف للمعروف طريقًا أوعر من طريقِهِ إليك ، فالمعروف لديكَ ضائعٌ ، والشكر عندك مهجورٌ ... "[3] ، فالتتميم في قوله : (المعروف لديكَ ضائعٌ ، والشكر عندك مهجورٌ) أتمَّ وأوضحَ معنى قوله : (لا أعرف للمعروف طريقًا أوعر من طريقه إليك) ، وقد أفاد المبالغة في الذمّ .

ومثله قول إبراهيم بن العباس الصولي في تحميدٍ له : " الحمد لله مُعزّ الحقّ ومُدِيله* ، وقامع الباطل ومُزيله ، الطالب فلا يفوته من طلبَ ، والغالب فلا يُعجزه من غلب ، مُؤيّد خليفته وعبده ، وناصر أوليائه وحزبه ... "[4] ، ففي قوله : (فلا

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 396/4 .

* وَفْر : أي الغنى ، ينظر : لسان العرب (وفر) .

(2) جمهرة رسائل العرب : 396/4 – 397 .

(3) المصدر نفسه : 381/3 .

* مُديله : ناصره ، ينظر : لسان العرب (دَوَل) .

(4) جمهرة رسائل العرب : 154/4 .

يفوته من طلب) تتميم في غاية الروعة ، فقد أتمَّ معنى قوله : (الطالب) ، ومثله قوله : (فلا يُعجزه من غلب) ، فهو تتميم لقوله : (الغالب) ؛ للمبالغة في إظهار قدرة الله ﷻ على الطلب والغلبة .

وقال الكاتب نفسه يمدح رجلاً ويذمّ آخر : " إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقنعه ، وللمسيء من النَّكال ما يَقْمَعه ، بذل المحسن الواجب على رغبة ، وانقاد المسيء للحقّ رهبةً "[1] ، فإنّ قوله : (على رغبةٍ) تتميم أفاد وصف الممدوح بالمحبة والرغبة في القيام بواجبه ، أمّا قوله : (رهبة) فهو تتميم أفاد وصف الرجل المذموم بالخوف والجبن والكره في انقياده وقيامه بواجبه .

ومن التتميم أيضًا قول إبراهيم بن العباس الصولي مستعطفًا الزيات : " كتبتُ إليك وقد بلغت المُدْيةُ المَحَزَّ ، وعَدَتِ الأيامُ بكَ عليَّ ، بعد عَدوِي بك عليها ، وكان أسوأ ظنّي وأكثر خوفي أن تسكن في وقت حركتها ، تكفّ عند أذاها ، فصرتَ عليَّ أضرَّ منها ، وكفّ الصديق عن نصرتي خوفًا منك ، وبادر إليَّ العدو تقرُّبًا إليك "[2] ، فالتتميم جاء في قوله : (خوفًا منك) ، أي بَعُدَ عنه الأحبّة والأصدقاء ؛ خوفًا على أنفسهم من الزيات .

وجاء التتميم أيضًا في قوله : (تقربًا إليك) ، أي تكالب الأعداء عليه ، ونصبوا له الشباك ؛ طمعًا في التقرب للزيات ، والحصول على منالٍ منه ، فقد أفاد التتميم هنا المبالغة في قَسْوَة الزيات عليه طالبًا عطفه والسماح له .

ومن بديع هذا الإطناب قول الجاحظ : " أمّا بعد ، فإنّ الماضي قبلك الباقي لك ، والباقي بعدك مأجور فيك ، وإنّما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب "[3] ، جاء التتميم في قوله : (بغير حساب) ؛ مبالغةً في أجر الصابرين .

وقال سعيد بن حميد في كتابه الذي أخذ به البيعة للمنتصر بعد مقتل أبيه المتوكل : " تبايعون عبد الله المنتصر بالله ، أمير المؤمنين بيعة طوعٍ واعتقادٍ ، ورضا ورغبة ، بإخلاص من سرائركم ... لا تشكون ، ولا تدهنون ، ولا تميلون ، ولا

---

(1) جمهرة رسائل العرب : 398/4 .

(2) الأغاني : 280/9 ، وينظر : معجم الأدباء : 170/1 .

(3) العقد الفريد : 230/4 .

ترتابون ، وعلى السمع له والطاعة ... "[1] ، فقوله : (لا تشكون ، ولا تدهنون ، ولا تميلون ، ولا ترتابون) تتميم أفاد المبالغة في معنى الطاعة والنُّصرة والوفاء والرضا والرغبة في بيعة المنتصر .

وكتب سعيد بن حميد في المودة : " إنّي أهديتُ مودتي إليك رغبةً ، ورضيتُ بالقبول منك مثوبةً ، فصرتُ بقبولها قاضيًا لحقٍّ ، ومالكًا لرقٍّ ... "[2] ، نلحظ هنا التتميم في قوله : (رغبةً إليك) و (مثوبة) فقد أتمّ المعنى ، وأفاد المبالغة في إظهار شوقه ومودته لمحبوبه .

وقال ابن المعتز في رسالة شكر : " قد جلَّتْ نعمتُكَ عن شكري ، فتولّى الله مكافأتَكَ عن عجزٍ بعد جُهدي ، بما هو أرفع له ، وأقدر عليه بمَنِّهِ ورأفتِهِ "[3] ، فقوله : (عن عجزٍ بعد جهدي) تتميم في غاية الحسن أفاد معنى المبالغة في الشكر .

(1) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 49 .

(2) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : 90 .

(3) رسائل ابن المعتز : 58 .

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

بعد أن انتهينا من دراسة الإيجاز والإطناب في النثر الفني في القرن الثالث الهجري , نوجز نتائج البحث على النحو الآتي :

1. كان كُتّاب القرن الثالث الهجري بارعين في تركيب نصوصهم وصياغتها بأُسلوب فنّي جميل , ينمُّ على قريحة أدبية بصيرة بمحاسن الطريقة الكتابية مع كثرة التصنع والتزوق .
2. استطاع كُتّاب القرن الثالث الهجري أن يوظفوا أنماط الإيجاز والإطناب في نسيج كتاباتهم ببراعة عالية , وأنْ يعبروا من خلالها عن أفكارهم وما يجول بخواطرهم , حيث أضفت ألوانًا مميزة من ألوان الإبداع الفكري .
3. أثبتت الدراسة أنَّ طبيعة الإيجاز والإطناب في النصوص النثرية تضمنت فوائد دلاليّة وبلاغيّة يسعى الكاتب إلى تحقيقها في نصوصه , كتقرير المعنى و تعزيزه في نفس القارئ , وتحريك ذهن المُتلقي كي يكون أكثر تفاعلاً مع هذه النصوص , فضلاً عن المبالغة في رسم الصورة التشبيهية والاستعارية .
4. أثبتت الدراسة أَنَّه لا يمكن المفاضلة بين الإيجاز والإطناب , فلكل منهما موضعه , ولكل مقام مقال .
5. يرتبط الإيجاز والإطناب ارتباطا وثيقًا بنفسية الكاتب وحال المُخاطب , فضلاً عن مراعاة المقام .
6. وجدنا من خلال دراستنا لكتابات القرن الثالث الهجري أَنَّ الإطناب هو السّمة الغالبة عليها أكثر من الإيجاز ؛ ولعلّ ذلك يعود إلى طريقتهم في البسط في عرض أفكارهم والموضوعات التي كانوا يكتبون فيها .

7. أثبتت الدراسة أنَّ الإطناب في كتابات القرن الثالث الهجري بعيد عن الإطالة والحشو , أي هو ظاهرة بلاغية مفيدة للكاتب في إبراز المعاني التي يريد التعبير عنها , إذ يتميز كُتّاب القرن الثالث بطول النفس في كتاباتهم .
8. سعى كُتّاب القرن الثالث الهجري إلى توظيف (إيجاز الحذف) في نصوصهم ؛ لتحقيق التوازن الصوتي بين فقرات النصوص المختلفة , سواء ذلك بحذف الجملة أو المفردة .
9. جاء إيجاز القِصَر في النصوص النثرية للتعبير عن أوسع معنى في أقل لفظٍ دون حذف , وهذا دليل على براعة الكاتب وفطنته في انتقاء المفردة المُعبرة , والعبارة الدالة عن المعنى الكامن في النفس بأقل لفظ ممكن .
10. توصلت الدراسة إلى أَنَّ هناك أنماطًا للإطناب كانت أكثر استعمالاً لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري , وقد أطلقنا عليها تسمية (الأنماط الرئيسة) وهي : الزيادة , والتكرار , والاعتراض .
11. تبيّن في الدراسة أَنَّ هناك أنماطًا للإطناب جاءت أقل استعمالاً من الأنماط الرئيسة , أطلقنا عليها تسمية (الأنماط الفرعية) , وهي متفاوتة من كاتب إلى آخر من حيث درجة توظيفها , وقد جاء ترتيبها بحسب كثرة استعمالها لدى كُتّاب القرن الثالث الهجري على النحو الآتي : الإيضاح بعد الإبهام , والتذييل , والبسط , والتوشيح , وذكر الخاص بعد العام و(العام بعد الخاص) , والتّتميم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصـادر والمراجـع

المراجــع

القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت ، 1418هـ – 1997.
- أحكام صنعة الكلام ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الأندلسي (550هـ) ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، عالم الكتب – بيروت ، ط2 ، 1405هـ – 1985 .
- أدب الكُتّاب ، محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت335هـ) ، شرح وتعليق : أحمد حسن سبج ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط1 ، 1415هـ – 1994 .
- ارتشاف الضَرَب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) ، تحقيق : د. مصطفى أحمد النماس ، مطبعة المدني – مصر ، ط1 ، 1408هـ – 1987 .
- أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، القاهرة ، ط1 ، 1953 .
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني (471 أو 474هـ) ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني – مصر ، ط1 ، 1412هـ – 1991 .
- الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي ، وضع حواشيه : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط1 ، 1422هـ – 2001 .
- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السراج (ت316هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف ، ط1 ، 1393هـ – 1973 .

- الأطول ، شرح تلخيص مفتاح العلوم ، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحلبي ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط1 ، 1422هـ – 2001 .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ) ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف – مصر ، 1963 .
- الإعجاز والإيجاز ، أبو منصور الثعالبي (ت429هـ) ، دار الرائد العربي – بيروت – لبنان ، ط2 ، 1403هـ – 1983 .
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ط1 ، 1414هـ – 1994 .
- أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت1120هـ) ، تحقيق : شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف ، ط1 ، 1968 .
- الأوراق ، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، الناشر : ج . هيورث دن ، مطبعة الصاوي – مصر ، 1335هـ – 1936 .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني (ت739هـ) ، تحقيق : لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مكتبة المثنى – بغداد ، د.ت .
- البداية والنهاية ، ابن كثير القرشي (ت774هـ) ، مكتبة المعارف – بيروت ، د.ت .
- البديع ، عبد الله بن المعتز (ت296هـ) ، نشر وتعليق : أغناطيوس كراتشوفسكي ، مكتبة المثنى – بغداد ، ط2 ، 1979 .
- البخلاء ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) ، تحقيق : د. محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، 1429هـ – 2008 .

- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي (ت749هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت ، 1427هـ – 2006 .
- البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب (ت272هـ) ، تحقيق : د. أحمد مطلوب ، ود. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني – بغداد ، ط1 ، 1387هـ – 1967 .
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة ابن سينا – القاهرة ، ط1 ، 2010 .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت1205هـ) ، المطبعة الخيرية ، ط1 ، 1306هـ .
- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، ابن جرير الطبري (ت310هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – مصر ، ط3 ، 1386هـ – 1966 .
- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ) ، تحقيق : أحمد صقر ، مكتبة دار التراث – القاهرة ، ط2 ، 1427هـ – 2006 .
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت651هـ) ، تحقيق : د. أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني – بغداد ، ط1 ، 1964 .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) ، تحقيق : د. حفني محمد شرف ، القاهرة ، 1963 .
- تحفة الوزراء ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : حبيب علي الراوي ، ود. ابتسام مرهون الصفار ، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة ، ط2 ، 1427هـ – 2006 .
- التعريفات ، السيد الشريف الجرجاني (ت816هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، 1357هـ – 1938 .

- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، ابن كثير القرشي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، د.ت .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري (ت370هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د.ت .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور الثعالبي (ت429هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة – مصر ، ط1 ، 1384هـ – 1965 .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) ، تحقيق : د. مصطفى جواد ، ود. جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، 1956 .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي (ت749هـ) ، تحقيق : طه محسن ، دار الكتب – بغداد ، ط1 ، 1976 .
- جوهر الكنز ، أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت737هـ) ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، الإسكندرية – مصر ، د.ت .
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي (ت725هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد – بغداد ، 1400هـ – 1980 .
- الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط2 ، 1384هـ – 1965 .
- خاصّ الخاص ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : درويش الجويدي ، المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ، ط1 ، 1428هـ – 2008 .
- خزانة الأدب وغاية الأرب ، علي بن حجة الحموي (ت837هـ) ، تحقيق : د. كوكب دياب ، دار صادر – بيروت ، ط2 ، 1425هـ – 2005 .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى – بيروت – لبنان ، ط2 ، د.ت .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : السيد محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار – مصر ، ط2 ، 1331هـ .

- ديوان زهير بن أبي سُلمى ، شرح : يوسف بن سليمان ، المكتبة التجارية – القاهرة ، د.ت .
- ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري (ت395هـ) ، تحقيق : أحمد سليم غانم ، دار العرب الإسلامي – بيروت ، ط1 ، 1424هـ – 2003 .
- رسائل الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط1 ، 1384هـ – 1964 .
- رسالة التربيع والتدوير ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب – بيروت ، 1969 .
- الرسالة العذراء ، إبراهيم بن المدبّر (ت270هـ) ، تحقيق : د. زكي مبارك ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط1 ، 1350هـ – 1931 .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي (ت702هـ) ، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم – بيروت ، ط2 ، 1405هـ – 1985 .
- زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت453هـ) ، تحقيق : د. زكي مبارك ، دار الجيل – بيروت – لبنان ، ط4 ، 1972 .
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، جمال الدين بن نباتة المصري (ت768هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – مطبعة المدني – القاهرة ، 1383هـ – 1964 .
- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، ود. أحمد رشدي شحاتة ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط2 ، 1428هـ – 2007 .
- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح – القاهرة ، 1372هـ – 1953 .

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين بن عقيل (ت769هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة – مصر ، ط2 ، 1964 .
- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستراباذي (ت686هـ) ، قدّم له ووضع فهارسه : د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط2 ، 1428هـ – 2007 .
- شرح المفصل ، ابن يعيش (ت643هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية – دار صادر – مصر ، د.ت .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أبو العباس أحمد القلقشندي (ت821هـ) ، المطبعة الأميرية – القاهرة ، 1331هـ – 1913 .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت749هـ) ، مراجعة وتدقيق : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط1 ، 1415هـ – 1995 .
- العقد الفريد ، ابن عبد ربّه الأندلسي (ت328هـ) ، شرحه وضبطه ورتب فهارسه : عبد السلام محمد هارون وآخرون ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، د.ت .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (ت654هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ، ط5 ، 1401هـ – 1981 .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد – بغداد ، ط1 ، 1985 .
- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، د.ت .
- كتاب سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت180هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب – بيروت ، ط3 ، 1403هـ –1983م .

- كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي التهانوي (ت1119هـ) ، تحقيق : د. لطفي عبد البديع ، ود. عبد المنعم محمد حسنين ، دار الكتاب العربي – مصر ، د.ت .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، شرحه وضبطه وراجعه : يوسف الحمادي ، مكتبة مصر ، د.ت .
- الكليات ، أبو البقاء الكفوي (ت1094هـ) ، وضعه : د. عدنان درويش ، ود. محمود المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ط2 ، 1419هـ - 1998 .
- اللامات ، أبو القاسم الزجاجي (ت337هـ) ، تحقيق : د. مازن المبارك ، دار صادر – بيروت ، ط2 ، 1412هـ - 1992 .
- لسان العرب ، ابن منظور الأفريقي (ت711هـ) ، دار صادر – بيروت ، د.ت .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) ، تحقيق : د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، مكتبة النهضة – مصر ، ط2 ، 1960 .
- المطول ، شرح تلخيص المفتاح ، سعد الدين التفتازاني (ت792هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط2 ، 1428هـ - 2007 .
- معاني القرآن ، الفراء (ت207هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، وأحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب – بيروت ، ط2 ، 1980 .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي – القاهرة ، 1996 .
- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (ت626هـ) ، تعليق : د. أحمد فريد رفاعي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، د.ت .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الصادق – إيران ، ط2 ، 1387هـ .
- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2 ، 2011 .
- المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب – القاهرة ، ط3 ، 1415هـ – 1994 .
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (ت704هـ) ، تحقيق : علال الغازي ، مكتبة المعارف – الرباط – المغرب ، ط1 ، 1980 .
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي – مصر ، 1963 .
- نقد النثر ، قدامة بن جعفر الكاتب (ت337هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 1416هـ – 1995 .
- النكت في إعجاز القرآن ، الرماني (ت384هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، ود. محمد زغلول سلام ، دار المعارف – القاهرة ، ط5 ، 2008 .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت732هـ) ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، د.ت .
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي (ت606هـ) ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار الجيل – بيروت ، ط1 ، 1412هـ – 1992 .
- نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب ، شرحه : الشيخ محمد عبدة ، شركة الأعلمي للمطبوعات – كربلاء المقدسة – العراق ، ط2 ، 1432هـ – 2011 .

- الوزراء والكُتّاب ، محمد بن عبدوس الجهشياري (ت331هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة ، ط1 ، 1938 .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان (ت681هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، 1367هـ - 1948 .

المصادر

- ابن المعتز وتراثه في النقد والأدب والاجتماع ، عبد المنعم خفاجي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط1 ، 1958 .
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – لبنان ، ط1 ، 1404هـ – 1984 .
- الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ط7 ، 1396هـ – 1976 .
- الأسلوبية – مدخل نظري ودراسة تطبيقية على شعر البارودي ، فتح الله أحمد سليمان ، المطبعة الفنية – مصر ، 1990 .
- الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان ، ط5 ، 2006 .

- أصول التفكير النحوي ، د. علي أبو المكارم ، دار غريب – القاهرة ، ط1 ، 2006 .
- أمراء البيان ، محمد كرد علي ، دار الآفاق العربية – القاهرة ط2 ، 1424هـ – 2003 .
- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز – دراسة بلاغية ، د. مختار عطية ، دار المعرفة الجامعية – مصر ، د.ت .
- البلاغة الاصطلاحية ، عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط3 ، 1412هـ – 1992 .
- البلاغة العربية قراءة أخرى ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية – القاهرة ، ط2 ، 2007 .
- البلاغة عند الجاحظ ، أحمد مطلوب ، دار الحرية – بغداد ، 1403هـ – 1983 .
- البلاغة فنونها وأفنانها ، علم المعاني ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان – عمان – الأردن ، ط2 ، 1409هـ – 1989 .
- البلاغة الفنية ، علي الجندي ، مطبعة الإنجلو المصرية ، ط2 ، 1966 .
- بلاغة الكُتّاب في العصر العباسي – دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب ، د. محمد نبيه حجاب ، المطبعة الفنية الحديثة – القاهرة ، ط1 ، 1965 .
- البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر – القاهرة ، ط3 ، 2009 .
- بين الصناعة النحوية والمعنى عند السمين الحلبي في كتابه (الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون) ، د. محمد عبد الفتاح الخطيب ، دار البصائر – القاهرة ، ط1 ، 1432هـ – 2011 .
- تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار الحكمة – دمشق – بيروت ، د.ت .

- تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، منشورات ذوي القربى – النجف الأشرف – العراق ، ط1 ، 1426هـ – 1966 .
- تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط2 ، 1973م .
- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط7 ، 1982 .
- التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة – بيروت ، ط4 ، 1981 .
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، د. محمد عبد المطلب ، المكتب المصري الحديث – القاهرة ، ط2 ، 2004 .
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد – بغداد ، 1980 .
- جماليات الأسلوب والتلقي – دراسة تطبيقية ، د. موسى ربابعة ، دار جرير – عمان – الأردن ، ط1 ، 1432هـ – 2011 .
- جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم ، د. أسامة عبد العزيز ، دار مكتبة الإسراء – طنطا ، ط2 ، 2009 .
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية – بيروت – لبنان ، 1356هـ – 1937 .
- حضور النصّ – قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب ، د. فاضل عبود التميمي ، دار مجدلاوي – عمان – الأردن ، ط1 ، 2011 .
- خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية – تونس ، 1981 .
- خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لعلم المعاني ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط2 ، 1980 .

- خطب الجهاد في عصر صدر الإسلام (العصر الديني وعصر البعثة النبوية) ، د. محمد طاهر درويش ، دار المعارف – مصر ، 1965م .
- دراسات أسلوبية وبلاغية ، د. نجوى محمود صابر ، دار الوفاء الإسكندرية ، ط1 ، 2008 .
- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب – القاهرة ، ط4 ، 2006 .
- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة : د. كمال محمد بشر ، دار غريب – القاهرة ، ط12 ، 1997 .
- رسائل ابن المعتز (ت296هـ) ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط1 ، 1365هـ – 1946 .
- الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة (العراق والمشرق الإسلامي) ، د. غانم جواد رضا الحسن ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 ، 2011 .
- رسائل سعيد بن حميد وأشعاره (ت257هـ) ، تحقيق : يونس أحمد السامرائي ، مطبعة الإرشاد – بغداد ، 1971 .
- الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، زينة عبد الجبار محمد المسعودي ، ديوان الوقف السني – بغداد ، ط1 ، 2009 .
- ضوابط الفكر النحوي ، د. محمد عبد الفتاح الخطيب ، دار البصائر – مصر ، 2006 .
- عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل أبي العلاء ، د. إحسان عباس ، دار الشروق – الأردن ، ط1 ، 1988 .
- عصر القرآن ، محمد مهدي البصير ، دار المعارف – بغداد ، ط1 ، 1366هـ – 1947 .
- علم الأصوات اللغوية ، مناف مهدي محمد الموسوي ، دار الكتب العلمية – بغداد ، ط3 ، 1419هـ – 2007 .

- علم المعاني ، درويش الجندي ، دار نهضة مصر – القاهرة ، د.ت .
- علم المعاني تأصيل وتقييم ، د. حسن طبل ، مكتبة الإيمان – القاهرة ، ط1 ، 1999 .
- علم المعاني – دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د. بسيوني عبد الفتاح ، مؤسسة المختار – القاهرة ، ط3 ، 1431هـ – 2010 .
- الفكاهة في النثر العباسي ، د. علي عزيز صالح ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 ، 2010 .
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف – الإسكندرية ، 1979 .
- في البنية والدلالة ، سعيد أبو رضا ، منشأة المعارف – الإسكندرية ، د.ت .
- قراءات بلاغية ، د. فاضل عبود التميمي ، دار الضياء – النجف الأشرف ، ط1 ، 1429هـ – 2008 .
- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط5 ، 1978 .
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة – دراسة في شعرية النثر ، ، نوفل أبو رغيف ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 ، 2008 .
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة ، ط2 ، 1423هـ – 2003 .
- معايير تحليل الأسلوب ، ميكائيل ريفاتير ، ترجمة : حميد الحمداني ، دار سال – المغرب ، ط1 ، 1993 .
- المعجزة الكبرى في القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، د.ت .
- المعجم العربي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط1 ، 1400هـ – 1979 .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، 1403هـ – 1983 .

- مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ، د. إبراهيم محمد عبد الله ، دار البصائر – القاهرة ، ط1 ، 1428هـ – 2007 .
- من أسرار العربية في البيان القرآن ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف – القاهرة ، 1972م .
- من بلاغة النظم العربي ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، عالم الكتب – بيروت ، ط2 ، 1984 .
- من فصول ابن المعتز ورسائله ونصوص من كتبه المفقودة وأخباره ، تحقيق : يونس أحمد السامرائي ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، 2002 .
- موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة ، ط3 ، 1965 .
- النثر الصوفي – دراسة فنية تحليلية ، د. فائز طه عمر ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 ، 2004 .
- النثر الفني في القرن الرابع ، د. زكي مبارك ، دار الجيل – بيروت ، 1975 .
- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، عبد الحكيم بلبع ، مطبعة الإنجلو المصرية – القاهرة ، د.ت .
- نحو المعاني ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العملي العراقي – بغداد ، 1407هـ – 1987 .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ط2 ، 1980 .
- نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية ، د. منال محمد هشام سعيد نجار ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط1 ، 1432هـ – 2011 .
- نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية ، د. رابح بو معزة ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط1 ، 1432هـ – 2011 .
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، د. نعمة رحيم العزاوي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، 1978 .

الرسائل الجامعية

- أحمد بن يوسف الكاتب – حياته وأدبه ، محمود شاكر أحمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1409هـ – 1989 .
- الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني ، عواطف كنوش ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، 1995 .
- الإطناب في روايات طه حسين – دراسة أسلوبية ، بسمة محمد مصطفى حبيب ، رسالة ماجستير ، كلية اللغات – جامعة كويه ، 1428هـ – 2007 .
- الإطناب في القرآن الكريم – أنماطه ودلالاته ، وفاء فيصل إسكندر محمد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1424هـ – 2003 .
- الإيجاز في القرآن الكريم ، احمد حمد محسن ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1404هـ – 1983 .
- التأويل النحوي في معاني القرآن للفراء (ت207هـ) ، غادة غازي عبد المجيد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد ، 1419هـ – 1998 .
- التذييل في القرآن الكريم – دراسة بلاغية ، سالم أحمد سند يوسف ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1427هـ – 2006 .
- الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب في القرآن الكريم – دراسة نحوية ، طلال يحيى إبراهيم ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1417هـ – 1996 .
- حذف الحرف وزيادته في البحر المحيط ، بلال محمد عبد الله ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1426هـ – 2005 .

- حروف المعاني المزيدة عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري – دراسة نحوية دلالية ، محمود حمود عرّاك القرشي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1429هـ – 2008 .
- خصائص الأسلوب في شعر البحتري ، وسن عبد المنعم ياسين آل فليح الزبيدي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1429هـ – 2008 .
- الخطاب في نهج البلاغة – أبنيته وأنماطه ومستوياته – دراسة تحليلية ، عبد الحسين عبد الرضا العمري ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1429هـ – 2008 .
- خطب الجهاد في عصر صدر الإسلام – دراسة فنية ، بثينة إبراهيم دهش ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1997 .
- الرسائل الأخوانية في العصر العباسي إلى سنة 300هـ ، نجوى حميد الهيتي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، 1417هـ – 1996 .
- الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، رمضان صالح عياد الجبوري ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، 1418هـ – 1997 .
- الرسائل السلطانية في عصر بني الأحمر – دراسة بلاغية ، عزيز حسين علي الموسوي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، 1427هـ – 2006 .
- رسائل وفصول ابن المعتز – دراسة بلاغية ، وسن منصور محمود الحلو ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، 1426هـ – 2005 .
- ظاهرة الإطناب في كتاب الكامل لأبي العباس المبرّد (ت285هـ) ، باسم محمد إبراهيم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، 1418هـ – 1997 .

- ظاهرة الزيادة على الجملة العربية – دراسة نحوية دلالية ، محمد جواد الطريحي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، 1415هـ – 1994 .
- عبد الملك بن مروان ناثرًا ، مثنى فاضل خورشيد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1422هـ – 2002 .
- فن الرسائل عند الجاحظ ، محمد بن عبد الله ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1988 .
- فن الرسائل المشرقية في القرن السادس الهجري ، محمد عبد الحسين محمد الخطيب ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية (ابن رشد) – جامعة بغداد ، 1417هـ – 1997 .
- قصار السور – دراسة أسلوبية ، كريم طاهر عباس البعاج ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة بابل ، 1428هـ – 2007 .
- كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي – دراسة أسلوبية ، نسرين ستار جبار الساعدي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1421هـ – 2001 .
- المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) – دراسة بلاغية ، حيدر أحمد حسين الزبيدي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة ديالى ، 1428هـ – 2007 .
- نثر أبي فضل بن العميد – دراسة أسلوبية ، محمد حسين عبد الله المهداوي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة القادسية ، 1424هـ – 2003 .
- النثر الأندلسي في عهدي (الموحدين وبني الأحمر) ، حسين أسعد ناصر ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1408هـ – 1987 .

البحوث

- أسلوب الزيادة بين واقع النصّ القرآني وآراء العلماء العرب ، د. محمد جواد الطريحي ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ، ع77 ، لسنة 2007 .
- أسلوبية الحذف في نصوص السرد الوصفي القرآني ، د. طلال خليفة سلمان ، مجلة القلم وما يسطرون ، ع19 ، السنة الخامسة ، جمادي الثاني ، 2010 .
- الأسلوبية الصوتية بين النظرية والتطبيق ، د. ماهر مهدي هلال ، مجلة آفاق عربية ، ع12 ، لسنة 1992 .
- دلالات لغة التكرار في القصيدة المعاصرة – أديب ناصر نموذجًا ، د. رحمن غركان ، مجلة اللغة العربية وآدابها – جامعة الكوفة ، ع1 ، السنة الأولى ، 2001 .
- من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف ، د. نغم هاشم الجماس ، مجلة التربية والعلم – كلية التربية – جامعة الموصل ، مجلد17 ، ع3 ، لسنة 2010 .

المخطوطات

- المنظوم والمنثور لابن طيفور ، رقم الإيداع في السجل (42) في مكتبة المجمع العلمي العراقي .

ABSTRACT

Arabic has always been an eveilasting source from which researchers derive their information wherever they feel the need to do so . In thin regard , let's refer to the prose that in stell regarded on a milestone for the elevation and excellence of the Arab Nation its development and ereativity . Prose however , represents contemporary life in all its details . It also represents the profundity of thought at the age .

Then artistic prose is an art genre characterized by the excellence and splndour of eloquency and rhetoric then in fact the major cause for conducting then study as previty and redundnucy are an , entegral part of semanticy . It however , encompasses al – rasel al – diwaniya and al – racael al – ekhwaniya and al – tawqieatin one of the prosperow abbasid eras . the third century of hejira . the era has witnessed a good number of scibes and writers who were renowned especially amongst the intelligentsia of all other ages .

The study in divided into an introduction , the main body and a conclusion . the introduitory past , however , is presented under the title " the concept of Brevity and Redundancy " .

Thin part is further divided into three approaches : the definition according to their senses in the lexicon and in literature the redundancy and its erlatedness to tantology and padding ,

while the third one in erlveand to the eloquency and tense presentation pursued by writers in general .

The first part , however , has touched upon the conciseness of ellipsis . the second part has been dedicated to the conciseness of the second part in dedicated to the patterns and types of redundancy . the condusion in a sort of abridagement of the most important findings reached by the researcher .

Of these finding are :

1- the third – contury scribes and wirters were eminent and proficient in the composition and constrnction of their texts as well an in the patterning of there texts into a nia artistic style . thin artistry in an indication of an inherent artistic tendency which enable such wnters to be fully a ware of the advantages of thin graphic approach .
2- The third – century writers were capable of dedicating their patterns of brevity and redundaney into the fabric of their writings efficiently . they were also able to well express their wemoirs and inner thoughts which had been an additional factor to the creative thinking .
3- The dedication of brevity and redundancy to the prosaic texts in fully related to the writer's psychology and him iunermost motives .
4- The writings of the third – century writers tended to be redundmnt tather than brief and thin might be the ersult of their simphstic technique in presentation finally , a detailed

bibliography in well organred in that it has included source and books that the researcher has made use of in the course of the study .

Brevity and Redundancy in the Artistic prose in the third of Hegira

A Thesis Submitted by
Layla Sa'ad allah Naji AL – Tamimi

To the council of the college of Education for Woman , University of Baghdad

In partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of the philosophy of Arabic and literature PH . D .

supervised by
Prof . Dr . Abdel Hadi khdeir

2013 A.C **1434 A.H**